شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٥٩ — تموز - آب - ايلول (يوليو - اغسطس - سبتمبر) ١٩٧٦

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

مدير التوزيع : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٨ دراهم في دولة الامارات العربية ، ٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف بريشة الفنانة
منى السعودي

صفحـــة

٣ ذاهبون الى الخامسة ، محمود درويش ·

٦ الطريق الى تل الزعتر ، هاني مندس ·

٣١ مدرسة الصمود والاقدام في تل الزعتر ، الدكتور نجيب ابو حيدر ·

٣٦ الازمة اللبنانية : افكار واقتراحات ، الدكتور كلوفيس مقصود ·

٤٤ التوازنات المسلحة : الحرب الاهلية والحرب الوطنية ، خالـد جابـر ·

٦٠ سياسة « الخطوة خطوة » في الشرق الاوسط (دراسة اميركيـــة لادوار شيهان) ، ميشيـل كامـل ·

٧٤ اميركا تجير حرب تشرين لخدمة مصالحها الاستراتيجية ، المقدم الهيثم الايوبي ·

٨٣ وانا الحب ··· وقلبي ميسلون ، سليم بركات ·

٨٦ ويندلع الزعتر ··· مي صايـغ ·

٨٩ أيام الارض ، الدكتور الياس شوفاني ·

٩٩ عودة العرب اليهود : المسألة والحل ، الدكتور اسعد عبد الرحمن ·

١١٠ دور الدستور اللبناني في تفجير الحرب الاهلية اللبنانية ، الدكتور خيرات البيضاوي ·

١٢٣ فلسفة الميثاق الوطني اللبناني : تأجيل للدخول في مرحلة الوطن ، مروان ناصر ·

١٣٣ هذا هو الدور الاميركي في لبنان ·

١٤٧ العلاقات بين اسرئيل ويهود اميركا ، يوسف حمدان ·

شؤون فلسطينيـة

ذاهبون الى الخامسة

في مستوى هذه اللحظة الفلسطينية ، لا يتقدم أحد الا بكامل عدة الرهان · كل شيء تهيأ للنهاية وللبداية معا · والحصـار المضروب على هذه اللحظة الحاسمة هو الحصار الذي تضربه اللحظة النامية ذاتها حول اعدائها الذين تدفقوا من ثقب التسوية ·

من سيارة الباص الشهيرة في عين الرمانة ··· الى سجـن الكلمات في الكويت ، تمتد سكة حديد واحدة العلاقة ، في انتظار القطار الوهمي الذي أذن صفيره بميلاد الاعتذار العربي الرسمي عن ايام ، كان فيها الحلم الشعبي يخرج الى الشارع في صورة فلسطين وسنبلة قمح ·

وعلى مفترق الطرق الطويل ، تصل الحرب الاهلية العربيـة على ارض لبنان الى مستوى من الرهان يبدو فيه التراجع ، تراجع القتلة والشهداء على حد سواء ، اشد خطرا من الذهاب الكلي الى تحديد ملامح المستقبل القريب ·

ومهما قيل ، مهما قيل من التفاصيل ، فان هذا الصراع الطويل يدور حول هذه اللحظة الفلسطينية في علاقاتها وأبعادها · فالثورة الفلسطينية وحلفاؤها يريدون ان تتوهج اللحظة ، بداية لزمن عربي جديد تتغير فيه العلاقات الاجتماعية ، وتكون فيه الحياة العربيـة أكثر استعدادا لخوض الحرب الخامسة · فبدون هذا الصراع، بدون الاقتناع بحتمية خوض هذا الصراع،لن يكون بوسع العربي الانصراف الى البناء والتنمية وممارسة الحرية ·

من أجل وأد هذه اللحظة ، تخوض الاقليمية والانعزاليـة

حربها التي بدت لها قابلة لتحقيق النصر ، باغراء ارتباط الامن الوطني لكل نظام عربي على حدة ، بأمن العدو الاسرائيلي ، وهو الانجاز الاكثر اهمية الذي حققته ، حتى الآن ، سياسة « تحييد » اميركا ، والاعتراف غير المشروط بامتلاكها كل مفاتيح الحلول ٠

وبدون مساومة ذكية ، وفي مناخ عودة الانظمة الى اصدافها ، وفي شهية بحث كل طرف عن النجاة بجلده ، تعمق الميل الى تلافي الصراع مع العدو الرئيسي ، ونامت على خطوط وقف النار محاذير ارتباط الامن القومي العربي المفكك الى حلقات بأمن العدو الاسرائيلي الذي احتفل ، ولا يزال يحتفل ، بحرب الجبهات العربية مع بعضها البعض ، وبتحول شعار التضامن العربي الرسمي الى مفردات خطابية لا تنطوي الا على فاعلية واحدة : وأد اللحظة الفلسطينية ، بعلاقاتها الجماهيرية ، تمهيدا لوصول القطار الوهمي الذي يبشر بتسوية غامضة ٠

قال الكثيرون : ان الحرب في لبنان هي حرب التسوية الاميركية التي يأخذ اسم « المملكة العربية المتحدة » أحد اشكالها ، وحين طالت الحرب ، بفضل صمود الثورة والحركة الوطنية ، لم يقل غير الاميركيين والاسرائيليين ان هذه الحرب الطويلة قد عرقلت عملية التسوية ٠

ان ما يعنينا في هذه الملاحظة الايحائية هو القول ان بوسع اللحظة الفلسطينية المعبرة عما تحمله الجماهير الشعبية العربية من أجنة ثورية ان تصمد فتشع فتحدد ملامح المستقبل القريب والبعيد لهذا الوطن الكبير ٠

كانت اللحظة زينة ، ومتطلبات خطاب ، حين كانت أنظمة عربية ، بعد هزيمة حزيران ، في حاجة الى استرداد كرامة جرحت ٠ وكانت اللحظة ذاتها أغنية قومية تبدو ، للوهلة الاولى ، أنها لا تشكل ازعاجا لعلاقة اجتماعية ٠ وكان يبدو للمصفقين العرب الرسميين ان هنالك فارقا كبيرا بين فلسطين ـ القضية التي تزين كل خطاب ، وبين فلسطين ـ الثورة التي تخترق البناء الداخلي٠ وحين اعترفوا بوحدة القضية والشعب والثورة باعلانهم ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ، كانت عيونهم معلقة على الفصل بين القضية والثورة٠

واكتشفوا ، الان ، في محاولات وأد اللحظة الفلسطينية الحاسمة في أرض لبنان ، وفي دفاع الثورة عن شرعيتها واستقلالها ،

أن فلسطين لم تعد للزينة · وكشفوا لنا طريقة لتذكيرهـم بأن الاغلبية الساحقة من الانظمة العربية ، ومنذ ربع قرن ، لم تكسب شرعيتها الا من فلسطين · باسمها جاءوا الى الحكم ، وباسمها ابتزوا «نعم» من الاستفتاءات الشعبية · ولكن ، لن يكون بوسعهم ان يقتلوا ، باسمها ، جسمها · ولن يكون بوسعهم ان يقودوا الناس الى السلام مع اعداء الوطن وسنبلة القمح ·

الى أين ··· الى أين ؟ ان بذور الحرب الاهليـة العربيـة في لبنان تقول لنا ان العرب عربان · وان اللحظة الفلسطينية الحاسمة لا يتقدم منها أحد الا بكامل الرهان · فاما انه يقترب منها لاطفائها ، ليعرقل فاعلية علاقاتهـا بارادة الجماهـير الطامحـة الى التغيير، واما لاشعالها لتكون بداية زمن عربي جديد ·

وفلسطين أيضا تعرف ، وكم هي تعرف ان الصخرة في القدس لم تعد توحد دموع العرب ، وخاصة بعد حرب تشرين · لان الحكام العرب الكثيرين ، الخارجين من اول مشروع انتصار قـد كرسـوا كل اهتمامهم والكثير من سلاحهم ليبرهنوا لاميركا على انهم أكثـر جدوى وأوفر ثروة من حبيبتها التقليدية ـ اسرائيـل · وبرهنـوا لنا على ان العباءة الغنية التي احتاجت ، من حزيران حتى تشريـن الى كوفية فلسطينية لتغطي جرح الكرامة ، وتأخذ فائض الكاز والدم قد اصبحت في غنى عن هذا الزي الفلسطيني الفولكلوري ، لانـه يحتوي على اللحظة الفلسطينية الحاسمة ·

وفي مستوى هذه اللحظة لا يتقدم احد ، الان ، الا بكامـل عدة الرهان · وحين تأتي الحرب الخامسة ، وهي آتية في مواجهـة شروط جديدة مضافة الى اصول الصراع القديمة ، سيكتشف الذين يتصدون لهذه اللحظة الفلسطينية لاطفائها ، امليـن بذلك تلافي حتمية الحرب الوطنية ، انهم قد تنازلوا عن الكثير من مصادر قوتهـم ، وعن مظاهر هذه القوة واختاروا الجلوس في عراء التسوية التي لم تقدم لهم لا ارضا محتلة ولا طاقة على الضغط ، ولا تعمير وطن او صدفـة !

وفي صلب هذه اللحظـة المتوهجـة بعرق الكادحيـن العرب وصبرهم الطويل واحلامهم الواسعة ، تتهيأ عملية الذهاب الى اكثر الاحلام واقعية ورشاقة في هذا الزمان : فلسطين · في تحويـل هـذه اللحظة الى زمن عربي جديد يتم بناء شروط النصر الشعبي فـي الحرب الخامسة ·

محمود درويش

الطريق الى تل الزعتر !

هاني مندس

الدمار والموت والدماء ، الجـــوع والعطش والخوف ، الصمود والبطولة والشجاعة ، المأساة والعظمة ، الرهبة والحزن والفرح ، القلق المضني وصبر الفلاحين في قرى الجليل وسهل الحولة، الاسئلة المتزاحمة والشكوك والترقـب والاصرار .. كل المزيج المعقد مـن الخواطر والمشاعر الانسانية المتضاربة في لحظة باتت فيها الحيـاة او الموت محض صدفة .. العنفوان والوطـن والروح الكفاحية العالية لشعب عظيم .. الانتصار والهزيمة .. مشاهد حية من فلسطين ١٩٤٨ ، من عمان ١٩٧٠ .. لكن يقظة النار والجرح والتحدي الفولاذي ! .. كلها تجمعت ، ودفعـة واحدة ، في بقعة صغيرة جدا :
تل الزعـتر !

اية كلمات معبرة حين اختزلتيـامخيم تل الزعتر كل مشاعر وقيـم الانسانية والحياة .. والتراث النضالي الطويل لشعب مكافح صغير ؟ الكلمات تلهث وراء تفاصيلك .. واخبارك . .وانت واقف بمهابة وشمـوخ فوق انقاضك . .منهمك في اعمالـك ..نطاردك لكي نلحق بك ، لنكون بعض مستواك . لكنك تهملنا بقسوة، فنشعر بالانهاك والحرج والذنب .. كاننا لـم نتعودك .. وكأنك تسخر منا ! فمهمـا نفعل هنا ، لسنا في مستواك.. ما دمنا لم نستطع الوصول اليك .. !

ما يقارب ستين الف قذيفة ، خـلال ثلاثة وخمسين يوما ، وفي اليوم الاول للهجـوم الفاشـي تساقـط ما يزيـد عن ثمانية الاف قذيفة دفعة واحدة .. آلاف الجرحى وحوالي ٣ آلاف شهيد ،والجوع والعطش يحصد اطفالـك ، والماء الممزوج بالدماء ما طعمه يا تل الزعتر ؟

ما رقم الهجوم الاخير ؟ ١٦ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٧٠ ؟ ما علاقة علم الحساب المدرسي بعلم الحسـاب السياسي يا تل الزعتر ؟ ! انك تجيـد الاجابة تماما .. لقد علمتنا ان علـم السياسة ، علم الثورة ، يبدأ من تعلـم الحساب السياسـي ! .. التلاميذ يجمعون اعداد البرتقال والتفاح ، اما

ثوارك وسكانك واطفالك فهم يجمعون القذائف والشهداء والجرحى ، يجمعون دماءهم مع المياه ويشربونها !

فاجأ صمودك الاصدقاء قبل الاعداء، كما يفاجيء ، دائما ، الشعب الفلسطيني ، بروحه الكفاحية العالية، جميع الاعداء وضيقي الافق .

لقد تجاوزتنا وتفوقت علينا ، اقتحمت ترددنا واربكتنا .. ارتحل اسمك ، ضاق ذرعا بنا وبحساباتنا الدكاكينية ، وانتقل في ارجاء العواصم والمدن ، يهز الضمائر ويلهم الثوار والمناضلين ، يصدر البيانات ويعقد المؤتمرات ويقود مظاهرات التأييد . اسمك ضاق بتلته الصغيرة المهدمة المحترقة ، انه يرتفع الان ، فوق ساحة نابلس الرئيسية وفي شوارع القدس ورام الله ، يراه العدو الصهيوني في عيون المتظاهرين شررا وصاصا وعزيمة .. فيرتعب الحكام العرب ، يقفلون الحدود ، يضعون الحواجز يفتشون عنه في العيون والقلوب ، يسيرون دوريات الامن والمخبرين في شوارع دمشق وعمان والقاهرة و .. وتل الزعتر نار وحقد وشعب وثورة ..

احترقت ... ودمرت كل منازلك الهشة ولكن على اخشاب ابوابك وشبابيكك المنخورة واثاث مساكنك التنكية المحترقة اوقدت النسوة النار ليسلقن العدس ويسقين ماءه للاطفال بدل الحليب .. ومع هذا يصرخ اطفالك من الجوع والعطش والالم ، وكأنهم يستنكرون تأجيل موتهم !..

لقد سمعت صراخ اطفالك ، ولن انساها ، (بعد ان استطاع عدد منهم الوصول ، في البداية ، عن طريق بعثة الصليب الاحمر) ، صرخات الم بكاء لم اسمع مثلها ، قط ، قبل اليوم . صرخات بشر تحملوا ما يفوق طاقة البشر من قدرة على احتمال الجوع والعطش والعذاب والموت البطيء ، فتحولت الى صرخات غير بشرية .. بل الى صرخات احتجاج للانتماء الى مثل هذه الانسانية ؟ ام هي ، ترى ، صرخات ما قبل العودة الى حيفا وقرى الجليل، صرخات ذلك الفرح المكتوم ، وقد انطلقت مبكرة ، قبل الاوان ، من تل الزعتر ؟ !

(لقد ذكر اطباء واهالي تل الزعتر انه، خلال خمسة ايام فقط من الاسبوع الاخير ، مات ٦٠ طفلا من الجوع والعطش وحالات الجفاف في المخيم ، كما مات عدد من الاطفال الذين وصلوا مع بعثة الصليب الاحمر ، اذ لم يجد العلاج المتأخر معهم نفعا !)

« كل اطفال تل الزعتر مصابون بالجفاف » :

علميا ، «بالنسبة للجفاف ، هذه الحالة ناتجة عن نقصان في الماء والغذاء وهي لا تقتصر على الاطفال ، بل ويصاب بها الكبار ايضا ، الا ان قدرة الاطفال على تحمل الجوع والعطش اقل بكثير من قدرة الكبار . لذا فانها تظهر بين الاطفال بصورة اسرع ، وحالات الجفاف المصاب به الاطفال من جرحى

تل الزعتر كبيرة جدا **ومخيفة** ، اذ تدل التقارير الرسمية على ان اكثر من **٨٠ بالمئة من الاطفال مصابون بالجفاف وان ٢٠ بالمئة الباقين مصابون بجفاف الى حد بسيط** ، اضافة الى اصابات اخرى ، وهؤلاء حالتهم اسوأ من حالة اخوانهم الاطفال السابقين » !

« .. اذا استمر نقصان الغذاء فالنتيجة تكون الموت فورا ، ذلك ان حالة من عدم الاتزان تقع في خلايا الجسم بما فيها العصبية وغير العصبية واول تأثيرهما يكون في الكلى التي تتوقف عن الافراز ، وبالتالي تزداد البولينا بالدم التي تؤدي الى فقدان المريض لحياته بالتأكيد ، واعتقد ان غالبية الاطفال الموجودين ، حاليا ، في مخيم تل الزعتر مصابون بالجفاف . وذلك ليس لنقصان الماء والغذاء ، بل لفقدانه في كثير من الحالات ، ولدينا التقارير التي تفيد ان الكثير جدا منهم يموت يوميا وحتى الاطفال الذين نعالجهم هنا ، ايضا ، فان هناك حالات كثيرة ميؤوس منها . ومع ذلك فان المحاولات تجري لانقاذهم رغم نقصان العلاج اللازم لهم . كما ان هناك حالات من الجفاف من غير المستطاع علاجها ، علما ان عددا من الاطفال قضى نحبه بين ايدينا نتيجة خطورة اصابته وتأخره في الوصول الينا » .

(د. عبد الله ابو حسان مدير مستشفى الطوارىء في جامعة بيروت العربية ، مقابلة مع وكالة « وفا » ٩-٨-٧٦ ، انظر ايضا ، الصحف ١٠-٨-٧٦) .

« الشيء **المخيف** فعلا هو وضع الاطفال الاثنين والعشرين الذين وصلوا الى المستشفيات والذين لم تتجاوز اعمارهم الثلاث سنوات لان نصفهم على الاقل سيموت ، فهم مصابون بجروح بليغة من جراء القصف «وبالنشفان» بسبب الجوع والعطش . »

(نفس المرجع السابق)

علميا عرفت السبب .. ولكنني لا استطيع ان انسى صراخ اطفالك يا تل الزعتر وهم بين الموت والحياة ، وفي حالة من النشفان ! علميا عرفت ، ايضا ، ما يفعله الفاشيون .. وما نتائج التردد .

« غذاء الاطفال هو ماء العدس المجروش او ماء الرز في حال توفره » .

(فاطمة نايطة ، حديث خاص مع جرحى تل الزعتر اجرته مجلة « شؤون فلسطينية » .

« كانوا يجرشون العدس ويغلونه ويسقون ماءه للاطفال .. مات ما لا يقل عن ١٠٠ طفل وانسان بسبب الجوع والعطش وسوء التغذية » .

(موفق عبد الحليم ، حديث خاص مع جرحى .. الخ ..)

شهادات حية عن صمود تل الزعتر من الداخل :

الوضع التمويني :

« كله عدس بعدس ، ما في شيء ، خبز ما في ، مي ما في ، في هالشهرين تضايقنا كتير كتير .. لا غاز ولا كاز ولا فحم .. كله على الحطب ، حطب البيوت المهدمة » .

(حمدة محسن ، حديث خاص ..)

« كان في المخيم مستودع للعدس (مستودع غزة) ، الشعب خلعه وتمون منه ولولا العدس لمتنا جوع ، الصبح عدس والظهر عدس والمساء عدس ».
(بشرى عادل ، حديث خاص ..)

« بالنسبة للتموين ، انا منذ شهر ، على سبيل المثال ، لا يوجد في بيتي ذرة طحين واحدة ، يوجد عندي بعض العدس وحوالي اثنين كيلو من الرز . اعتقد ان الناس لا يستطيعون ان يصمدوا اكثر من عشرة ايام بدون مدهم بالتموين والماء . لم يعد هناك دكاكين ولا حوانيت للبيع والشراء . **والفلوس انعدمت قيمتها الشرائية نهائيا** » . (عدنان عقلة ، حديث خاص ..)

مأساة المياه :

« انصبت اليوم بكتفي واحنا رايحين على المية ، كثير نسوان وناس بينصابوا وبينجرحوا وبيموتوا على المي كل يوم» (حمدة محسن ، حديث خاص ..)

« كانت الام تودع اولادها قبل الذهاب الى مكان وجود الماء لتأتي ببعض القطرات منه ، لانها كانت تعتقد بانها قد تموت قبل ان تجلب منه ما يروي ظمأهم ، وذلك بسبب كثافة القذائف التي تتساقط على مكان وجود بئر الماء » . (احمد خضر ، المحرر ، ١٣-٨-٧٦)

« كانوا يخلوا الاهالي يقربوا تيعبوا المي ويلشوا يرشوا او يرموا القذائف عليهم .. ليس اقل من ٢٠٠ شخص معظمهم نساء واولاد استشهدوا وهم عم بيعبوا مي » . (فاطمة فرج سعيد حديث خاص ..)

« كان هناك مصدر وحيد للمياه قرب مواقع الفاشيين وكان عدد شهداء وجرحى تعباية المي لا يقل عن ١٠ او ١٥ شخصا يوميا .. الماء للشرب فقط، وليس لغسل حتى الوجه ، فقط للشرب .. كانت تنكة المي بتنكة دم » .
(عدنان عقلة ، حديث خاص ..)

« القضية الاساسية هي قضية الماء، **وقضية الحصول على الماء اصبحت رمزا لصمود سكان تل الزعتر** ، مركز الميام الوحيد كان يقع تحت مرمى نيران الفاشيين . رايت بعيني الناس تتجه طوابير نحو مركز المياه والرشاشات مسلطة عليهم وتحصد وتجرح عددا منهم .. ومع ذلك كانوا يستمرون ولا يتراجعون للحصول على المياه . كانت الاصابات في سبيل الحصول على المياه بمعدل ١٠ و١٢ اصابة واحيانا تصل الى ٣٠ اصابة في اليوم .. **الماء بات يعني الاستمرار والحياة والصمود** . مسألة فقدان المياه اثرت على الاطفال من جميع النواحي ، من حيث النظافة والامراض والتغذية .

رايت امراة اصيبت اصابة بالغة في يدها بينما هي تملأ تنكتها ولكنها لم تتراجع ، انتظرت حتى امتلأت التنكة فاحضرتها معها وهي ترفع يدها عاليا، وقد عالجتها وكانت اصابتها غير بسيطة » .

(د. يوسف العراقي ، طبيب الهلال الاحمر الفلسطيني في تل الزعتر من وقائع المؤتمر الصحفي يوم الجمعة ١٣-٨-١٩٧٦ ، حضور شخصي).

« اكثر الجرحى المدنيين سقطوا شهداء من اجل تأمين المياه لاطفالهم ، اذكر ، مثلا ، ان عائلة فنيت بكاملها ، وعائلة اخرى ارسلت احدى بناتها لتعبئة المياه فقتلت ، فعادت وارسلت البنت الثانية فقتلت ، ايضا ، وفي اليوم الثاني ارسلت البنت الثالثة فقتلت كذلك » .

(د. عبد العزيز اللبدي ، طبيب الهلال الاحمر الفلسطيني في تل الزعتر ، نفس المصدر السابق).

« ربات البيوت كن يقضين ٢٤ ساعة في انتظار دورهن في الحصول على كميات قليلة من الماء ، وقد يترتب عليهن حتى النوم في صفوف الانتظار خلال الليل ، وكان يصاب او يقتل ما يتراوح بين ٢٠ و٢٥ شخصا وهم يبحثون عن الماء » .

(هيلينا توبان مراسلة وكالة رويتر ، الصحف ١٣-٨-٧٦)

كان هناك ملجأ غير صالح للاستعمال داخل المخيم تسربت اليه مياه الشتاء واختلطت بالاوساخ . الاهالي شربوا واستخدموا كل بقايا مياه الشتاء الملوثة والموحلة التي وجدوها في هذا الملجأ .

المخيم تهدم تماما :

« المخيم تهدم بنسبة مئة بالمئة . في اليوم الاول من الهجوم الوحشي الفاشي البربري على المخيم ، بلغ عدد القذائف التي تساقطت بمعدل ١٦ قذيفة في الدقيقة الواحدة ، بدأ القصف في الساعة الخامسة صباحا في ٢٢ حزيران وانتهى في الساعة العاشرة ليلا دون انقطاع . وانت تعرف ان معظم بيوت المخيم مؤلفة من التنك والزينكو وحجارة الباطون التي لا ترتكز على عواميد . وهكذا تهدمت او تصدعت غالبية المساكن منذ اليوم الاول . وقد استخدم الفاشيون المدفعية المباشرة من مدفعية الهاوزر ومدفعية الملالات ١٠٥ لتهديم البيوت والبنايات المحيطة بالمخيم حتى يتاح لهم السيطرة بالنيران على كل زقاق وشارع وموقع في المخيم وممارسة قنص المواطنين . وقد اصيب واستشهد الكثير من الناس عن طريق القنص الجبان » .

(عدنان عقلة ، حديث خاص ..)

كيف انهار الملجأ ؟ :

بعد ان اشتعلت المواد البلاستيكية في معمل بوتاجي واحترق تماما ، على اثر قصفه بالقذائف الفوسفورية الحارقة ، تصدعت جدران المبنى المجاور له والمؤلف من خمس طوابق . الا ان الفاشيين « قصفوا هذا المبنى بالمدفعية المباشرة ، وبشكل مركز ، فتصدع وانهار وتهدم سقف الملجأ الذي

كان فيه واغلق بابه . وبعد انهياره نصبت القوى الفاشية رشاشات ٥٠٠ من عدة محاور ، بالاضافة الى قصف المساحة المحيطة بالملجأ بقذائف الهاون، وذلك بهدف منع اية محاولة لانقاذ الناس . وقد مات في هذا الملجأ ما لا يقل عن ٣٥٠ شخصا .. كلهم من الاطفال والنساء والشيوخ » .

(المصدر السابق)

فاطمة تروي مجزرة الملجأين :

كان وجه فاطمة فرج سعيد ، وهي تروي ما حدث ، يفيض بالطيبة والعذوبة والحزن ، كانت تستلقي على سريرها في مستشفى الجامعة العربية وهي تغالب الالم المنبعث من اصابة ساقها .. كانت فلسطينية الملامح والتعبير ، تتحدث ببساطة وطلاقة مذهلة . كان وعيها اكبر من سنها بكثير .

انطلقت الكلمات من عينيها ووجهها وقلبها وفمها دفعة واحدة وبهدوء وطيبة : « احنا تعجبنا وانقهرنا كثير كيف ما ذاعوا بالثورة عن هالحادثة مثل ما صارت . بدي اسألك اذا الواحد حكي بصراحة ممكن يضر الثورة ؟ في هناك غير حادث الملجأ اللي انهار على الناس اللي فيه . في ملجأ محمد عباس كان فيه حوالي ٧٥ شخص ، وفي جنبه ملجأ ثاني فيه نفس العدد تقريبا بمنطقة جاليري متى محل ما احنا ساكنين هناك ، صار في معركة قوية وتسللوا الكتائب من الدير (دير الراعي الصالح) الى الملجأين . دخلوا وقتلوا كل النسوان والاطفال والرجال الكبار في السن . قتلوا عمي ومرته وبنات عمي الثلاثة .. وقتلوا كمان بنت عمي وهي بتكون بنفس الوقت زوجة خالي واولادها الاربعة اللي كانوا معها (ثلاث بنات وصبي). وفي عيلة ابو شاكيم راحوا اولادهم كلهم .. بقولوا كانوا عشرة انفس . وقتلوا ابن خالتها لامي وكانوا ثمانية انفس .. كمان قتلوهم كلهم : وفي واحد غزاوي وزوجته مصرية ، وعيلة مصرية ست وزوجها وكان معهم طفل صغير عمره ٨ اشهر وبنت عمرها سنتين ، كلهم قتلوهم . كل اللي قتلوهم اطفال صغار ونسوان ورجال كبار وبعد ما قتلوهم ضربوهم بالبلطات وشلحوهم ، وهم ميتين ، الذهب والعقود والمصاري والساعات والخواتم .

تصور انو احنا ، قبل بيوم واحد بس كنا في نفس الملجأ اللي دخلوا عليه. نقلنا انا وامي واخواتي مع عائلة ثانية كمان ، لفوق على راس الدكوانة ، قبل بيوم واحد بس !

لما كنا في هالملجأ كانت الصواريخ والقنابل تتساقط عليه وعلى البنايات اللي جنبه . بشرفي انا وهاي المرا ، اللي قتلوها مع الناس الثانية ، في الملجأ ، اسمها انعام .. كنت اقلها : يا انعام عيري الساعة تنشوف .. تعير ساعتها ونعد انا واياها ٨ او ١٠ صواريخ او قذائف في الدقيقة الواحدة .. هدول اللي نعرف نعدهم ، هيك الحالة كانت من الصبح لليل وخاصة في الاول .. في الايام اللي كانوا يهجموا فيها .

بعدما انسحبوا الكتائب وعملوا عملتهم السوداء المجرمة هادي في الملجأين ، دخل ناس كثير وشافوا اللي حصل للاهالي . انا بايدي عديت سبعين جثة مقتولة ومضروبة بالبلطات شو بدي اقول لك ؟ في من قرايبنا لحالهم بس . من عيلة قدورة ، حوالي ٤٠ شخص قتلوهم .

الحقيقة هادي الحادثة البشعة خلتنا نتشجع كثير ونعرف انو ما في النا امل غير بالصمود ومهما كان الامر . احسن نموت بشرف ومعنوياتنا عالية . اخوي بعد هالحادثة ، وهو عمره ما حمل بارودة .. تمرن على السلاح في الملجأ وصار يقاتل مع اخوانه . امي تخانقت معه شوي في الاول . قالها : يما اذاما قاتلتش اسا لادافع عنكو وعن اهلي واهل المخيم أيمتى راح اقاتل) ؟

(فاطمة فرج سعيد ، حديث خاص ..)

لماذا قتلوا الياس الداموري ؟

التمعت عينا فاطمة ببريق من الحزن والالم والحقد ، وتابعت انسيابها :

« احنا زي ما خبرتك كنا ساكنين جنب جاليري متى . وكان في ناس جيراننا مسيحية يجيبوا لنا كل شيء .. طحين وحليب وتموين ، قبل ما يهجموا الكتائب ويحاصروا المخيم . ياحرام هدول الناس لما اجوا الكتائب قوصوا كثير منهم واخذوا الباقين معهم .

وكمان قتلوا ناس لبنانية من اهل شحيم كانوا ساكنين جنبنا . وفي قصة واحد جارنا مسكين اسمه الياس الداموري ، لبناني من الدامور ، كان يجيب وينقل الجرحى لمستشفى الهلال الاحمر الفلسطيني ، كان بيتشغل على سيارة خالي ، مسكين كان خدوم كثير يقدم حاله للخدمة دايما وينقل الجرحى ، كانوا الكتائب يبعتولوا كلام ويقولوا له : لازم توقف وتحارب معنا وتقوص على الفلسطينية . ما رضي . ولما اجو لهناك على جاليري متى قوصوه وقتلوه .. لاقينا جثته قدام الجاليري ، بعدما قدروا يتسللوا ويهجموا على الملجأين اللي خبرتك عنهن . حرام مات الياس الداموري ، زعلنا عليه كثير .. لاقوه جنب بيتنا وراء الملجأ مقتول ومتكمش بمخدة من الخوف . منيح اللي احنا هربنا قبل بيوم من المنطقة (منطقة جاليري متى) وطلعنا من الملجأ اللي قتلوا الناس فيه » .

(نفس المصدر السابق)

صمود الاهالي :

« عايشين في الملاجيء ، ما منقدر نطلع لبرة من القذائف الا للضروري الضروري .. لا اكل ، ولامي كافي ، لاضو ولا كهرباء .. على العتمة ».

(صفية فليطة ، حديث خاص ..)

« والله بدك للحقيقة يعني اكثر من هيك مافش صمود . شو في اكثر من هيك ؟ بالدقيقة الواحدة ٨ او ١٠ قذائف هدول اللي نعرف نعدهم واحنا في الملجأ .

مهما انكسرنا منبقى منتصرين ...كنا نقضي طول النهار في الملاجيء مـــا نقدرش نتحرك من القذائف .. وناس كتير يموتوا على المي كل يوم ..

ولما كانوا يقولوا لنا راح ييجـــوا الفدائية تيفتحوا الطريق للزعتر ، نمزك ونكيف .. كتير نكيف . .ونتشجـــــع بزيادة.. بس نرجع نلاقي انو ما صار شي من هالحكي .. نتضايق كتير ..ونقول ليش بعدهم ما فتحوا الطريق ؟ مش عارفين شو عم بصير فينا هون ؟» ..

« بس ما يفوتـــوا ويكســـروا معنوياتنا » :

« الحقيقة الانسان على كل شـــيء بيقدر يصمد .. يعني فواكه مـــــا نشوف .. خضرا ما نشوف ، خبز مانشوف . ونقول : يا رب ما ننكسر ، يا رب ما يفوتوا علينا الكتائب والاحرار.ما بدناش نأكل ولا بدنا اشـــي .. الا الشـــيء الضروري الضروري .. بس ما يفوتوا ويكسروا معنوياتنا .. ولا نشوف وجوههم الكالحة .. بدنا تضل معنوياتنا مرتفعة . الحمد لله في بعـــد شباب مسلحين كتيـــر ، وفي ميليشيا كتير ، واللي عمروا ما حمـــل سلاح تدرب وحمل سلاح وعم يقاتل . وبرجع بقول : يا رب ، يا رب بس الله ينصرنا .. **وما يفوتوا على الزعتر حتى ولـــو متنا كلنا** . ما بدنا لا اكل ولا شرب ولا اي شيء .. كانـــوا النسوان والبنات في الملجأ يحكوا عن الطبيخ والاكل .. كنت اقولهن : والله العظيم انا مـــــا بنفسي شيء .. لا اكل ولا شرب ولا خضرة ولا طبيخ ولا اي شيء .. بس ما نشوف وجوههم (اي الفاشيين) . والحقيقة كل الناس بترجع وبتقول : احنا مستعدين نتحمل كل شيء ..بس ما نشوف وجوههم ، يعني كل شـــيء بنصبر عليه .. بس ما يفوتوا علينـــا ويكسروا معنوياتنا . لحد اسا هـــــم مقهورين منا كتير .. وبعدنا منتصرين عليهم . امبارح في المستوصف قبـــل ما نيجي لهون مع بعثة الصليب الاحمر سمعنا جماعتنا عم بقولوا بدنا نقصفهم في المدرسة (الكتائب والاحرار الذين في مدرسة الراعي الصالح) في الساعة كذا وكذا .. شو انبسطنا ! منبسط احنا كتير لما نسمع انو جماعتنا بدهم يقصفوهم .. هم جبنا ، جبنا كتير ، بس **لولا سوريا** .. بالاول كانـــوا يعووا زي الكلاب .. كلهم هربوا من كل المنطقة .. كنت تلاقي التلال .. القلعة ، المكلس لحد المنصورية .. كلها مع الفدائية .

وفي فدائية كانوا يقولوا لنا في جنود سورين عم يقاتلوا مع الكتائب . كنا في الاول صامدين كثير كثير وبعدين ،بعدما دخلت سوريا ، بلشوا يحتلوا شوي شوي .. احتلوا جسر الباشا والقلعة والمكلس ووصلوا للمدرسة (مدرسة الراعي الصالح) » (فاطمة فرج سعيد ، حديث خاص ..)

مشاركة البنات والنساء :

« كانت البنات والنسوان تشارك في كل شيء .. ينقلوا جرحى ، يطبخوا عدس ، يعبوا مي ، ويقاتلوا . في كثير بنات ونسوان كانوا يقاتلوا ، في واحدة فدائية من عنا بقولوا لها « ابو علي »جابت اسرى من معمل الجرفي (للبوظة) في المكلس » . (المصدر السابق)

« عدد كبير من البنات والنسوان كانوا يشاركوا في المخيم . وفي منهن بالمئات .. كانوا على المحاور يشاركوا في القتال . وفي بنات على الحراسات .. زيهم زي الشباب .. وفي عدد استشهد منهن في القتال ».

(بشرى عادل ، حديث خاص)

« جميلة خلف تحولت من ممرضة الى مقاتلة واستشهدت في دير الراعي الصالح وهي تقاتل .. وكذلك بدر قدورة تحولت من ممرضة الى مقاتلة وكانت تستبسل في كل المعارك » . (عدنان عقلة ، حديث خاص ..)

دور الاطباء والممرضين بدون دواء ولا تجهيزات :

« كل جريح شهيد حتما نتيجة فقدان الدواء وضعف وسائل المعالجة » .

(سليم مصطفى ، حديث خاص ..)

الاطباء لم يتجاوز عددهم الاربعة الدكتور عبد العزيز اللبدي ، والدكتور يوسف العراقي وطبيبان سويديان . « بلغ عدد الجرحى الذين استقبلناهم خلال ٥٣ يوما حوالي ثلاثة الاف جريح اضطررنا الى نقل المستشفى بعد ان اصبح غير صالح ومسيطر على كافة مداخله بالنيران ، وتوزيعه الى ١٤ نقطة اسعاف في مختلف الاماكن السكنية كنا ننتقل من نقطة الى اخرى تحت وطأة القصف والنيران لانقاذ الجرحى . دمروا مستودع الادوية بقذائفهم . استخدمنا الشراشف والقمصان وقماش الديولين بدل الشاش . كنا نستعمل ، فقط ، الماء مع الملح لمعالجة الجروح . واتبعنا الطريقة الامريكية لمعالجة الجروح بابقائها مفتوحة . جرح معظم المرضين والممرضات اثناء تأدية عملهم واستشهدت ممرضة ، وكانوا جميعا يتبرعون بالدم . كنا نعالج مختلف الجروح بالماء والملح ، والاصابات التي في المعدة والرأس كان يموت اصحابها بسبب عدم وجود ادوية ولا غرفة عمليات صالحة ولا ادوات تعقيم » .

(د. عبد العزيز اللبدي ، د. يوسف العراقي، طبيبا الهلال الاحمر الفلسطيني ، من وقائع المؤتمر الصحفي .. ١٣-٨-١٩٧٦)

« مهما عملنا لا نستطيع ان نكافيء ونقدر الدور العظيم الذي لعبه الاطباء والممرضون في الهلال الاحمر الفلسطيني ومستوصف الجبهة الشعبية ، فقد تفانوا في عملهم .. بالرغم من عددهم القليل جدا ».

(عدنان عقلة ، حديث خاص ..)

ايفا تفقد الشهيد يوسف حمد مرتين !

اما الممرضة ايفا ستروم (سميرة) فقد لعبت ، قبل اصابتها في ساقها وبتر يدها ، دورا انسانيا عظيم جدا . الجميع كان يحترمها ويحبها . وقد كانت اشد ما تخشى عليه تعرض جنينها (الذي اسمته حتى قبل ان يولد يوسف حمد تيمنا باسم زوجها الشهيد البطل) لاي مكروه ولكنها للاسف الشديد اجهضت وهي في شهرها السابع ، متأثرة باصابتها البالغة ، فحزنت حزنا شديدا على فقدان الشهيد القائد يوسف حمد مرتين !» .

(المصدر السابق)

كيف عاملوا الجرحى على الطريق ؟

عامل الفاشيون جرحى تل الزعتر الذين نقلهم الصليب الاحمر الدولي (قبل سقوط المخيم) معاملة وحشية لا مثيل لها . وهي تعكس مدى استهتارهم بمراعاة حتى ابسط القوانين والاعراف الانسانية الدولية المتعارف عليها . فهم رفضوا ، في البداية ، اي اجلاء لجرحى تل الزعتر وتسببوا في موت الكثير من الجرحى الذين كانت جراحهم خطرة . وفي اليوم الاول الذي وافقوا فيه على عملية اجلاء ٩١ جريحا واصلوا قصفهم للمخيم حتى خلال عملية الاجلاء نفسها « واستشهد وقتها حسين مطر وشهيد اخر اسمه الاول سلامة » ..

وفي الطريق (اوقفونا لمدة ساعة ونصف الساعة في حرش تابت واطلقوا النار على بعض الجرحى وحاولوا انزالي وانزال عدد من الجرحى الاخرين .. وضربوني على راسي ..كما **ضربوا طفلا حتى الموت في احدى الشاحنات** ، لان الطفل اعتقد ان الفاشيين بملابسهم العسكرية والبنادق التي يحملونها هم فدائيون فرفع يده باشارة النصر .. فما كان منهم الا ان ضربوه وخنقوه » . (المصدر السابق)

« اوقفونا عند محطة شل في القلعة قبل مستشفى الحايك . واخذوا يطلقون النار علينا ارهابا ويشتموننا ويصعدون الى الشاحنات ويضربوننا على جراحنا وفي كل مكان . بالنسبة لي اخذوا ساعتي وشتموني وضربوني على جرحي وبصقوا علي ورغم ذلك لم اقل كلمة اخ ..

مسؤول درك لبنان العربي وهو جريح انزلوه واخذوه معهم .. لو كانوا شجعان وعندهم شهامة ما كانوا اعتدوا لا على الجرحى ولا على حرمة الصليب الاحمر الدولي . لان حرمة الصليب الاحمر الدولي من حرمة الانسانية والعالم كله .. وهم ــ بالفعل ــ معركتهم ضد الانسانية» .
(عباس علي ، حديث خاص ..)

« شلحوني ساعة وخاتم وحرف على الطريق ، واطلقوا النار ارهابا وضربوا الجرحى وشتمونا . وصاروا يقولوا : بس هالنقلة راح نسمح فيها من الجرحى وبعدين كل السكان اللي في الزعتر راح نسلخهم ونذبحهم » .
(موفق عبد الحليم ، حديث خاص ..)

« بهدلونا واحنا جايين على الطريق مع الصليب الاحمر ، سرقوا الساعات والخواتم وصاروا يسبوا علينا ، وضربوا الجرحى على جروحهم . »
(بشرى عادل ، حديث خاص ..)

« كانوا يضربوني على رجلي المنصابة ، كان معي جزدان صغير في شوية مصاري خبيته تحتي ..وكانوا يدوروا بصدري ويسألوني : وين مخبي المصاري والذهب . وكل ساعة يطلع واحد شكل ويتهددنا .. واحد يطلع وواحد ينزل ويسبوا علينا .وقفونا كتير في الشمس واحنا جرحى.

واللي في الصليب الاحمر كانوا يشفقوا علينا ويصرخوا عليهم ويقولوا لنا لا تفزعوا » !

(فاطمة فرج سعيد ، حديث خاص ..)

التصدي والبطولات :

« جميع الاهالي شاركوا في صنع الصمود » .

(سليم مصطفى ، حديث خاص ..)

« البطل **الحقيقي** كان هو القوات المشتركة من كل التنظيمات ، والتي لعبت دورا كبيرا في دحر كل الهجمات وابادة عناصر الكتائب والاحرار » .

(موفق عبد الحليم ، حديث خاص ..)

ماذا لو كانت كل قرية ومدينة ومخيم في بلادنا تل الزعتر ؟ اين كانت اليوم اسرائيل والرجعية والامبريالية امام تحدي الشعب المقاتل ؟ الجولان سقط في ستة ايام وكذلك سيناء .. وتل الزعتر يصمد ٥٣ يوما تحت أشرس الهجمات واشدها ويتلقى حوالي ٦٠ الف قذيفة وصاروخ !.

« المقاتلون كانوا يصمدون في مواقعهم ، بالرغم من شدة وشراسة القصف ، بالرغم من عدم التكافوء في الاسلحة والحشود ، استطاع المقاتلون ان يصمدوا ويصدوا كافد الهجمات . ماذا تستطيع ان ترد مثلا على قصف الملالات والهاوزر من كل مكان ؟ بقذائف الار بي جي » ؟

(عدنان عقلة ، حديث خاص ..)

خسائر العدو :

« كانت خسائر العدو الفاشي في كل هجوم يقوم به على المخيم لا تقل عن ٦٠ الى ٧٠ عنصرا بين قتيل وجريح . كنا نراهم وهم يتقدمون باعداد كبيرة فنضربهم بالرشاشات وقذائف الار بي جي ونبيدهم » .

(عباس علي ، حديث خاص ..)

« اول يوم هجموا فيه الكتائب كنا قاعدين في المحور نحضر انفسنا لشرب الشاي . جاءت زوجة ابو احمد جمعة وهو قائد مجموعة وقالت : دخلوا الكتائب . فتحركنا فورا وبسرعة . كنا أربعة مقاتلين نحمل ب ٧ وديكتريوف و ٢ كلاشن ، ومع ذلك صدينا ٧٠ مهاجما قتلنا منهم ستة عناصر واصيب

واحد منا اصابة خفيفة . ثم عاودوا الهجوم وكانوا في حدود ٦٠ عنصرا ومكشوفين علينا وقد مسحناهم مسحا واخذنا اسلحتهم . كان صمود الشباب رائع جدا وكنا مصرين على ان نموت ونحن نقاتل . مثلا الاخ المقاتل ابو عماد اصيب اربع مرات ولم يقبل ان يرتاح حسب طلب الدكتور » .

(محمد حامد ، حديث خاص ..)

« كان لي سبعة اولاد مقاتلين ، **استشهد منهم ثلاثة . وعندي اليوم اربعة جرحى من تل الزعتر ، الاستشهاد اصبح شيئا طبيعيا عندنا. لولا السوريين لما حصل ما حصل . السوريون هم المسؤولون . ونحن قادرين نسحق كل عصابات شمعون والجميل لولا تدخل الجيش السوري)).**

(امينة فضل ، حديث خاص ..)

« معظم خسائرنا كانت في صفوف المدنيين نتيجة القصف الوحشي . اثناء هجوم القوى الفاشية كانت دائما خسائرهم اربعة اضعاف خسائرنا من الناحية العسكرية . »

(عدنان عقلة ، حديث خاص ..)

بطولات التصدي :

« حين اخذوا تلة المير اول مرة ، طلعت انا ومعي اربعة شباب مقاتلين لهناك . ومش مبالغة اذا قلت لك اننا استطعنا استرجاع التلة بعد ان ابدنا منهم خمسة عناصر وهرب الباقين .. استولينا على سلاحهم واسقطنا علمهم ودعسنا عليه ورفعنا محله علم فلسطين .. وبلشت النسوان تزغرد والناس غنت وانبسطت .. وارتفعت معنوياتها . » .

(عباس علي ، حديث خاص ..)

« اذكر من المقاتلين الذين قاموا بعدد من الاعمال البطولية وقتلوا العشرات من الفاشيين ودمروا العديد من آلياتهم ، اذكر ابو نوال الذي استشهد في المكلس ، ادريس ، صالح ابو النعاج ، الشهيد النقيب بدر زوين ، فؤاد فيصل ، جمال ابو النصر ، سامي حمد ، عبدخنجر ، محمد شحادة ، خالد شحادة ، ابو الفهد ، وابو معذب وغيرهم الكثير .. والغالبية الساحقة منهم استشهدوا ولا تقل خسائر الفاشيين في تل الزعتر وحده عن ١٥٠٠ قتيل وجريح » .

(عدنان عقلة ، حديث خاص ..)

« كلنا حملنا السلاح في المدة الاخيرة للدفاع عن المخيم . هربنا من قصف اسرائيل لكي نتعرض لقصف الكتائب. الفروقات معدومة بين لبناني وفلسطيني او مسلم ومسيحي .. كلنا كنا نشارك في الدفاع عن المخيم. استشهد احد ابنائي ».

(حسن عطية ، لبناني من اهالي كفر شوبا ، حديث خاص ..)

« محور الدكوانة كان محورا مشتركا بين اللبنانين والفلسطينيين . ولم يكن هناك اي تمييز بين الهويات والجنسيات ، كلنا في معركة واحدة ، ندافع عن المقاومة والحركة الوطنية والشعبيين اللبناني والفلسطيني ، ومن اجل عروبة لبنان ، ووحدة ارضه وشعبه » .

(مريم خليل ، لبنانية من الجنوب ، حديث خاص ..)

التآمر ودور الصاعقة والنظام السوري :

التآمر : « لا يوجد تفكير بالاستسلام بالرغم من الحالة الصعبة جدا التي يمر بها المخيم .. الواقع ان الشيخ شمس الدين وهو من اتباع موسى الصدر حاول ان يبث روح الاستسلام وان يسجل اسماء بعض الناس الذين يرغبون في تسليم انفسهم للكتائب لكي ينقلوهم الى المنطقة الغربية . الا ان حركة المقاومة والقوى الوطنية اللبنانية ومعهما الغالبية الساحقة من جماهير المخيم وسكان رأس الدكوانة وقفت بالمرصاد لهذه المحاولة المشبوهة ولمعرفتها بطبيعة واساليب الفاشيين » .

دور الصاعقة : « لما كنا على تلة المير وبدأت معركة المكلس والمصانع ، طلعت قوة من الصاعقة على اساس تقوم بتلغيم طلعة معمل الجرفي كلها في منطقة المصانع . وحين تقدمت الملالات لم تنفجر تحتها الالغام .. .. لان بلال حسن مسؤول الصاعقة كان متفقا مع الكتائب مثل ما تبين النا بعدين. وكانت الالغام محطوطة من غير صواعق . وعلى فكرة كانت التنظيمات الثانية هي اللي ناوية تطلع وتلغم .. بس بلال قال لهم : انا بعثت مجموعة علشان تلغم مافش داعي تبعثوا حدا، واحنا عنا الغام اكثر .. خلوا الالغام اللي معاكو لمناطق غيرها ! والصاعقة هي اللي سلمت القلعة للقوى الفاشية بدون قتال » .

(موفق عبد الحليم ، حديث خاص ..)

« اقتحم الكتائب والاحرار وجيش بركات المصانع واخذوا تلة الـ ٣٧

بعدما انسحبت منها الصاعقة .. او الاصح سلمتها بدون قتال .. على فكرة الصاعقة كانت كتير متامرة ..ما كانتش تشتغل مظبوط او كما هو مطلوب . باستثناء الاخ الشهيد ابونوال رحمة الله عليه .. وبعض اللي انسحبوا منها وانضموا النا ، بلال حسن مسؤول الصاعقة العسكري بعت رسول للكتائب على الدكوانة علشان يعمل مفاوضات معهم لسحب المدنيين والجرحى من تل الزعتر .كان رد الكتائب انهم بيشترطوا توجه المقاتلين بمجموعات من عشرة كل مجموعة الى ساحة الدكوانة ويرموا اسلحتهم ويسلموا (وبهاي الطريقة ،طبعا ، بتم ابادة كل المقاتلين) وبعدين بوافقوا على سحب المدنيين .وكان بلال منفرد بها لتصرف وما وافق حدا على هالشي لا من الاهالي ولا من المقاتلين . وبعدين **سلم بلال نفسه للكتائب في الدكوانة مع مجموعة من عناصره** . واحنا بدنا نطالب الثورة الفلسطينية من اجل المحافظة على دم الشهداء بان تحاكم امثال هؤلاء الناس مثل بلال وزبانيته واللي تخاذلوا كتير في معركة المكلس والمصانع .

ففي معركة المكلس والمصانع ،واناكنت فيها ، تشكلت ثلاث مجموعات كبيرة . مجموعتين قوات مشتركة من جميع المنظمات والمجموعة الثالثة من الصاعقة على اساس ان تقوم فقط باسناد المجموعتين . لكنها لم تلعب هذا الدور .. وتحجج بلال بعدين بأنوما عندوش شباب كتير .. وكانت النتيجة اننا خسرنا عدد من الشهداء والجرحى في هاي المعركة وما تمكناش من استعادة كل المواقع .

مطلب جماهير تل الزعتر ان تظل الثورة مستمرة مهما كانت الصعوبات ولا يكون هناك تخاذل ابدا .. وبعدين على الثورة ان تحاسب كل انسان خان او تخاذل في حماية تل الزعتر . اوخان الثورة ككل لازم يتحاكم ويعدم فورا».

(عباس علي ، حديث خاص ..)

« اعتقد ان الجنود السوريين كانوا يشاركون بالاقتحامات ويسلمون المواقع للفاشيين » .

(المصدر السابق)

جنود سوريون وقذائف عبرية :

« القوات السورية شاركت في معارك مخيم الصمود بشريا واليا ، وكنا نشاهدهم مع دباباتهم من نوع ت ٦٢ بالعين المجردة ، وهناك ملالات جديدة نشاهدها ، لاول مرة ، ظهرت في معارك التل ، كما ان بعض القذائف سقطت في المخيم ولم تنفجر عليها كتابات باللغة العبرية » .

(«السفير » اللبنانية ، « حكايا من مخيم الصمود يرويها مقاتلان تسللا من تل الزعتر » ١٦

ـ٧ـ٧٦) .

« كنا نسمع اصوات ولهجة الجنود السوريين بشكل واضح اثناء المعارك ، الكتائب والاحرار جبنا ، كانوا يخافوا من الهجوم ومعظمهم مخدر ، كانوا يشربوهم مخدرات ومشروبات علشان يتشجعوا ويقاتلوا . كنا نفرغ اكثر من ١٥ طلقة ومرات مخزن كامل حتى يقع العنصر منهم على الارض . وهذا مما يدل على ضعف الاحساس بالالم فورا نتيجة المخدرات والمشروبات .. قتلنا خمسة من الكتائبيين وجدنا في جعبهم الواح من الحشيشة مع سجاير كنت وطعام » .

(موفق عبد الحليم ، حديث خاص ..)

« الشعب السوري يقاتل معنا » :

« كان هناك شخص سوري بيشتغل في معمل ضو . انضم الينا وقت الحوادث ، استلم سلاح ودربناه وقام بعمليات ناجحة كثيرة ، اقتحم مع مجموعته تل البرج العالي والمدرسة اليونانية .. وفي كثير من الشعب السورى بالمخيم كانوا يقاتلوا معنا » .

(المصدر السابق)

تل الزعتر يقرر الصمود .. ويأمل :

« نحن هنا ، اخذنا قرارنا ، وهو قرار نهائي ، اننا سوف نناضل حتى آخر قطرة من دمائنا ، فليس لدينا خيار سوى بين حلين اثنين اما الصمود حتى آخر قطرة من دمائنا والاستشهاد واما ان نكسر شوكة الهجمة الفاشية ونفوت على الفاشيين فرصة اشباع شهوة الدم فيهم .. سوف نبقى صامدين حتى تنفذ طاقاتنا وكل امكاناتنا ، وجماهيرنا هنا لها امل كبير في ان تستطيعوا الوصول اليها لافشال مخطط اعداء شعبينا الفلسطيني واللبناني سواء منهم الفاشيون او حكام دمشق ».

(نص البرقية التي ارسلها اهالي ومقاتلوا تل الزعتر الى غرفة العمليات ونشرت في الصحف في ١ ـ ٨ ـ ٧٦) .

ويخاطب مؤتمر وزراء الخارجية العرب دون جدوى :

«نتحدث اليكم ليس من موقع الاستجداء واستدرار العطف انما

من موقع الصمود البطولي .لقد ولدنا من قلب الجوع والعطش ، لذلك قررنا أن نضع امامكم صورة حية لمخيمنا وان نسجل **للتاريخ** اننا وضعناكم امام مسؤولياتكم حتى لايقع في ذهن اي من الجماهير العربية انكم لا تعلمون ما يجري .. ان كثيرا من جرحانا الذين كان يمكن الا تؤدي اصابتهم الى الموت قد نزفوا حتى الموت بسبب انعدام الدواء .. ولقد دفنا شهداءنا في اقرب حفرة استطعنا حفرها واستشهد بعضنا اثناء ذلك . ان ما يجري الان في مخيمنا يصفع اولئك الذين كذبوا او قالوا انهم جاؤوا لكي يفكوا الحصار عنه وهم حتى الان يكذبون الكذبة ذاتها ويساعدون الفاشيين . نريد ان نعلمكم اننا سنقاتل دفاعا عن هذا المخيم بالاظافر اذا نضب السلاح ، ونحملكم مسؤولية ابعاد الغزاة السورين الذين هم الان طرف في النزاع » .

(نص البرقية التي ارسلها اهالي ومقاتلو تل الزعتر الى وزراء الخارجية العرب . الصحف ١٤ ـ ٧ ـ ٧٦) .

ومع ذلك .. سقط الزعتر

وفقدت مصادر المياه ، وشحت الذخيرة ، واوشك العدس والطعام على الانتهاء ، لم يعد هناك خشب من البيوت المهدمة لم يحترق بعد !.. طال الانتظار .. والصمود ليس ارادة فقط .. بل مقومات واستعدادات ، والاطفال يموتون من الجوع والعطش ، والطريق الى تل الزعتر ما زالت طويلة وشاقة.. الطريق من الزعتر الى الجبل والمتحف وعيون السيمان اسهل ! اسهل من الصمود بدون مقومات « نستطيع الصمود كمان عشرين يوما بدون طعام ولا ماء لو نعرف انكم ستشقون الطريق » .. هكذا خاطبنا المقاتلون والاهالي بشموخ وقهر .

كيف تمت عملية الاخلاء ــ المذبحة ؟

« تعهد امين الجميل في رسالة خطية الى اهالي المخيم، بعد الاتصالات التي قام بها مبعوث الجامعة العربية صبري الخولي مع الكتائب ، « تعهد » بأنه لن يتم التعرض لسكان وجرحى المخيم اثناء عملية الاخلاء التي ستتم تحت اشراف ممثل الجامعة العربية والصليب الاحمر الدولي .. ولكن ما ان تحركت سيارات الصليب الاحمر لاجلاء السكان حتى بدأ الفاشيون تصفية كل عناصر الشباب من سن ١٢ فما فوق ، بعد ان كانوا قد فتحوا نيران رشاشاتهم على الاهالي بشكل عشوائي ، والقيام بتجريدهم من كل ما يحملون من اموال وحلي وخواتم واي شيء له قيمة .

حين وصلوا الينا .. قادونا انا والدكتور عبد العزيز اللبدي والمرضين والمرضات في طريق طوله حوالي ٢٠٠متر ، رأيت بعيني جثث الاهالي منتشرة على جانبي الطريق من اوله حتى نهايته .

في الدكوانة كان معي عشرة ممرضين اوقفوهم بالصف اثنين اثنين وبعد لحظات اطلقوا عليهم النار وقتلوهم جميعا امام عيني . لا استطيع ان انسى منظر القتل الجماعي هذا ما حييت . لقد تم انقاذي والدكتور عبد العزيز اللبدي بفعل الصدف . لقد تعرف علي آمر مجموعة كتائبية كنت قد عالجته فيما مضى وقد عمل على مرافقتي عبر الحواجز حتى تم انقاذي وعبد العزيز بعد تدخل صبري الخولي . انهم مجرمون لا يعرفون المبادىء ويتسترون بالدين . لقد قتلوا الكاهن بولس عبد الكريم ذبحا بالسكين في تلة المير لانه فلسطيني . كما قتلوا الدكتور جورج ديب و ٧ ممرضين فلسطينيين مسيحيين » .

(د. يوسف عراقي ، طبيب الهلال الاحمر الفلسطيني في تل الزعتر ، نفس المصدر السابق)

« أين انتم » ؟ :

فتاة في العاشرة وقفت على احد الجدران في دار المعلمين والمعلمات في بئر حسن وقالت متسائلة : « اين انتم يا من يجب ان تدافعوا عنا ؟ اين كنتم عندما اكلنا العدس وشربنا مياه المجاري طوال ثلاثة اشهر ؟ » .

(« السفير » ١٣-٨-٧٦)

« وفق ما افاد مبعوثان ارسلهما كامل الاسعد « للاطمئنان » على ابناء تل الزعتر ، قال المبعوثان وهما احمد زعرور وشارل خوري ، بعد مقابلتهما (للفاشي) مارون خوري « الباش » : ان الجثث كانت تنقل بالجرافات .. وكان هناك ١٢ حاجزا للتصفية بين مهنية الدكوانة والمتحف . والاليات شوهدت تسير فوق اجساد الجرحى .. سحلوا جثث ٨٠ من الشباب على طريق جونيه .... وجميعهم ، أمس ، كانوا هناك : القتلة المهووسون ، اللصوص المحترفون والمرتزقة الحاقدون ، احاطوا بالمخيم كقطيع من الذئاب .. ومئات من الشباب اللبنانيين والفلسطينيين اختفوا ... منهم من قتل على الحواجز فورا ، ومنهم من سحب الى التحقيق .. ولم يعد » ..

(نفس المصدر السابق)

الوحوش اخذوا بنتي الحلوة !

« لقد قتل اولادي الستة ، وقتل زوجي معهم . وما زال هناك ولدان لي في تل الزعتر ، يقاتلان حتى آخر نقطة من دمهما كما اقسما . ولي ولدان استشهدا قبل قليل . لقد ربطوا ايديهما بحبال واوقفوهما على جدار . وبعد ذلك بطحوهما ارضا . وبعد ان اشبعوهما ضربا ، قتلوهما امام عيني .. لقد رشوهما رشا .. وشاهدت الدماء تنفر من ضلوعهما ومن ضلوعي .. وكذلك سرقوا لي ابنتي الان . لقد جاءت معي وعلى المتحف وجدوا على صدرها شارة الهلال الاحمر فأنزلوها من السيارة يا ولدي .. اخذوا لي بنتي الحلوة . اخذوها ولم يبق لي سوى هؤلاء الثلاثة ، هؤلاء الاطفال الثلاثة . الى من اذهب ؟ وهل يردون لي بنتي الحلوة ؟ قبل ان اخرج من تل الزعتر ، قال لي ابني وهو يودعني : اذهبي ياما ، بالله عليك لاتحرجيني . فأنا لا أعرف ماذا اقول لك . ولكن لي طلب واحد منك هو ان تديري بالك من اختي ، واخوتي الصغار ، آه يا ابني ، الوحوش اخذوا اختك » ..

(صفية محمد موسى الخطيب ، نفس المصدر السابق)

« جميع الشباب لازم يموتوا » :

« طلعت براسي . اولادي الخمسة ماتوا .. شبابي قتلوهم امام عيني . كنا في الدكوانة ، حصلت على ورقة من اجل انقاذ أحد اولادي ، واحد فقط . تصور ان علي ان انتقي واحدا منهم ! ولما علم اولادي بذلك ، اخذ كل واحد منهم يتبرع من اجل انقاذ الثاني . ولم يبق لي في النهاية سوى اصغرهم . وعندما وصلنا الى المتحف اخذوا لي الخامس . قلت لهم انني حصلت على ورقة من اجل انقاذه ، قالوا : « الشباب جميعهم لازم يموتوا » . وليس هناك اوراق نعتمد عليها . لقد مات الخمسة ، حتى الصغير .. اراد ان يلحق اخوته . لقد قال لي قبل ان يأخذوه : تشجعي يا امي . صحيح ان اولادك ماتوا . ولكنك تملكين جميع الابناء المقاتلين . وقبل يدي . وذهب ياولدي . يا اولادي .. لو كنت اعلم انهم سيقتلوننا ، لفضلت الموت في تل الزعتر وراء المتراس الذي قضيت عليه شهرين ولفضلت الموت مع اولادي . لماذا لم يساعدونا ؟ » .

(وفيقة احمد وهبي ، نفس المصدر السابق)

امرأة سورية
من تل الزعتر :

« امرأة سورية فقدت وحيدها .. واخذت تردد على اسماع من حولها : « شلحونا على الحواجز الصيغة والخواتم والساعات .. ولادنا مشي

القمل في رؤوسهم .. شهر ونصف قاعدين في الملاجىء .. اجسامنا ما شافت المي .. حافظ الاسد بعت بجنوده ليقتلوك يا ولدي .. موسى الصدر وازلامه خانوك يا ولدي .. شو عملنا حتى يضربنا الجيش السوري بسلاحنا .. اكلنا عدس وتمر ولم نهتم .. ولكن المي اثرت علينا .. لولا المي ما سقط تل الزعتر .. شو بدي اعمل بعدك يا محسن ؟ » ..

« الزعتر ما بينكسر » ..

امرأة اخرى قالت لي : **« نحن يا خالتي ما انكسرنا والزعتر ما بينكسر ..** بس المي والغذاء والجيش السوري والخونة هم الذين كسرونا » .. « وفي مكان آخر تجمهر عدد من الشبان حول مقاتل استطاع ان يتسلل مع مجموعته عبر طريق جبلية ، قال : لم يكن سقوط تل الزعتر واردا لولا افتقاره الى الماء والمواد الغذائية . لقد ابدنا الكثير من الفاشيين اثناء هجماتهم المتتالية على المخيم . كنا نحصدهم كالماعز ولم يسقط منا الكثير برصاصهم ، بل معظم الذين استشهدوا او جرحوا اصابتهم شظايا القذائف .. انهم جبناء غدروا بنسائنا واطفالنا . لقد فضحوا اربعة بنات من اقربائي واعتدوا على بعض النسوة .. وقتلوا الكثير من الرجال على الحواجز » .

(جريدة بيروت ١٣ـ٨ـ٧٦)

قوات الامن العربية تتفرج ! :

« في طريقنا امام السيار (قرب اوتيل ديو بالاشرفية) خطفوا اربعة اشخاص من اقربائي وهم محمد رزوق ورسمي ومحمد الحاج صبري واخوه على حاجز الاحرار وضربوهم بأعقاب البنادق والمسدسات واخذوهم الى جهة مجهولة . لماذا تواجد قوات الامن العربية في منطقة المتحف ، وما هو عملها ، والقوات الفاشية تخطف وتقتل وتضرب على بعد عدة أمتار منها ؟ ان الفاشيين ارتكبوا مذابح رهيبة بحق اهالي تل الزعتر وذبحوا وسحلوا عددا كبيرا من النساء والشيوخ والاطفال » .

(عبد الوهاب عبد العال ، المحرر ، ١٣ ـ٨ـ ٧٦)

رأيت .. واصيب ابني :

« رأيت في الفندقية (بالدكوانة) بعض المسلحين يطلقون النار على العائلات التي التجأت اليها ، وقد اصيب عدد كبير من الاهالي ومن

ضمنهم ابني الذي يبلغ من العمر ١٥ سنة برصاصة في رأسه » ..
(مريم محمد برغوت ، نفس المصدر السابق)

« سلبوني ١٥٠ ليرة واخذوا مني اربعة اولاد وتركوني وحدي الجأ الى المنطقة الغربية .. ولا اعرف الى اين سأذهب الان من دون اولادي » ..

(نايفة شحرور ، نفس المصدر السابق)

وجهنا نداءات .. وبقينا وحدنا نحارب :

« لقد وجهنا نداءات ورسائل مفتوحة الى الدول العربية ، وخاصة وزراء الخارجية العرب عندما كانوا في القاهرة ، وحملناهم مسؤولية استمرار حصار تل الزعتر والهجمات الوحشية التي تقوم بها القوات الفاشية دون جدوى .. ولم تحرك ساكنا .. وبقينا **وحدنا** نحارب في ظل العطش والجوع والمرض .. ان الجثث متناثرة في الشوارع ، والمياه مفقودة تماما ، والحصول عليها شاق جدا ، وتأتي ممزوجة بدماء الشهداء » ..

(محمود الاحمد ، المحرر ، ١٣-٨-٧٦)

ذبحوا عشرة اشخاص من عائلة واحدة :

« لقد القوا القبض على جميع افراد عائلتي وزوجاتهم واطفالهم ونقلونا الى النافعة ووضعونا صفوفا طويلة ارضا حيث اخذ بعض الفاشيين الشباب من بيننا حيث كانوا يطلقون عليهم النار **امام انظارنا** فيتساقطون الواحد تلو الاخر . وبعد ان انتهوا من هذه المجزرة نقلونا بواسطة الشاحنات الى الاشرفية وكانوا على الطريق يقولون لنا « جلس رأسك » .. وما ان يفعل احدنا حتى يطلقون عليه النار فيقتلونه ويلقون بجثته في الشارع . وكنت اجلس على احد ابنائي في الشاحنة ومعي زوجته وطفلها فطلبوا منا الوقوف وما ان شاهدوه حتى اخذوه من بيننا ونقلوه الى جهة مجهولة .. وعندما حاولت زوجته الصراخ اطلقوا عليها النار وقتلوها مع طفلها ..

وقد فقدت من افراد عائلتي **عشرة ذبحوا وواحد خطف** وبقي معي الان ٨ أطفال لا ادري كيف اؤمن لهم وسائل المعيشة وانا لا املك شيئا . والذين ذبحهم الفاشيون ذبح النعاج هم اولادي : غندور الحسين الغندور ٣٧ سنة وزوجته فوزية موسى ٢٥ سنة ، وقاسم ٣١ سنة وزوجته خديجة ٢٥ سنة ، وناصر ٢٧ سنة ، ومشهور ٢٢ سنة ، ومحمد حسين ١٩ سنة ، ويسرى ابنة ابني علي ،

وحسين ابن ابني علي ومريم زوجة ابني علي » .
(حسين علي الغندور ، المحرر، ١٥-٨-٧٦)

عشرات الجثث :

« في الدكوانة ، المدخل الشمالي للمخيم ، منظر يثير الرعب . اذ تتراكم هناك **عشرات الجثث** وتجبر رائحتها المرء على ارتداء قناع ليمكنه من متابعة السير . ويستحيل احصاء هذه الجثث التي **تشمل الرجال والنساء والاطفال** ، لان الامر يتطلب زيارة المنازل واحد بعد الاخر » .

(مراسل وكالة الصحافة الفرنسية ، النهار، ١٤-٨-٧٦)

صمودك العنيد ..
أحبط فرحهم بالانتصار ! :

ولاحظ مراسل وكالة الصحافة الفرنسية ، الذي قام بجولة تفقدية الى المخيم ، « ان ميليشيا القوات المحافظة لم تبد غداة النصر الذي حققته مظاهر الفرح او التفوق الحربي التي تعقب عادة اي انتصار من هذا النوع » !

(نفس المصدر السابق) .

ايها المعلم ! :

صمودك العنيد .. لم يتحول الى هزيمة .. حتى اعداؤك لم تسمح لهم ان يفرحوا بسقوطك .. صمودك العنيد لم يتحول الى سقوط !.. وسقوطك المفجع الدامي انذار لنا لكي نتدارك سقوطنا وهزيمتنا وترددنا .

لقد افتديتنا يا تل الزعتر .. جعلتنا نرى ماذا تفعل الفاشية الدموية بالشعب ، اذا لم تسحق تماما وبأقصى سرعة ؟

علمتنا بالدم والضحايا والالام ما هي مخاطر الاوهام والحلول الوسطية في لحظة لا تسمح فيها طبيعة الصراع واحتدامه بأي حل وسط .

علمتنا الوضوح ، قلت بجوع وعطش اطفالك ونسائك ومنازلك المحترقة ودماء شهدائك وابريائك : **هوذا العدو بدون اوهام ..**

وقدمت لنا الصمود والتحدي جوابا .

فتحت لنا الطريق اخيرا الى تل الزعتر !

ورأينا فيك ، بالعين المجردة ، (فنحن لا نرى الا ما يقع مباشرة امام اعيننا ولمسافة امتار قليلة فقط) كيف تنعكس نتائج الحلف الامبريالي الصهيوني الفاشي الرجعي العربي على الجماهير ..

خجلت يا تل الزعتر ان انظر في عيون مهجريك ومقاتليك .. لاستفسر منهم مباشرة عما حدث في اللحظات الاخيرة . وعيونهم تتهمني ، تتهمنا جميعا . وتتساءل بالحاح عن الطريق الى تل الزعتر ؟

عيون اهلك ومقاتليك تطاردنا بأسئلتها ولا تقبل الردود والاجابات المتأخرة ..

ماذا قال عنك الفاشيون ؟ :

قالوا انك مجرد معسكر حربي لايوجد فيك اطفال ولا نساء .. وان فقراءك من العمال والكادحين قوم من اللصوص وقطاع الطرق .. رسموك في دعايتهم الحاقدة بعبعا وشرا .. لان جماهيرك تحمل السلاح وتريد ان تقاتل حلفاءهم الامبرياليين والصهاينة . قالوا .. وقالوا .. بينما اطفالك يموتون من الجفاف وسوء التغذية .. حقدوا عليك لانك تقاتل ضد فقرك ومن اجل فلسطين . ومن اجل لبنان وطني ديمقراطي عربي في آن واحد !

تحدثوا عن « الامتيازات » التي يحظى بها سكانك وهم في اكواخهم التنكية يقبعون .

اليوم دمروا مخيم تل الزعتر ، كانوا يريدونه ، فقط ، قوة عمل مأجور تباع في سوق النخاسة ، لا قوة سياسية ثورية ..

لذا حقدوا عليه ، وعلى كل الوطنيين والكادحين في لبنان .. وهم يمارسون حقدهم تشويشا وكذبا وافتراء ..

« يكون مذلة ان نقوم على ارض لبنان مدن تنكية » .

(الفاشي سعيد عقل في مؤتمر صحفي ، الصحف ١٥ ـ ٨ ـ ٧٦)

الطريق الى تل الزعتر !

لقد عبدت لنا بصمودك يا تل الزعتر : الطريق الى تل الزعتر ! الطريق اليك باتت شاقة وطويلة ·· لكن لا خيار ، فما من طريق آخر ··

الطريق الى تل الزعتر تمر بقبر التردد والحلول الوسطية ، تمر بسحق الفاشيين وحلفائهم وتوحيد لبنان بقوة السلاح · الطريق الى تل الزعتر تمر من خلال طرد ودحر التدخل العسكري الرجعي ·

الطريق الى تل الزعتر ، تمر بضرب التسوية الامبريالية في لبنان والمنطقة العربية ، االطريق الى تل الزعتر يمر باقامة نظام وطني ديمقراطي في لبنان ومهما كانت الولادة عسرة ، الطريق الى تل الزعتر طريق الاستمرار والتصدي والعنفوان الثوري : طريق الجماهير ·

الطريق الى تل الزعتر تمر في عمان وجرشية ودمشق وعواصم عربية كثيرة ·· وتؤدي الى فلسطين !

طريق تل الزعتر اقرب الطرق الى فلسطين !

لمحة اجتماعية اقتصادية :

انشىء مخيم تل الزعتر عام ١٩٥٠م ★ ، وهو يقع في المنطقة الشرقية الشمالية من ضواحي بيروت . وتعتبر هذه المنطقة التي تحيط بالمخيم من اهم المناطق الصناعية في لبنان . فهي كانت تضم عام ١٩٦٨ ٢٩٪ من عدد المعامل في لبنان ، و ٢٢٪ من عدد العمال ، و ٢٣ ٪ من رأس المال الصناعي اللبناني . تبلغ مساحة المخيم الاجمالية حوالي ٢٩٥ دونما .

بلغ عدد سكان المخيم عام ١٩٧٢ حوالي ١٤ ألف فلسطيني وتقديرنا عام ١٩٧٦ حوالي ١٧ ألف فلسطيني . وهو يضم عددا كبيرا من اللبنانيين ، وخاصة اهل الجنوب وبعلبك .

★ كل المعلومات التي سيأتي ذكرها الان مأخوذة عن كتاب : هاني منذس ، « العمل والعمال في المخيم الفلسطيني » ، بحث ميداني عن مخيم تل الزعتر ، مركز الابحاث الفلسطيني، بيروت ، ١٩٧٤ ·

بلغ عدد الاولاد الذين من فئة عمر٦ ــ ١٤ خارج المدارس ١٣٤١ ولدا لعام ١٩٧١ ، اي بنسبة ٣٦،٨٪ .فالاولاد يضطرون ، بسبب تردي الاوضاع الاجتماعية ، الى ترك المدرسة في سن مبكرة والالتحاق بالعمل .

ينتمي معظم اهالي المخيم ، من حيث اصولهم الاجتماعية في فلسطين ، الى سكان القرى بنسبة ٨٦،٩٪ .

اما الاوضاع الاجتماعية العامة بالمخيم ، فمن حيث الاكتظاظ السكاني فان معدل كل ٤ ــ ٦ افراد يسكنون في غرفة واحدة وكل ٦ ــ ٨ افراد يسكنون في غرفتين .

معظم مساكن المخيم من براكسات التنك والتخاشيب أو انها مشادة بجدران من الباطون المسقوف بألواح الزينكو .

الطرقات الداخلية في المخيم ضيقة للغاية ، وهي في معظمها غير معبدة بالباطون وتمتلىء بالحفر والاوحال والاوساخ . كما تمر في وسطها الاقنية ومجارير المياه القذرة المكشوفة .

والاونروا لا تقدم جميع خدماتها الى جميع السكان ، بل الى حوالي ٣٥٤٠ شخصا فقط . علما ان معدل مجموع خدمات الاونروا في كافة المجالات (غذاء + طبابة + تعليم) لا تتجاوز ٧ ليرات لبنانية في الشهر للفرد الواحد أي ما يعادل دولارين !

ولا يوجد مستوصف للاونروا خاص بالمخيم .

قبل ظهور الثورة الفلسطينية في لبنان عام ١٩٦٩ ، كان محظورا على الفلسطينيين القيام بأي ترميم أو اصلاح جزئي للمسكن الا بعد الحصول على موافقة رسمية من السلطات المختصة وكان اهالي المخيم ، وسائر المخيمات الفلسطينية الاخرى في لبنان بالطبع ، يعانون الامرين من تعسف السلطات اللبنانية . فقد كان محظرا عليهم ممارسة أي نشاط سياسي أو اجتماعي أو ثقافي ومعرضون للملاحقة والاعتقال والمضايقات المتكررة .

يعمل العمال الفلسطينيون في المؤسسات الصناعية الصغيرة والاعمال ذات الطبيعة الموسمية والشاقة . وتصل نسبة العمال الى حوالي ٩٠٪ من مجوع العاملين .

ومستوى الدخل الشهري للاغلبية الساحقة من العمال (حوالي ٨٥٪)

لا يتعدى ٤٠٠ ل. ل .

ويعاني العمال الفلسطينيون مايعانيه العمال اللبنانيون من مشاكل الصرف الكيفي من العمل والتعويضات وبدل أيام المرض والاجازة السنوية .

الا ان العمال الفلسطينيين يعانون بدرجة اكبر وخاصة لجهة اشتراط الحصول على اجازة العمل أو استخدامها من قبل رب العمل كأداة ضاغطة لكي لا يطالب العامل الفلسطيني بأية زيادة في الاجر او حق من حقوقه المشروعة الاخرى . والعمال الفلسطينيون يتمركزون عادة في المؤسسات الصناعية الصغيرة والمتوسطة التي تزداد فيها درجة الاستغلال والعلاقات الشخصية .

ولا تخول اجازة العمل العامل (الاجنبي) الفلسطيني حق العمل في كافة المؤسسات أو المهن المختلفة، بل انها تقتصر على السماح بالعمل في المؤسسة التي يعمل بها فقط وبناء على موافقتها الشخصية . والعمال الفلسطينيون ، بل والفلسطينيون عموما في لبنان لاتشملهم خدمات الصندوق والضمان الاجتماعي بالرغم من كونهم يدفعون الرسوم المستحقة ! فهم يعاملون (كأجانب) في كل ما يتعلق بالقوانين .

هذا ، بأيجاز شديد ، وضع مخيم تل الزعتر .. والفلسطينيون (الاجانب) في لبنان .

مدرسة الصمود والاقدام في تل الزعتر

الدكتور نجيب ابو حيدر

الصمود في الحرب فضيلة عسكرية من الطراز الاول ، ودليل حسي على ان افراد القوه الصامدة أمام الهجمات المتلاحقة المتسمة بالتصميم والاستمرارية يقاتلون من اجل هدف سام يؤمنون به ؛ ومثل عليا يسعون الى تحقيقها . ويمتلكون قسطا عاليا من الشجاعة النفسية التي تعني وجود الخطر وتحس بالخوف ، ولكنها تسيطر عليه وتقهره ، لانها تعرف بالممارسة القتالية ودراسة التاريخ ان الخطر الناجم عن الصمود اقل بكثير من المخاطر المادية والمعنوية التي ترافق التخاذل والتخلي عن الموقع .

ويقف الصمود دائما في مواجهة الاقدام . وهذا لا يعني ان الصمود متناقض مع الاقدام فكلتا الصفتين تنبعان من مصادر سامية واحدة . ولكن اولاهما تظهر في العمليات الدفاعية وصد الهجمات المعاكسة ، على حين تظهر الثانية في العمليات الهجومية وخلال الهجمات المعاكسة . ولا يكشف الصمود او الاقدام مثل موقف الخصم . فكلما ازدادت شراسة الخصم وحدة هجماته وتواترها اخذت فضيلة الصمود مغزاها واوتفع مستواها ، وكلما اختل ميزان القوى لصالح الخصم كان الاقدام في الهجمات المعاكسة حقيقيا يستحق الاعجاب . هذه هي الحقائق التي طرحتها امامنا معركة تل الزعتر ، وفي ضوء هذه الحقائق يمكن فهم مغزى القتال البطولي الذي كشف فضيلتي الاقدام والصمود لدى القوات الفلسطينية التي دافعت عنه خلال ٥٢ يوما وبرهن على تحليها بالقوى المعنوية العالية والكفاءة القتالية النادرة .

لقد كان مثلث « تل الزعتر ــ جسر الباشا ــ النبعة » دائما موقعا متقدما للثورة الفلسطينية والقوى الوطنية داخل المنطقة التي تسيطر عليها الكتائب وحلفاؤها (القوات اللبنانية) كما كان ، بحكم موقعه ، شوكة الى جانب هذه المنطقة ، وخطرا يهدد مؤخراتها وتحرك قواتها . لهذا كان من الطبيعي ان يفكر الكتائبيون وحلفاؤهم بتصفية هذا المثلث منذ اندلاع الاحداث في نيسان ١٩٧٥ . ولكن ميزان القوى لم يكن يسمح لهم بذلك ، فاكتفوا بتطويق المثلث الذي غدا جيب مقاومة مغزولاً تقريبا عن القوى الصديقة .

وبقي الجيب مطوقا عدة شهور، وبقي سكانه الفلسطينيون واللبنانيون محاصرين طوال هذه المدة عسكريا وتموينيا ، ولم يصلهم من الامدادات سوى كميات محدودة خلال فترات الانفراج الامني التي عرفتها الحرب الاهلية . ورغم هذا الحصار الطويل ، فان قيادة الكتائب وحلفائها لم تقدم على اقتحام المثلث رغم رغبتها في ذلك ، ورغم قيام الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية بتوسيع الرقعة التي تسيطر عليها ، والقيام بمبادرات تعرضية جريئة بقواها الذاتية . ولا يرجع احجام قادة الكتائب وحلفائها عن فكرتهم الهجومية الا الى ميزان القوى ، فلقد كانت مشتتة في اكثر من موقع ، وتقاتل على الغالب دفاعيا ، كما كانت هذه القوات بحكم طبيعتها وتسليحها وتدريبها وكثافة نيرانها عاجزة عن ادارة المعركة الهجومية ضد موقع محصن ومدافع عنه جيدا .

وبقي هذا الوضع قائما حتى ظهر عاملان جديدان اثرا على ميزان القوى: ويتمثل اولهما في انشقاق الجيش اللبناني ، واكتساب (القوات اللبنانية) لقسم من هذا الجيش بما يملكه من جنود مدربين وكوادر مؤهلة وآليات مدرعة ودبابات واسلحة ثقيلة ومدفعية . اما العامل الثاني ، فيتمثل في التناقض الذي وقع بين حلفاء الامس الذين كان من المفترض ان يكون تحالفهم استراتيجيا طويل الامد (دمشق من جهة ، والثورة الفلسطينية والحركة الوطنية التقدمية اللبنانية من جهة اخرى) ، وما رافق هذا التناقض من صدامات دامية . وبفضل الاضافة الكمية والنوعية الى قوى « جبهة الكفور » والتشتت الاستراتيجي الذي اصاب « جبهة الثورة الفلسطينية — الحركة الوطنية اللبنانية » ، تبدل ميزان القوى ، واصبح بوسع الكتائب وحلفائها وضع مخطط مهاجمة مثلث « تل الزعتر — جسر الباشا — النبعة» موضع التنفيذ .

وعلى اساس ميزان القوى الجديد حشد حزب الاحرار وجيش بركات قواتهما لشن الهجوم في ليلة ٢٢ — ٢٣ حزيران على مخيمي جسر الباشا ، وتل الزعتر ، ولم تلبث الكتائب وبقية قوى « جبهة الكفور » ان انضمت الى الهجوم وسقط المخيم الاول في ليلة ٢٩—٣٠ حزيران ، وتابع المهاجمون الضغوط على مخيم تل الزعتر من عدة محاور . وكان المنطق الذي حكم تفكير قادة الهجوم على تل الزعتر ، بعد ان حشدوا حوله منذ منتصف حزيران ١٩٧٦ قوات كبيرة من المشاة والمدرعات والمدفعية، يعتمد على القاعدة العسكرية القائلة : « **عندما يتعرض موقع دفاعي للتطويق من جميع الجهات ، ويغدو جزيرة صغيرة في بحر من القوات المهاجمة المتفوقة عدديا وتسليحيا ، ويتعذر امداده عن طريق الجو او فك التطويق بهجمات معاكسة خارج الطوق او من داخله ، يصبح هذا الموقع ساقطا او برسم السقوط** » .

وساعد هذا المنطق على الترسخ تفوق القوات المحتشدة عدديا بنسبة لا تقل عن ٣ الى واحد ، وامتلاكها لوسائط دعم ناري قوية ، وقدرتها على زج قوة نار وصدمة تضم حوالي (١٠٠—١٢٠) دبابة وعربة مدرعة ، وتمتعها بزخم نفسي حاقد ناجم عن الاسلوب السلفي المستخدم للتعبئة المعنوية المعتمدة على الايديولوجية الطائفية المتخلفة التي تخاطب الغرائز لا العقل

ولهذا كله كان قادة الهجوم موقنين من القدرة على تحقيق النصر الحاسم والسريع ، فرسموا خطة المعركة ، واعدوا في الوقت نفسه البيانات العسكرية التي ستذاع بعد نجاح الهجوم الذي كان من المنتظر ان يحقق اغراضه خلال يومين او ثلاثة ايام على ابعد تقدير .

ولقد حكم هذا المنطق نفسه تفكير العديد من المراقبين العسكريين والسياسيين خارج المخيم منذ ليلة ٢٢ ــ ٢٣ حزيران ، وخاصة بعد البيانات المتفائلة التي اصدرها المهاجمون في يومي ٢٣ و ٢٤ ، واعلنوا فيها ان قواتهم تتقدم وتكسب المواقع ، وان معنوياتها عالية ، « وليس امام المدافعين سوى الاستسلام ! » . ولم يستطع احد من المهاجمين او المراقبين ان يفسر انذاك بيان قيادة الدفاع عن المخيم حول « تطويق المخيم من جميع الجهات بقوات كبيرة وتعرضه لهجوم قوي ، واستعداده رغم ذلك للصمود » . اذ ليس من المعقول ان تستطيع قوة محدودة ومعزولة ادارة المعركة الدفاعية بنجاح ولمدة طويلة طالما ان قواها البشرية ومخزونها من المؤن والذخائر والمواد الطبية ينقص يوما بعد يوم ، في الوقت الذي يستطيع المهاجم بتجديد قواته ومدها بالرجال والسلاح والمؤن والذخائر بشكل لا ينقطع .

وهكذا حاكم الكثيرون معركة تل الزعتر في ايامها الاولى في ضوء منطقهم . ولكن المدافعين عن المخيم كان لهم منطق اخر . اذ لم يكن المخيم المطوق مجرد موقع ينبغي الدفاع عنه حتى اخر طلقة واخر رجل فحسب ، بل كان بالنسبة اليهم ايضا « منارة » لا بد من بقائها مضيئة اطول مدة ممكنة ، حتى تقرأ الاجيال العربية في ضوئها ملاحم الصمود ، وتتعلم في مدرستها حقائق الدفاع ، وتعي قدرة الانسان العربي على صد الهجمات المتفوقة عندما تتوفر لدى قياداته ومقاتليه الارادة على تحدي المستحيل .

وقدر اكثر المراقبين تفاؤلا ان ميزان القوى يفرض على المدافعين اللجوء الى الدفاع الثابت الذي يوقف المهاجمين ويكبدهم خسائر متراكمة تحد من اندفاعهم وتساعد المدافعين بالتالي على الاحتفاظ بمواقعهم . ولكن القيادة السياسية ــ العسكرية في المخيم لجأت الى اسلوب دفاعي ارقى ، فلم تكتف بالدفاع الثابت الذي يجمد القوة المحتشدة امامها ، بل لجأت الى الدفاع الهجومي ، وشنت (رغم اختلال ميزان القوى) هجمات معاكسة متكررة ، كانت تسترجع على اثرها المواقع المفقودة في المكلس ، ومنطقة المصانع ، وتلة المير ، ورأس الدكوانة ، وحرش تابت . وتطارد المهاجمين المنسحبين وتهاجم قواعد انطلاقهم . وهنا امتزج الصمود في الدفاع مع الاقدام في الهجوم المعاكس . واضطر المهاجمون الى زج المزيد من القوات للهجوم ، وتحول المخيم من موقع محاصر يدافع عن نفسه الى نقطة اجتذاب واستنزاف للقوات المهاجمة ، وبدأ الفراش يحترق على المصباح المضيء ، وطالت المعركة اضعاف وسط دهشة المهاجمين والمراقبين على حد سواء ، وبقيت الراية خفاقة فوق هذه المدرسة الدفاعية .

ولقد زاد من اهمية قتال المدافعين وبريقه واعطاه سمة بطولية واضحة ، ان المهاجمين الذين اذهلتهم بطولة الدفاع والخسائر البشرية والمادية التي

اصابت قواتهم خلال الهجمات المتعاقبة، كانوا بحاجة ملحة الى تحقيق نصر عسكري باي ثمن حتى يرفعوا معنويات قواتهم ويغطوا باحتلال المخيم الاثر النفسي السلبي للخسائر الضخمة التي لحقت بهم وخلقت تذمرا بين صفوفهم لهذا جرى دفع المزيد من القوات الى المعركة بشكل جعل التفوق العددي والتسليحي ساحقا . وزاد من ضخامة حشد المهاجمين تنافس تنظيمات « جبهة الكفور » على ارسال قواتها الى منطقة القتال بشكل يضمن وجودها الكثيف في المعركة ، ويدعم بالتالي موقعها داخل جبهة الكفور نفسها وبين صفوف الجماهير المارونية المخدوعة بالدعاية الطائفية.

لكن التفوق المتزايد جوبه بتصاعد الصمود . وبقي مقاتلو المخيم يحاربون ببطولة حتى بعد ان تقلصت الارض التي يسيطرون عليها الى حدود المخيم نفسه وحتى بعد ان اصبح كل شبر من ارض المخيم مزروعا بالقنابل والصواريخ وازدادت الازمة التموينية حدة واصبحت مسألة انقاذ مئات الجرحى معضلة تضغط على قيادة المخيم بعنف قبل ان يتدخل الرأي العام العالمي والصليب الاحمر الدولي لاخلاء الجرحى ابتداء من ٣ آب (اغسطس) . ولا يمكن تفسير هذا الثبات المذهل في الظروف التي احاطت بالمعركة الا بالعوامل التالية :

١ ــ الاستعداد القتالي الجيد ، وارتفاع مستوى المقاتلين والقيادات في مجال المهارات العسكرية .

٢ ــ الاعداد الكامل لمسرح المعركة الدفاعية تكتيكيا ولوجيستيكيا وتحصينيا

٣ ــ تحلي المدافعين عن المخيم بقوى معنوية هائلة ناجمة عن التوعية المستمرة المسبقة ، والقناعة المطلقة بعدالة الحرب التي يخوضونها .

٤ ــ الصمود النفسي لدى سكان المخيم ، وتحليهم بالانضباط الذاتي ، والتفافهم حول طليعتهم المسلحة.

٥ ــ الحزام الناري الذي اقامته الوسائط النارية للقوات المشتركة وجيش لبنان العربي (اساسا) حول المخيم بعد ان تعذر عليها فك التطويق لاسباب ذاتية وموضوعية اهمها التشتت الاستراتيجي الذي تحدثنا عنه من قبل.

٦ ــ المجازر التي ارتكبتها (القوات اللبنانية) في المعارك السابقة (المسلخ، الكرنتينا ، ضبية ، ضهور الشوير ، جسر الباشا ، النبعة) ضد السكان المدنيين واسرى (القوات المشتركة) وجرحاها ، وانعكاس هذه المجازر على معنويات المدافعين بشكل جعلهم يلجأون الى القتال المستميت.

٧ ــ خلل المخطط التكتيكي الذي تبناه المهاجمون لادارة المعركة باسلوب الاكورديون « الضغط والتوقف والانسحاب للتحشد ومعاودة الضغط»، بدلا من ادارتها باسلوب ضربات المطرقة المتعاقبة « الضغط المستمر على محور المزق بشكل مستمر ومتعاقب، مع زج الاحتياط بالتتالي لاستغلال النجاحات

الجزئية المحققة في الهجمات السابقة والانطلاق منها في هجمات لاحقة تحقق نجاحات جزئية جديدة يؤدي تراكمها الى تحقيق النجاح النهائي » .

ويدفعنا صمود مقاتلي تل الزعتر واقدامهم لان نتساءل : ماذا كان بوسع العرب في العصر الحاضر ان يقدموا الى التاريخ العسكري والقيم الحربية السامية لو ان كل موقع من مواقعهم صمد كتل الزعتر ؟ وما هو الشكل الذي كانت ستدور به الحروب العربية ـ الاسرائيلية ، لو ان كل موقع وتل وقرية تحول في هذه الحروب الى نقطة اجتذاب واستنزاف تتابع القتال حتى اخر طلقة ، وحتى بعد اعلان الخصم عن سقوطها ؟ لقد اعلن مهاجمو تل الزعتر اكثر من مرة ان المخيم قد سقط ولكن الاعلان الناجم عن الرغبة الذاتية شيء والحقائق الموضوعية على ارض المعركة شيء اخر . وكل البيانات المدبجة في برلين عن سقوط ستالينغراد في العام ١٩٤٢ لم تؤد الى سقوط المدينة ولم توهن عزائم المدافعين عنها ، ولم تمنع المارشال فون باولوس و٢٣ من جنرالاته و٩١ من جنوده من الوقوع في الاسر في ٣١ـ١ـ١٩٤٣ .

ورغم وضوح عدم فك الحصار عن المدافعين ، فقد بقيت « منارة الصمود والاقدام » مضيئة في تل الزعتر خلال ٥٢ يوما تعرضت فيها لسبعين هجوما مركزا . واذا كان المهاجمون قد احتلوا المخيم في ١٢ آب ، فانهم لن يستطيعوا ان يمسحوا من وعي هذه الامة وتاريخها ان هذه المنارة بقيت واشعت، وخلقت الاسطورة ، وكشفت وسط نار المعركة معدن الانسان العربي المقاتل وفتحت اعين الجميع على الامكانات الكامنة في أمة العرب وجسدت الفضائل الحربية النادرة لهذه الامة ، وحولت هذه البقعة المحدودة من ارض لبنان الى مدرسة لكل العرب ، تماما كما تحولت « قلعة بريست » الحدودية الى مدرسة لكل الشعب السوفياتي ، بفضل صمودها ٣٠ يوما امام قوات المارشال النازي فون بول في حزيران وتموز ١٩٤١ رغم تطويق العدو لها من جميع الجهات والتغلغل وراءها مئات الاميال .

هكذا قدم المدافعون عن تل الزعتر دماءهم ثمنا لخلق ملحمة بطولية عربية يفاخرون بها العرب والعالم . وكانت الهجمات المتكررة والمتفوقة « حجر المحك » الذي اعطاهم الفرصة لاظهار صلابة معدنهم . وبخلق الملحمة تحول تل الزعتر من ارض لبنانية مجهولة الاسم الى ثروة عربية وجزء من التاريخ العسكري العربي المعاصر ، بعد ان غسلت كل صخرة وبيت وحبة تراب فيه بدم عربي طاهر ، وغدت رمزا للصمود والفضيلة العربية ، وشاهدا ملموسا على ان لدى الامة العربية من الامكانات ما يؤهلها لان تبدل وجه المنطقة وان تحول اتجاه الصراع ضد الصهيونية نحو النصر .

وكان من المفروض ان يفهم المهاجمون هذه الحقيقة ، وان يعوا ان كل مقاتل في تل الزعتر يشكل بحد ذاته رمزا ، وان يقدروا مغزى البطولة ـ الاسطورة عندما استطاعوا احتلال المخيم ، وان ينحنوا باجلال وتقدير امام كل مدني واسير وجريح . وكان من المفروض ان يثمنوا الصمود في تل الزعتر كما ثمن المارشال رومل صمود حامية بير حكيم فليس هناك من يقدر البطولة مثل المقاتل الحقيقي الذي يحترم الخصم الشجاع الذي يؤسر وسلاحه بيده ، ولا يحتقر سوى الخصم الجبان الذي يولي الادبار ويمنحه نصرا سهلا رخيص الثمن .

الازمة اللبنانية : افكار واقتراحات

الدكتور كلوفيس مقصود

لا بد من ربط المأساة الحاصلة في لبنان بأبعادها العربية والدولية حتى يتسنى لنا أن نعي معانيها ، ونتمكن من الخروج من نتائجها السلبية والمكبلة ٠

الا ان هذا الربط المطلوب النفاذ اليه ببصيرة واعية ومسؤولة ، لا يجب ان يخفي عنا ان التركيب العامودي الطائفي لنظامنا اللبناني جعل مجتمعنا مستباحا لمن خططوا اصابة مقاتل عديدة في الواقع العربي باسره ٠ ومن هنا يتعين علينا ان نسابق الزمن من اجل دفع المزيد من الاسى والتمزق والضياع حتى نتمكن من ايجاد المناخ الملائم لاعادة الترميم والبناء والسلام الهادف ٠

ان اعداء لبنان والفلسطينيين والعرب بشكل عام وجدوا ان التقسيم الطوائفي جعل الجسم السياسي اللبناني مرتهنا بنخب تقليدية طائفية تعايشت فترة وتصارعت زمنا الا انها كلها من خلال حكمها وتحكمها عملت على اخراج كل العلاقات العضوية والافقية بين المواطنين عن ما سمي بالشرعية٠ اذ ان مثل هذه العلاقات التي تؤمنها في ظروف لبنان العلمانية الديمقراطية كان من شأنها ان تجعل لبنان بمنأى عن التفكك الكامن في النظام الطائفي وان تعطيه المناعة اللازمة لجعله مساهما في قضايا المصير ٠ من هنا فان نشؤ العلاقات العضوية الوطنية المتجاوزة للعلاقات الطائفية المتخلفة اخذت تفرز قيادات لبنانية جديدة ومجددة أخافت النخب التقليدية ، فما كان من هذه الاخيرة الا ان ادخلت اللبنانيين في معارك وحوارات من شأنها تكريس القواعد الطائفية التي ترتكز اليها ، وحرفت المواطنين عن اولوياتهم الحقيقية في مجالي التطور الاجتماعي العام والمسؤولية الوطنية التي تستوجبها مجابهاتنا مع التحدي الاسرائيلي ٠

نشير الى هذا الوضع الداخلي لانه هو الذي افسح في المجال لقراءة مخططي مآسينا لنا ٠ فالنظام اللبناني كما كان قائما كان ديمقراطيا بالشكل وليس بالمضمون ٠ لم يكن هناك توازن بين السلطات وبالتالي كان النظام يفتقد معالم المحاسبة المطلوبة ٠ من هنا تراكمت الاخطاء فما كان يسمى

بالنظام الحر صار في الحقيقة نظاما متسيبا ، فكانت قراءة مخططي مآسينا قراءة صحيحة ، وجدونا بدون روابط عضوية صلبة فقرروا قبل نضوج مناعتنا المجتمعية والوطنية ان يجعلوا منا ساحة لتصفية القضية الفلسطينية وساحة لتصفية حسابات التناقضات العربية ومجالا لتصادم اراداتها وموقعا بالتالي لافقاد العرب توازنهم ووعيهم للاولويات ، ونزيفا لمصداقيتهم وفعاليتهم الناشئة والمتوقعة في المجالين السياسي والاقتصادي ٠

ليس هنا المجال لشرح مقدار التشابك بين ترهل النظام اللبناني والمآساة التي نحن فيها منذ اكثر من سته عشر شهرا ، الا انه لن نتمكن بدون هذا الادراك من ان نستعيد المقدرة على وقف استمرار التدهور والانهيار ٠

ولعلي ، استطرادا ، اشير الى اهمية حرية الكلمة التي طالما اشرنا الى ان عدم المسؤولية في استعمالها يجعلنا كما جعلتنا سريعي العطب، وعدم احترام قدسيتها من شأنه ان يشحن المواقف المتشجنة ويحول دون حوار العقول وعدم احترام حرمة الكلمة طيلة السنوات الماضية من قبل معظم الساسة التقليديين والنخب المتحكمة ـ حتى لا نقول جميعهم ـ ساهم في ايصالنا الى الوضع الذي اصبح التوجه الى الغرائز البدائية والعشائرية اسهل بكثير جدا من التوجه الى العقل ٠ المهم ، حتى ولو جاء ذلك متأخرا، ان نعيد الى الكلمة مسؤوليتها وحرمتها ٠ فالعالم يتابع ما نقوله وما نصرح به وما نعلنه ٠ لانه على اساس ذلك يكتشف جدية قدرتنا على تجاوز مأساتنا ، او يبقى على رأيه باننا اصبحنا مدمنين على استنزاف ذاتنا ،حتى يكاد يحكم علينا العالم الان والاجيال اللاحقة بنا باننا قمنا بحرب بلا هدف فكان السلام الذي يتبع بدون امل ٠

لذا فان التكاثر في استعمال العنف اللفظي هو الذي يعطل امكانيات استشراف وضوح في التفكير الستراتيجي والمستقبلي ٠ وبرغم قناعتنا بان هذه الامكانيات متوفرة الا انها تعيش تحت ظل من الارهاب الفكري ومن الخوف مما جعل الكثير منها يغادر او ينزوي او يتعطل ٠ فكانت النتيجة ان مواقف كثيرة تؤخذ وتعلن وهي لا تنطوي على الكفاية من المعلومات ومن التحليل ومن التصور لما قد تحمله هذه المواقف من مردود عكسي ومن مجازر جعلت حربنا الراهنة من اوسخ الحروب واحقرها ٠

الا ان هذا الواقع المريض للنظام اللبناني وحتمية سقوطه وسرعة عطبه وعفونته ، لا يفسر هذا المستوى من الاقتتال وهذا الاستمرار لهذه المدة في التصعيد الاقتتالي ٠ من هنا تجيء عملية الربط المطلوبة ٠
منذ انتهاء حرب تشرين عام ١٩٧٣ ادرك العالم ان العرب وان لم

يحققوا انتصاراً بمعنى الحسم ، الا انهم هزموا هزيمة عام ١٩٦٧ · وكانت النتيجة أن استعاد العرب ثقتهم بانفسهم وكسبوا لانفسهم مصداقية جعلت العالم يرشحهم لان يلعبوا ادورا مسؤولة وضخمة في المعادلات الستراتيجية وفي المجالات المالية والاقتصادية · كما ان التضامن العربي اوضح ما يمكن للعرب ان يفعلوه خاصة اذا ما طوروا التعاون الى تنسيق او وحدة ·

على اثر هذا التطور اخذت اسرائيل تدرك حدود قوتها كما ظهرت فيها بوادر الشك بجدوى التزمت في صهيونيتها · وككل الكيانات العنصرية والاستعمارية ربطت نجاح العرب في ردعها باحتمال قدرة العرب المستقبلية على تقويض كيانها الصهيوني وافشال كل مخططاتها العنصرية والتوسعية والعدوانية ·

وادركت الولايات المتحدة ان موازين قوى جديدة اخذت تنشأ في المنطقة العربية وكان لا بد من تطويق مثل هذه الاحتمالات · من هنا برزت معالم الخطة الاميركية التي تجلت في سياسة الخطوة خطوة والتي ادت في نتيجتها المنطقية الى عقد اتفاقية سيناء الثانية · ماذا كان التصور الاميركي في هذا المجال ؟ ان معالم الخطة الاميركية كانت تستهدف باختصار الامور التالية :

اولا ـ اعطاء اسرائيل الفرصة لاعادة ترميم ثقتها بنفسها من جراء الصدمة المحدودة التي اصابتها بعد حرب تشرين · جاءت سياسة الخطوة خطوة تعمل على عزل مصر ـ الدولة العربية الاكبر والاهم ـ عن مجالات الفعل في الساحة العربية ·

استتبع هذا بالضرورة تنشيط علاقات ثنائية بين دول عربية والولايات المنحدة تترجح على العلاقات القومية بين الدول العربية واكثر من ذلك فقد قصدت سياسة كيسنجر ان لا ينشأ اي تنسيق مقبل بين دول المجابهة ، وان تكون كل التوجهات نحو التسوية مفصولة عن بعضها من حيث التنسيق ومن حيث التوقيت· هذا ما ادى الى تصدع المحور السوري ـ المصري رغم التزامهما المشترك بنفس القرارات الاساسية المتحكمة بالتسوية للنزاع العربي الاسرائيلي· لذا فان تفاقم القتال واستمراريته في لبنان يفسر الى حد كبير بكونه انعكاسا لهذا النزاع الحاد مرحليا والمصطنع جوهريا ·

ثانيا ـ ارادت دبلوماسية الملوك التي اعتمدها كيسنجر تنشيط الدور المركزي للولايات المتحدة في تقرير مصير المنطقة ، مما ادى الى تمكينها من تسيير تطورات المنطقة بما يزيد حتى عن توقعاتها · وما اسهم في اضعاف مواقفنا وتمييعها في سائر المجالات وعلى كافة المستويات · ان افقادنا لانفسنا

مركزية التوجيه لمصائرنا مرحليا على الاقل حتم على الثورة الفلسطينية ان نتدارك النتائج السلبية لمثل هذا التمركز الاميركي في تحريك الكثير من عناصر المنطقة ، وقد ادى هذا التدارك الفلسطيني الى اخذ خط مخالف ، وبعض الاحيان ، متناقض مع توجه انظمة المجابهة بحيث وثقت الثورة علاقاتها بالعالم الثالث وبالمعسكر الاشتراكي وبالقطاعات التقدمية في العالم · اكثر من ذلك كان لا بد للثورة من ترسيخ استقلاليتها **الذاتية** لان هذه الاستقلالية ضرورية لحماية مكاسبها الدولية والقومية وحمايتها من الابتلاع بنمط من التطور يسقط بالنتيجة الحقوق الوطنية والتاريخية والشرعية للشعب الفلسطيني ·

من هنا كان لا بد من السعي لاستدراج المقاومة الفلسطينية الى معارك سعت ما استطاعت الى تجنبها ، لانها وعت ان الحرب النفسية التي واجهتها ولا تزال تواجهها في لبنان انما تستهدف صرفها عن مهامها الاصيلة من خلال وضعها بين فكي كماشة ـ احداهما العدوانية الاسرائيلية من جهة ، والتأجج الطائفي الذي عمل على جعل مفهوم السيادة اللبنانية قائما على مجابهة الفلسطينيين بدلا من مجابهة الاسرائيليين ، من جهة ثانية ·

ويعود استمرار الازمة والتقاتل ايضا الى كون دول المجابهة وانظمتها سلمت بنسب متفاوتة بتوجيه مقدرات المنطقة الى الولايات المتحدة · واذا ادركنا مدى ترابط وتحيز الولايات المتحدة لامن اسرائيل ، بموجب مقاييس اسرائيل ، لادركنا مدى صدق مخاوف الفلسطينيين على مكاسبهم وحقوقهم ، وسبب اصرارهم على الاستقلالية وسط واقع عربي يتخلى تدريجيا عن التزاماته باهدافهم المشروعة وحقوقهم المهضومة ·

ثالثا ـ تعمدت الدبلوماسية الاميركية ادخال العرب في حوار مغلوط مع انفسهم بحيث جعلت التنمية الوطنية لمختلف الاقطار العربية مرهونة بمقدار تضاؤل التعبئة القومية للمجابهة · فكان من نتائج هذه السياسة ان تأمنت المصالح الاقتصادية الاميركية خاصة في مجال التأمين البترولي ـ وخاصة وقد اصبحت السعودية اكبر مصدر للنفط المستورد للولايات المتحدة ـ مما جعلها تدفع السعودية الى ان تلعب دورا في المنطقة كانت مصر بحكم موقعها وضخامتها مؤهلة اكثر له ·

هذا بدوره يفسر الى حد كبير ارتباط التحرك العربي وعدم قدرة الاقطار العربية على الحسم بموضوع لبنان ، وبالتالي يفسر العجز العربي الراهن امام مأساتنا وكون القرارات التي اتخذت لم تكن **من المستوى المطلوب** ـ اي القمة ـ وبالمستوى المطلوب ·

رابعا ـ بعدما امنت الولايات المتحدة اهدافها الرئيسية ـ اي توجه انظمة المجابهة نحو التسوية بموجب مركزية الاولويات الاميركية ، وتأمين الحاجات النفطية وتأمين الامن الاسرائيلي بالمفهوم الاسرائيلي له من خلال تفكك القوى المباشرة للمجابهة وانحلال العلائق القومية للعرب بصورة عامة ، صارت الازمة اللبنانية ومأساة لبنان بالنسبة اليها ولستراتيجيتها العامة مسألة ثانوية لا تثير اهتمامات اساسية ٠

وكان من جراء ذلك ان تمادت القوى المتربصة بوحدة لبنان الحقيقية وبالقضية الفلسطينية في عملية انقضاض غير مردوعة فعليا من جراء الانحلال القوي في الساحة العربية ومن جراء الاكتفاء الاميركي باجترار الالتزامات الشكلية بوحدة لبنان وسيادته ٠

ثم جاء دخول الجيش السوري الى لبنان ليعطي كفة القوى اليمينية رجحانا يجعلها ممعنة في عملية الانقضاض دون ان تردعها ارادة عربية واضحة او قرار عربي حاسم ، وبرغم انه يوجد لدى جميع الاطراف اقرار بأن لسوريا دورا خاصا ومتميزا في الازمة اللبنانية من حيث جغرافيتها ومقتضيات امنها (وكان هناك لدى المقاومة الفلسطينية وكل القطاعات اللبنانية الوطنية باستمرار حرص على هذا الدور) الا ان هذا لم يكن ليعني التسليم بدور مستأثر او هيمنة او سيطرة ٠ وكان رفض سعي سوريا الى الاستئثار نابعا ـ وخاصة في ظروف المنطقة الراهنة ـ من ضرورة المحافظة على استقلال لبنان ووحدته وعلى قدرة المقاومة الفلسطينية على ممارسة استقلاليتها الذاتية وحريتها في الحركة وسط التناقضات العربية المخيفة وحريتها في تحريك الجماهير العربية التي هي احتياطها الطبيعي ومداها الحيوي ٠

على ضوء هذه العناوين لمعطيات مأساتنا المتفاقمة لا بد لنا من التساؤل عن المخرج من هذا المأزق المدمر ٠

بادىء ذي بدء لا بد من الاقرار بأن خروجنا من المأساة لن يكون للاسف قفزا بل تدرجا ٠ وحتى نضمن عملية الخروج لا بد من تحديد مراحل الخروج والخطوات الفورية والمرحلية والمقبلة المطلوبة ٠ اكثر من ذلك وبالنظر للتعقيدات والظروف المتشعبة والاقتتال المتفاقم فانه مطلوب لا ان **نمرحل** الخطوات والاجراءاتبموجب جدول زمني بل ايضا ان تتواقت ـ اي ان تجيء بنفس الوقت ـ اجراءات عربية وسورية وفلسطينية ، وفلسطينية لبنانية ، ولبنانية لبنانية ٠

من هنا ضرورة الدقة في التعبير والوضوح في التفكير وعدم اللجوء الى

استسهال الحلول · نقول هذا ونحن نعي مدى الارهاق الذي اصبنا به والذي لا بد ان يلازمنا الى وقت يطول او يقصر بمقدار وضوح الرؤية فيما نريد وفيما لا نريد ·

★ ★ ★

على ضوء ما تقدم لا بد من التقرير انه في المراحل القادمة لا يمكن لنا معالجة الازمة المأساة من خلال مسبيبها · كما انه لا يمكن ولا يجوز ان تبقى أو تترسخ المعادلات الطائفية التي كرست التمزق ، ولم تكن صيغ الميثاق الوطني، سوى غطاء لهذا التمزق في الجسم اللبناني وعقدا اوضحت الازمة المأساة كم كان جهنميا لضمان توارث الزعامات الطائفية التقليدية ·

يتشكل عندنا اذن قناعة كاملة في ان وقف اطلاق النار لن يتحقق بالمستوى المطلوب ما دامت معظم القيادات التي افرزها التركيب العامودي الطائفي منذ نصف قرن تدرك ان اي وقف حقيقي لاطلاق النار واحلال سلام حقيقي في الربوع اللبنانية سوف يؤدي الى محاسبة عسيرة لهذه القيادات ، لا من قبل جميع اللبنانيين فقط بل من قبل محازيبهم المشحونين باهداف مستحيلة التحقيق ، واوضاع نفسية خائفة حولتهم الى وقود بشرية لمآرب استمرار هذه الزعامات ·

فمن حيث أن وقف اطلاق النار اصبح مطلبا ملحا للغاية لمنع المزيد من التفتيت ومن التمزق والدمار ، فان وقف اطلاق النار يجب ان لا يقتصر على مجرد رغبات معلنة بل على اجراءات محددة مصدقه ومضمونة · من هنا فان الطلب الملح بشأن زيادة قوات الامن العربية حتى تصل على الاقل الى نحو ثلاثين الف جندي من مختلف الدول · نقول هذا لانه ليس مهما ان نحقق وقفا متقطعا للقتال والاقتتال ، بل يساهم في احلال فترة نقاهة يمكن للبنانيين اثناءها التخطيط للسلام الحقيقي · ان مضاعفة قوات الامن العربية الى الحد الادنى المقترح يستوجب بالضرورة قرارا عربيا حاسما وملزما ، من هنا فان مؤتمر قمة عربي اصبح لا حاجة لبنانية وفلسطينية فحسب بل حاجة عربية اولا· ·

في هذا الصدد لا بد من ان نقرر ان التلاشي العربي والانحلال الذين ظهرا في الواقع العربي والذي جعل الدول العربية تتردد وتتقاعس وتقف وكأنها مشلولة امام المأساة الحاصلة في لبنان ، افقدنا كعرب كل ما حققناه من هيبة وما توقعه العالم من جدية والتزام وما تصوروه من جدية في معالجاتنا لقضايانا المصيرية ولالتزاماتنا القومية ·

والدليل الاخير على هذا الانحدار في درك الصرف العربي تجاه مأساة لبنان هو ، بالاضافة الى التأخير المعيب في انعقاد مؤتمر قمة ، هذا التعثر والعشوائية بين صيغة مؤتمر قمة شامل او مؤتمر قمة رباعي ٠

ومهما قيل في فوائد قمة مصغرة ، من حيث قدرة هذا المؤتمر على حصر البحث بموضوع لبنان ، فان الهدف من هذا الحصر هو جعل التسوية للازمة اللبنانية ـ اللبنانية وللمعادلة اللبنانية ـ **الفلسطينية متناغمة** مع توجه انظمة دول المجابهة ـ والدول النفطية (السعودية والكويت) نحو التسوية بموجب الصياغات الاميركية العامة ٠

من جهة اخرى فان ما شاهدناه من لا مبالاة فعلية طيلة هذه المدة من مأساتنا من الدول العربية يجعل جدوى مثل هذا الاجتماع ضيئلة امام مزالق مؤتمر قمة عربية مصغرة ومخاوفنا الحقيقية منه ، وامام ضآلة توقعاتنا من مؤتمر قمة عربي شامل ٠ فاننا ازاء ما يحدث في لبنان من مجازر على كل المستويات ، وما يحدث في المنطقة من اختلال حقيقي في موازين القوة لصالح العدو الاسرائيلي نؤيد السرعة في **اجتماع قمة عربية ما** ٠ ولعله امام هذا البطء في التحرك العربي وامام مقتضيات السرعة المطلوبة لتدخل عربي جماعي لوقف النزيف الجنوني في جسمنا السياسي ـ وفي عقلنا السياسي ايضا ـ نرى لزاما ان نقترح كاجراء ذرائعي **جعل مؤتمر القمة المصغرة مفتوحا** للدول العربية الراغبة في المشاركة ، حتى يأتي القرار **باسرع ما يمكن** وباقرب وقت ممكن خاصة وان عددا من الدول العربية ابدى استعداده للمشاركة ٠

ولا بد لقرار مؤتمر القمة المنوي عقده ان يؤمن بالنسبة للوجود العسكري السوري مسألتين هامتين:جدولة الانسحاب الكامل من لبنان بموجب مراحل زمنية تبدأ باحلال فوري لقوات امن عربية في مناطق صوفر وجزين ومن ثم التدرج نحو ما يلزمه قرار القمة في هذا الصدد ٠ ولا بد في هذا المضمار من ان تكون هناك مشاركة سورية مهمة في قوة الامن العربية يضمن دورها المتميز ويلغي دورها المستأثر والمتحيز ٠

ولا بد مع هذا ان يتم الاعداد لقيام مؤسسات الدولة ـ لا لعودتها ـ من خلال ادخال تعديلات جذرية في النظام يتضمن وحدة لبنان العضوية وسيادته الكاملة ، وتوجها لمعالجة القضايا المعلقة والمستجدة اثر معاناة استمرت اكثر من ستة عشر شهرا ٠ من هنا لا بد من ان يلازم قرار القمة قرار يتعلق بالاجراءات المالية والاقتصادية الكفيلة باعادة الحياة الطبيعية بعد ان دفع لبنان ثمنا غاليا للكسل العربي في معالجة تناقضاته ، وعلى المستوى اللبناني لا بد من مباشرة الحوار السياسي الهادف انطلاقا من قواسم

مشتركة اصبحت معروفة ٠

كل هذا من شأنه بالطبع أن يرسي معادلة العلاقات الفلسطينية ـ اللبنانية على اسس من الثقة بأن الدولة اللبنانية الخارجة من انقاض المأساة هي في خندق واحد مع الثورة الفلسطينية في مجابهة العدو المشترك ٠ ولا بد من ان تكون اتفاقية القاهرة وما تبعها من ملاحق (هي محصلة معاناتنا المشتركة) اساس العلاقة القائمة على الثقة المتبادلة ٠

ولا بد من التذكير في هذا الصدد بأنه يتوجب علينا ان نستمر في في مساعينا الجادة لتوسيع اطار الجبهة العريضة على اسس تصورات وقناعات مشتركة ٠ وفي هذا المجال لا بد من الخروج من دائرة التقوقع المذهبي من جهة والانفلاش التقليدي من جهة اخرى ٠ كما يتوجب في هذا المضمار الاقرار بانفتاح الحركة الوطنية على الوسط اللبناني بدون تردد او تزمت او مكابرة كما ان على الوسط بدوره ان لا يتصرف وكأنه بديل محتمل تراهن عليه بعض الانظمة العربية فيتصور أن بمقدوره ان يتجاهل القوى التقدمية والعلمانية والشعبية التي اصبحت واقعا متعاظم القوة والاهمية في الجسم اللبناني ، والتي اثبتت من خلال نضالاتها المطلبية وتلاحمها مع الثورة الفلسطينية أنها مؤهلة لادخال لبنان في عملية صناعة المستقبل العربي بأسره ٠

الحرب الاهلية والحرب الوطنية

خالد جابر

تطرح الحرب الاهلية في لبنان ، مسألة نظرية بالغة الدقة · فالحروب الاهلية ليست مسائل عابرة في تاريخ الشعوب · بل هي احدى المحطات الرئيسية التي تصنع التحولات الكبرى في التاريخ العاصر · غير انها ، في الحالة اللبنانية ، ليست مجرد حرب أهلية داخلية ، بل هي امتداد للحرب الوطنية التي تخوضها الامة العربية ضد عدوها الصهيوني ـ الاميركي · هنا تطرح مسألة هامة : ما هي علاقة الحرب الاهلية بالحرب الوطنية ؟ في أية لحظة تاريخية تصبح الحرب الاهلية شرطا لازما لنمو واستمرار الحرب الوطنية ؟ ربما ، تقدم دراسة الحرب الاهلية في لبنان ، بكل بطولاتها ومراحلها، أجوبة أولية على هذه المسألة ·

ان النقطة الاولى التي تسترعي الانتباه ، هي كون الثورة الفلسطينية تشكل طرفا رئيسيا في هذه الحرب · والواقع ، ان هذه المشاركة ليست جديدة على الحركة الثورية الفلسطينية · فتاريخ الثورة الفلسطينية ، الى جانب كونه تاريخ صدامات واسعة مسلحة وانتفاضات جماهيرية في وجه الاحتلال الصهيوني ، هو تاريخ صراعات وصدامات مسلحة في الداخل العربي ، مع القوى الاكثر رجعية وارتباطا والتي تتحكم في سلطة كيانين عربيين ، هما الاردن ولبنان ·

ان شعار « كل البنادق نحو العدو » الذي رفعته الثورة هو شعار صحيح، لانه يركز على مسألة التناقض الرئيسي بين مجموع الطبقات والفئات الوطنية العربية وعدوها الوطني · لكنه ليس مقولة للعبادة · فهو حين يفهم كشعار تكتيكي من أجل التخلي عنه عند أول سانحة ، يقود الى حجب التناقض الرئيسي ، ويغرق مسألة الخلاص الوطني في ركام من الشعارات الطفولية البراقة ، ويؤدي بأصحابه الى الوقوع في الانحراف اليميني والتبعية · أما اعتباره صنما لا يمكن المساس به ، واعتبار كل صدام مع أي نظام عربي ، وفي أى شرط ، انجرافا بالثورة عن مهمتها الاساسية فانه يقود الى الذيلية · فأي شعار سياسي صحيح ، يجب عدم التعامل معه بشكل كهنوتي · البنادق يمكن

أن توجه ، وهي توجه عملها ضد قوى مرتبطة بالعدو ، أو ضد طبقـــات ، لها مصلحة في المساومه ، اذا كانت الثورة في مرحلة تسمـح بها لنفسها بضرب هذه القوى ، كنقطة تقدم على العدو الرئيسي ، لا بد منها · ومن أجل أن توجه كل البنادق نحو العدو ·

ان واقع مشاركة الثورة الفلسطينية في صراعات محلية وحروب أهلية ، يطرح ضرورة الاجابة على موضوعة علاقة الحرب الوطنية بمجمـــوع هذه الصدامات · هل يعني شعار كل البنادق نحو العدو ، انه يجب تجنب أي صدام داخلي ومهما كان الثمن ، لانه يلهي الثورة عن مهمتها الاساسية ؟ ماذا تعني مهمة الثورة الاساسية في الشروط المحددة لتواجدها على أرض المشرق العربي، وفي كيان مثل الكيان اللبناني ؟

الحرب الوطنيـــة والحرب الاهليـــة

الحرب الوطنية ، هي في عصرنا ، نضال مسلح تخـــوضه الشعوب المستعمرة في سبيل ضرب الهيمنة الاستعمارية · وهي بهـذا المعنى شكل من أشكال الصراع الطبقي على المستويين العـــالمي والداخلي : فعلى المستوى العالمي ، تقوم الحروب الوطنية ، بتوجيه الضربات للقوى الرأسمالية الامبريالية، التي تسعى الى الهيمنة والتوسع · من هنا ، فهي توجـه ضربات للبرجوازيات الامبريالية · وحين تجبرها على التراجع ، أو تفرض عليها الهزيمة في أرض المعركة المحلية ، فهي تساهم في اضعاف نفـوذها على الصعيـــد الدولي ، وتعجل في ضرب قبضتها وهيبتها وقدرتها على الاستمرار · اما على المستوى الداخلي : فالحرب الوطنيـــة ، تستدعي بالضرورة جبهـــة تحالفات لمجموع الطبقات والفئات الوطنية في مواجهـة الغزو الخارجي · هـــذه الجبهة ، لا تدخلها الطبقات والفئات الكمبرادورية الطفيلية المرتبطة بالعدو الوطني · كما ان العلاقات الطبقية داخل هذه الجبهة تتعرض لصراعات مختلفة ، حيث تحدد طبيعة المعركة والمهمات المطروحة بالاضافة الى العوامل الذاتية ، الطبقة أو التحالف الطبقي الذي يقود الجبهة ·

من هنا ، تعكس الحرب الوطنية الصراع الطبقي الداخـلي كما تنعكس عليه · وتعبر في مراحلها المختلفة عن توازنات وتحـــالفات هذا الصراع · لـذلك لم تعرف الحروب الوطنية التي خاضتهـــا وتخوضها شعوب البلدان المستعمرة والتابعة ، حروبا صافية · أي مجـرد حروب تتـوجـه ضد العدو الوطني · بل فقد اختلطت الحروب الوطنية دائما بالحروب الاهليـــة · وهذا ما تشير اليه بشكل واضح تجارب شعوب الصين وفيتنام ولاوس وكمبوديا ··· يشير هذا الاختلاط الى كون الحرب الاهلية ، تشكل في شروط حرب الشعب ، مرحلة لا بد منها في سبيل ترسيخ التحالف الوطني بقيادة القوى الطبقية الاكثر

جذرية · ولم يسبق أن رفض الثوريون ، وهم يشاركون في حرب الدفاع عن الوطن ، الانخراط في الحروب الاهلية ، عندما تأتي كقفزة الى الامام في سبيل انجاز المرحلة الوطنية الديمقراطية · واذا كان المثال الجزائري يعطى عـــادة كنقيض لهذا التحليل ، فان الحرب الوطنية الجزائريـــة لا تخرج عنه الا في خصوصية حربها التي كانت توجه أساسا ضد الاستعمار الفرنسي الذي يتهاوى في العالم بأسره · لذلك لم تنفجر الصراعات الداخلية الحادة (رغم ان الجزائر عرفت خلال الحرب دعوات وممارسات التعاون مع المحتل) الا عشية النصر ·

يقودنا هذا التحليل الى مجموعة حقائق :

١ ــ ان النضال الوطني ضد العدو الرئيسي ليس نضالا مستقيما دائما، بل هو نضال متعرج · فالتناقض الرئيسي مـع العدو الصهيوني ــ الاميركي ، لا يعني ان جميع التناقضات الثانوية يمكن حلها بالحوار · بل قد تصل احداها، وفي مرحلة معينة ، الى مرتبة تناقض رئيسي يجب حسمه بقوة السلاح ·

٢ ــ تستدعي الحرب الوطنية ، الحروب الاهلية · فاقامـة جبهة وطنية متحدة ، تعني مزيدا من القدرة على الحسم مع العملاء والفئات المرتبطة بالعدو · كما تعني قدرة على فرض شكل أرقى من الديمقراطية على البرجوازية ، مـع ضرب أجنحتهـــا المترددة التي تدعو الى تقسيم صفوف الجبهـــة ، أو الى الاستسلام للعدو ·

٣ ــ ان اعتبار كل حرب أهلية ، ومهمـــا كانت شروطها ، الهاء للثورة الوطنية عن واجبها الرئيسي ، تعني تسليم رقبـــة الجماهير للذبح على أيدي العملاء ومعاداة كل تقـدم تحرزه الثورة · فالحروب الاهليـــة في الشرط الفلسطيني ــ العربي ، تجري ، ضمن تجزئة الوطن الواحد الى كيانات ، وفرض حكومات مرتبطة ، في شرطين رئيسيين :

أ ــ في شرط عام ، يكون فيه العدو الوطني منتصرا ، حيث يفرض التنازلات على الانظمة الوطنية ، ويدفع بعملائه وحلفائه الـــى شن حروب الابادة ضد الجماهير المقاتلة · وهذا ما جرى عمليا في الاردن عام ١٩٧٠ ، حيث كان العدو الاميركي ــ الصهيوني ، خارجا من حرب حزيران بكـــل الغطرسة التي منحه اياها نصر حزيران الرخيص · في هذه الحـــالة ، على الحركة الجماهيرية الصمود في المواقع ، والبحث عن أوسع جبهة تحالفات فـي سبيل صد الهجمة وايقافها عند حدها ·

ب ــ في شرط عام ، يكون فيه معسكر الاعداء قد تلقى ضربة تجبره على

التراجع محليا ، وحيث يكون وضعه العالمي مهتزا · عندها على الثورة خوض غمار الحرب الاهلية في سبيل تحقيق تقدم ملموس داخل الجبهة الوطنية · فتقوم الثورة ، بترجمة التقدم الموضوعي الى انجازات ملموسة · هذه هي الوجهة الغالبة للحرب الاهلية في لبنان · رغم انها تحمل انعكاسات التجزئة ، وأوزار منطق المساومة الذي يحكم تقدم البرجوازية السورية في لبنان ، حيث انتقلت الحرب الاهلية من كونها جبهة عربية واسعة ضد القوى الفاشية الانعزالية ، الى حرب أهلية عربية · هذا هو قانون التطور الثوري في الكيانات، حين يرتطم هذا التطور بسقف الادارة العامة لمجمل الصراع العربي الاسرائيلي ·

٤ ـ الثوري الحقيقي ، هو الذي لا يخشى الحرب الاهلية ، بل يسعى اليها · يقول ماوتسي تونغ : « عندما لا تكون هناك هجمات مسلحة من قبل الامبريالية ، فان مهمة الحزب الشيوعي الصيني هي اما أن يخوض حربا أهلية بالاشتراك مع البرجوازية ضد أمراء الحرب (عملاء الامبريالية) واما ان يتحد مع الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن لخوض حرب أهلية ضد طبقة ملاك الاراضي والبرجوازية الكمبرادورية (عملاء الامبريالية ايضا) » · (قضايا الحرب والاستراتيجية · المجلد الثاني ص ٣٠٥) ·

فالحرب الاهلية ليست شبحا يجب الخوف منه · بل هي مسار تاريخي يصل فيه الصراع الطبقي الى قمته (١) · فالتحالف الطبقي يتعرض داخل المعركة الوطنية الى انشطارات حتمية في داخله ، تسمح هذه الانشطارات ، وفي ظروف ملائمة ، للقوى الثورية باحراز المزيد من الانتصارات · لذلك فهي تخوض الحرب الاهلية بشكل واع ولا تخشاها ، ولا تتوقف أمام همسات صغار البرجوازيين المترددين الذين لا يرون سوى المجازر ، ويكتشفون ان ما كتب في

---

(١) يقول لينين في مقاله « حرب الانصار » (المؤلفات الكاملة · المجلد الحادي عشر · ص ٢٢٢ · الطبعة الفرنسية ـ دار التقدم ـ موسكو) : « لا يمكن للماركسي أن يعتبر بشكل عام ان الحرب الاهلية أو حرب الانصار التي هي شكل من أشكالها مسألة غير طبيعية أو غير أخلاقية · فالارضية التي يقف عليها الماركسي هي الصراع الطبقي لا السلام الاجتماعي · يؤدي نمو الصراع الطبقي خلال فترات الازمات الاقتصادية والسياسية الحادة الى حرب اهلية حقيقية ، أي الى صراع مسلح بين قسمين من مجموع السكان · من واجب الماركسي في هذه المراحل أن يتخذ موقعه في الحرب الاهلية · ان كل ادانة اخلاقية للحرب الاهلية مرفوضة بشكل قاطع من الوجهة الماركسية · على حزب البروليتاريا أن يتخذ في عصر الحرب الاهلية الحزب المقاتل مثالا له ، وهذا أمر لا يقبل الاحتجاج على الاطلاق » ·

الكتب الرومانسية عن الثورات لا يطابق الواقع ،فيغسلون أيديهم حتى لا تلوث بالطائفية والقتل ! وينشرون التردد والتخاذل في صفوف الجماهير · الحرب الاهلية بالنسبة للثوريين ، ضرورية ، ويجب أن تتحول الى نقطة ايجابية تخدم **قضية الدفاع عن الوطن والشعب التي هي القضية الاولى للطبقة العاملة في البلاد التابعة والمستعمرة ·**

شروط الحرب الاهلية في لبنان

لم تفاجىء الحرب الاهلية في لبنان القوى الفعليـــة التي شاركت في صنعها ، رغم ان مسارها ربما فاجأ بعضها · فجميـــع المـؤشرات الدولية والعربية والمحلية ، كانت تشير الى حتمية انفجار الصراع المسلح على أرض لبنان ، بين الثورة والقوى الانعزالية المرتبطة · كما ان مسـار الحرب ، في ظل مشاريع المساومة مع العدو الوطني ، فرض تحولها الى حرب أهلية عربية ، وفرض الصدام بين الجماهير وقوات الاجتياح العسكري السوري المدرع :

فعلى المستوى الدولي كان التوازن المؤقت الذي أقيم في المشرق العربي بعد ضرب الاستعمار القديم قد تساقط مع حرب حزيران ، ومع الهجمة الاميركية الصهيونية الشرسة على مصر وسوريا · ولقد استطـــاعت حرب تشرين أن نعـــدل ميزان القوى بشكل فعلي ، في وقت كانت فيه القبضة الاميركية تتعرض للضربات في جميع أنحاء العالم · ان الاختلال الجديد في التوازن الذي حصل بعد حرب تشرين ، أجبر الامبريالية على تقديم تنازلات جزئية في سبيل التقاط الانفاس · ان الواقع الدولي العام الذي يؤشر الى تراجع الامبريالية الاميركية لا يعني ان أظافرها قد قطعت ، أو انها فقدت جميع امكانياتها ، بل هي تتراجع وتضع في حقل تراجعها ألغاما موقوتة ، وتشن هجمات وقائية ، تسمح لها وفي شروط أفضل بالهجوم العام في سبيل استعادة مواقعها ·

على المستوى العربي استطـــاعت حرب تشرين ، عبر توجيهها ضربة حقيقية للعدو الصهيوني ، أن تجبر الامبريالية الاميركية على اعادة النظر في استراتيجيتها الشرق أوسطية · وسمحت للانظمة العربية بأن تحقق تقدما فعليا لمصلحتها في ميزان القوى في المنطقة · واذا كانت الاتجاهات المساومة قـــد استطاعت أن تفرض تراجعات ملموسة نتيجة تحكم البرجوازية بمقاليد السلطة، وتخوفها من الصدام مع العدو الاميركي ، فان الوجهة العامة التي أفرزتهـــا

الحرب قد سمحت بتفدم عربي ، انعكس بدوره عـــلى الصيغـــة اللبنانية عبر محاولات الطرف الوطني « الاسلامي » اضعاف الغلبة المارونية · انعكست هذه المحاولات عبر حركات احتجاج في الشارع الوطني وصلت ذروتها في الحرب الاهلية · ان هذا هو التفسير الفعلي لقدرة التحالف الفلسطيني السوريالوطني في فرض تراجعات ملموسة على الطرف الانعزالي · أما انفجار هذا التحالف فيعود الى الصراع على أفق التسوية مع العدو ، وعلى الحـــدود التي أرادت البرجوازية السورية تكبيل الثورة الفلسطينية ضمنها ، عبر تحجيمها وادراجها ضمن التصور السوري للتسوية ·

أما على المستوى المحلي فلقد تعرض التوازن اللبنـــاني لاختلال عميق نتيجة فقدان نقطة التوازن الرئيسية بين الحركة الوطنية العربية والامبريالية · فالواقع الجديد الذي انعكس ايجابيا على نمو الثورة والحركة الوطنية لم يحسم مسألة التوازن هذه ، بل شكل نقطة متقدمة في صراعاتها · من هنا ، كان قلق الدوائر الامبريالية على عملائها المحليين ، ومحاولتها شن هجوم وقائي بهم ، لم يكن بمقدورها تقديم الدعم الكافي له كي ينجح · فانتقلت الثورة والحركـة الوطنية الى الهجوم العام ، واضعة ولاول مرة مصير الكيـــان اللبناني على بساط البحث · فانفجار ١٣ نيسان ١٩٧٥ لم يكن سوى حلقـة متقدمة لاختلال عميق في توازنات المنطقة لا يمكن حسمه الا بقوة السلاح ·

في سياق الحرب الاهلية ، قدمت مجموعة من التحاليل في سبيل فهمها بشكل أفضل ، من أجل صياغة تكتيكات واستراتيجية تحقق النصر · ســوف نتوقف الآن ، عند أربعة تفسيرات تشارك بعضها في تحمل مسؤولية التراجع الذي يفرض على الحركة الجماهيرية اليوم · ان مناقشة هذه التحـــاليل تدخل في صلب مهمة القوى الثورية ، لان دحض الآراء الخاطئة ، واكتشاف الافكار السديدة التي هي التلخيص المكثف لتجربة الجماهير على ضوء النظرية الثورية، هو وحده الذي يسمح لنا بفهم تجربتنا بشكل ايجابي في سبيل توظيف دروس التراجع من أجل عمليات تقدم الثورة الى الامام ·

التفسير الاول : **الحرب الاهلية هي مؤامرة اميركيـة صهيونية لضرب الثورة في لبنان** تستند هذه المقولة الى فهم خاطىء لطبيعة الوضع اللبناني، ولطبيعة الصراع الدائر على أرض لبنان · ما هي المؤامرة ؟ المؤامرة هي تحرك سياسي يقوم به قبضة من العملاء · فهي قد تأخذ شكل اغتيـــالات سياسية أو عمليات ، او قد تصل الى مستوى الانقلاب العسكري · لكن المؤامرة لا تشعل حربا أهلية تشترك فيها جميع الشرائح الاجتماعية والطوائف والقوىالسياسية·

ان استخدام كلمة مؤامرة ، يخفي مفهوما خـــاطئا للصراعات الاجتماعيـة والطبقات والحروب · فالمتآمر يستطيع الدخول فـي الصراع ، أي ان اشتعال حرب أهلية يسمح للعملاء والجواسيس والعصابات بمحاولة التأثير في مسار الحرب عبر استخدام الاسلوب التآمري · تحمل هذه المقولة كـــذلك ، مفهوما خاطئا لطبيعة الامبريالية · فالامبريالية التي تستطيع عبر التآمر اشعال حرب أهلية ، هي امبريالية لها قدرة غير محدودة ، وأصابعهـــا تلعب في الخفاء وتفصل ثياب التاريخ ·

ان التركيز على الجانب التآمري وحده في الحرب الاهلية ، يقود الـــى مفاهيم وممارسات خاطئة تهمل دراسة الواقع الفعلي وتناقضاته التي فجرت الحرب الاهلية · وتعجز عن التعامل مـــع المتآمرين الصهاينـة والاميركيين واشباههم الذين يحاولون التدخل في مسار الحرب الاهلية ·

التفسير الثاني : **الحرب الاهلية هي هجوم اميركي عام على المنطقة العربية** ينطلق هذا التفسير ، من بعض ظواهر الواقع العربي ليعممها دون محـاكمة ، ثم يبني استنتاجاته على أساس هذه التعميمات · فهو يرى في جميع التحركات العربية قبل حرب تشرين وبعدها الاصابع الاميركية · فحرب تشرين هي حرب اميركية ، والحرب الاهلية في لبنان هي جزء من لعبة الامم التي يتقنها الساحر كيسنجر بكل براعة ·

متى كانت الولايات المتحـدة معنية بحـل أزمة الشرق الاوسط ؟ فعندما كانت اسرائيل على ضفة قناة السويس ، وموشي دايان يمـارس هواية جمع الآثار في الجولان ، كان كيسنجر يحدث وزراء الخارجية العرب عن الملفات التي تنتظر في درجه ، والتي لم يحن وقت دراستها بعـــد ، ومن بينها ملف الشرق الاوسط ·

ان الامبريالية الاميركية تتراجع اليوم في العالم بأسره · لذلك ، تحاول الامبريالية الاميركية ترتيب أوضاعها في الشرق العربي ضمن التراجع الذي فرض عليها · لكن كل تراجع يحمل في داخله امكانية للهجـــوم ، وقد يقوم بهجمات تكتيكية تمهد للانتقال من التراجع الى الهجوم · هذا هو جوهر الموقف الاميركي : تجزئة الحل ، ابتزاز تنازلات أساسية ، تعريب الصراع ، وذلك في سبيل تعهير الوضع العربي تمهيدا للانقضاض عليه من جـــديد · فالامبريالية لا تتخلى عن اسرائيل بسهولة ولا تتخلى عن المنطقة الغنية بتروليا واستراتيجيا دون أن تقاتل حتى الموت · لكنها ، تتراجع حين يفرض عليها ذلك وتستعـــد للهجوم · هذا هو التفسير الوحيـــد للفرق الشاســع بين براون ١٩٧٦ ومورفي ١٩٥٨ ، بين القوات الاميركية والقوات السورية · بين الهيمنة على

لبنان عام ١٩٥٨ بشكل متوازن مع عبد الناصر ، وبين السماح للسوريين ولو مؤقتا بهذه الهيمنة بشكل متوازن معهم · ان الامبريالية وهي تتراجع ، تشن هجمات وقائيه وتنسق مع أصدقائها وحلفائها في هذا الاتجاه · لكنها لا تملك مقادير كل شيء ، ولا تستطيع فرض هيمنتها الا عبر صراع طويل وبالغ الخطر

التفسير الثالث **الحرب الاهلية هي صراع بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة** ينطلق هذا التحليل من مقوله صحيحة ليقوم بتعميمها بشكل خاطىء ومبتذل · فالصراع بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة هو صراع حتمي والوفاق ليس سوى لحظة في الصراع · ولا حاجة الى التأكيد مجددا على موضوعة لينين حول حتمية الحرب·غير ان تفسير الحرب الاهلية بهذا الصراع وحده ، تكون كمن يسقط تحليلات جاهزة على واقع لا يعرفه بشكل دقيق · فهو ، على المستوى الدولي ، يهمل ظاهرة نمو حركات التحرر الوطني التي تشكل اليوم ثقلا رئيسيا في العلاقات الدولية · كما يهمل خصوصية الصراع في لبنان من ضمن الواقع العربي · فلبنان بوصفه نقطة توازن عربية وعربية امبريالية يتعرض للاختلال من ضمن حركة الصراع العربي مع العدو الصهيوني – الاميركي · لذلك يجب ان تتوجه جميع القوى الوطنية نحو حسم هذا الصراع مع العدو وعملائه · كما ان تحليلا كهذا ، يهمل واقع موازين القوى الفعلية في الشرق العربي ، حيث يواجه النفوذ السوفياتي انحسارا كبيرا بعد طرد الخبراء السوفيات من مصر · والواقع ، ان الموقف المتردد في وجهته الغالبة . الذي اتخذه السوفيات تجاه الحرب في لبنان ، يعكس ضعف نفوذهم وكونهم في موقف الدفاع · فمحاولة اقامة وفاق فلسطيني – سوري بأي ثمن ، ليس سوى محاولة لابقاء الوضع الراهن ، لان أي تطور في الصراع ، يمكن أن يؤدي الى وقوع السوريين في أحضان الاميركيين والمصريين ! لذلك يحاول الاتحاد السوفياتي اقامة توازن سوري فلسطيني مهما كان الثمن ، ويدفع الى تشكيل محور ، لا يبدو انه يمكن أن ينجح في ظل الاصرار السوري على الحسم·

ان تحليل الحرب الاهلية في لبنان بوصفها صراعا بين الدولتين ، يعني دعوة مطلقة الى التهدئة ، بحجة عدم السماح لاحد الطرفين باستغلال الصراع لمصلحته · ويخفي وجهة يمينية تتعامل مع الحركة الوطنية بشك مطلق ، يصل الى حد اتهامها بالوقوع تحت تأثير الدول الكبرى ·

التفسير الرابع : **الحرب الاهلية هي صراع طبقي داخلي** · يقوم اعتبار لبنان تشكيلة اقتصادية – اجتماعية مستقلة ، والتعامل مع التجزئة كمعطى مطلق ، الى الوقوع في خطأ عدم الفهم الدقيق للصراع الفعلي ، واعتبار الطائفة مجرد ايديولوجيا ، وعدم أخذ الواقع العربي بعين الاعتبار بشكل جدي · ان هذا المفهوم ، لا يحتاج الى نقاش ، فقد وضعته الحرب الاهلية

في مكانه الحقيقي·فعندما انتقلت الحرب الى حرب اهلية عربية،كشفت زيف هذا الطرح ولا جدواه · فأوهام الثورة الاشتراكية اللبنانية ، تساقطت مع دخول الدبابات السورية · واهمال حتمية الصراع مع البرجوازية السورية ، ومحاولة التحايل عليه بكل أنواع الذكاء البرجوازي الصغير المبتذل ، ساهمت في ايصال الحركة الوطنية الى البلبلة التي تجد نفسها اليوم فيها ·

★ ★ ★

ان مناقشة الحرب الاهلية في لبنان، تفترض التقاط النقطة المفصلية في التركيبة اللبنانية · فلقد نشأ الكيان اللبنـــاني سنة ١٩٢٠ بقرار استعماري وضمن ظروف الهيمنة الفرنسية على لبنان · ولم يتكرس عام ١٩٤٣ الا عبر صيغة تستند الى أساسين :

١ ــ وجود نزعة « مارونية » اقليمية تريد الانفصال عن سوريا والسيطرة على لبنان ، ضمن اوالية نمو مركبة للطائفة بالعـــلاقة مع شريحة التجـــار الكومبرادور التي على رأس هرمها ·

٢ ــ التقاء هذا الواقع بمساومة استقلالية قامت بها البرجوازية السورية (باعتبار لبنان جزءا من بلاد الشام ، وحتى الآن لا وجود لسفارة سورية في بيروت كشكل لاعتراف سوريا نهائيا بانفصال لبنان) مع الاستعمار البريطاني وعلى حساب الفرنسيين ، منحت لبنان استقلالا وسمحت للصيغة بالتبلور ·

لقد أعيد انتاج الكيان اللبناني عام ١٩٥٨ بشروط عربية أفضل ، وهذا ما قام به عبد الناصر في مساومته مع مورفي على الوضع اللبناني · فالصيغة اللبنانية هي في جوهرها صيغة توازن بين الطرف العربي والامبريالية · وتتغير شروط هذه المساومة ، عندما تتغير شروط العلاقة العربية الامبريالية ·

ان التغير الجوهري الذي تشهده الساحة اللبنانية في هذه الحرب الاهلية يتلخص في عامل رئيسي يتمثل في نمو البرجوازيات العربية ونمو طموحاتها في شروط محلية ودولية ملائمة · فالبرجوازية السورية الخارجة من حرب تشرين بنصر جزئي ، لم تعد ترضى بصيغة مساومة ١٩٥٨ ، بل هي تطلب المزيد · وهذا يفسر تحالفها في المرحلة الاولى من الصدام مع الثورة والحركة الوطنيـــة · غير ان هذا النمو يصطدم في المقابل بسقف المساومة مع العـدو الامبريالي ، وشروط هذه المساومة · فالبرجوازية السورية تعمـــل على المستوى اللبناني داخل شرطين متلازمين :

الشرط الاول ، ويتعلق بالمسألة اللبنانية · أي في حجم المكاسب التي تستطيع تحقيقها على الساحة اللبنانية · فاذا كانت الامبريالية الاميركية قد سلمت ، للسلطة في سوريا ، بالحق في ان تشكل ضمن معادلة التوازن اللبناني المفترضة الطرف الرئيسي في هذا التوازن ، فانها لا تسمح قطعا للبرجوازية السورية بانهاء صيغة التوازن هذه ، عبر تصفية الكيان اللبناني وتصفية مرتكزاته · هنا ، يكمن جوهر انقلاب الموقف السوري ، وتحوله نحو التحالف المعلن مع القوى الانعزالية المتمثلة بجبهة الكفور · فالبرجوازية السورية ، تعلم جيدا أن الغاء المعادلة اللبنانية سوف يعني صداما واسعا مع العدو الوطني · لذلك ، فهي تكتفي بالحجم الذي تستطيعه ، دون أن يعني ذلك تخليا عن طموحها القديم في استعادة لبنان بأسره ·

الشرط الثاني : هو أفق تسوية الصراع مع العدو الصهيوني ، عبر تقديم تنازلات متبادلة في سبيل الوصول الى انسحاب اسرائيلي من الاراضي المحتلة · فالبرجوازية السورية ، تسعى عبر مشروعها الكونفدرالي الى تجميع اكبر كمية من اوراق الضغط في يديها والى التسليم ببعض شروط الاعداء : عدم الاعتراف بمنظمة التحرير كطرف مستقل ·

هنا ، يلتقي الشرطان في الجوهر على مسألة مركزية : الافق الذي رسمته البرجوازية لصراعها الوطني · تتشكل حدود هذا الافق اساسا من العامل الداخلي : عجز سلطة البرجوازية عن احداث تغيرات طوعية في داخلها ، تسمح بالشروع فيحرب وطنية شاملةتقوم بتصفية مواقع الامبريالية في بلادنا ، في شروط دولية ومحلية ملائمة · هنا ، لا بد من الاصطدام بالثورة الفلسطينية والحركة الوطنية بهدف تطويعهما واخضاعهما للاستراتيجية التي وضعها النظام السوري :

فالثورة الفلسطينية ، تشكل تحالفا طبقيا واسعا يمارس ارقى انواع الكفاح : الكفاح الشعبي المسلح ، الذي يفترض ديمقراطية جماهيرية واسعة نسبيا · كما أن الثورة ، في ظروف المد الوطني ، مجبرة على دخول الصراع في الواقع اللبناني ، بوصفها جزءا رئيسيا من معادلة القوى في الشرق الاوسط · كما أن وجودها ذاته ، يصبح في مرحلة محاولة النظام السوري اقامة التوازن الجديد مهددا ، لانه يحجمها ويضعها داخل شرط قبول افق النظام السوري لحل مشكلة الصراع العربي ـ الصهيوني ·

كما أن الحركة الجماهيرية في لبنان ، التي شهدت نموها الواسع مع دخول الثورة ، والتي استطاعت أن تعيد ترتيب القوى داخل الشارع الوطني، تصطدم هي الاخرى بالاستراتيجية السورية · فالحركة الجماهيرية اللبنانية،

هي اساسا حركة قومية بالغة الحساسية لمسألتي الوحدة العربية وفلسطين. لذلك ، فحين يلتحم الشارع الوطني عبر ظواهره الاساسية (تنظيمات مسلحة، جيش لبنان العربي ...) بالثورة ، فانه يعبر عن طموحين مشروعين :

١ ـ رفض الجماهير للوصاية التقليدية ، التي تعبر عن طموح اجنحة الكومبرادور الاسلامي لتوظيف نمو الحركة الوطنية العربية في محاولة اعادة انتاج التجزئة ـ الكيان ، واقتسام السلطة بشكل افضل مع الجناح الكومبرادوري الماروني . يعبر هذا الرفض المشروع عن عمق ارتباط الجماهير الوطنية بمسألة الخلاص الوطني .

٢ ـ ارتباط هذه الحركة بالثورة ، بوصفها تمثل على المستويين العربي واللبناني ، اداة جماهيرية ديمقراطية نسبيا لخوض الصراع مع العدو القومي .

من الهجوم العام الى الدفاع

لم يفاجيء الاجتياح العسكري السوري المدرع للاراضي اللبنانية احدا، سوى اولئك الذين وضعوا رؤوسهم في الرمل كالنعامة ، واعتقدوا انهم يستطيعون أن يلعبوا مع النظام السوري لعبة الذكاء الضيق الافق ، مهملين حقائق الصراع الفعلي في لبنان . فالواقع ، انه منذ أن اتخذ قرار الهجوم العام ، عبر تفجير الجيش وانشاء جيش لبنان العربي ، بدا واضحا أن المسألة المطروحة هي مسألة السلطة وتوازناتها في لبنان . فالطرف السوري يريد من خلال مساومته اقتسام السلطة في لبنان مع القوى الانعزالية واستبعاد الثورة والقوى الوطنية . في المقابل ، فان الثورة حين تبادر الى الهجوم العام ، فانها تطرح مسألة السلطة في لبنان ، وهي بهذا تطرح مسألة ادارة الصراع العام داخل حركة التحرر العربية ضد العدو ، أي تطرح عمليا فرض التراجع على النظام السوري ، واحداث تغيرات في داخله لمصلحة خطوات ديمقراطية فعلية . ان قدرة الثورة والحركة الوطنية على الانتقال الى هذا المستوى ، تعود اساسا الى ظرف موضوعي ملائم ، يتمثل في التراجع القسري الذي فرض على الامبريالية والذي يسمح للحركة الجماهيرية بانتزاع مكاسب افضل .

في ذروة الهجوم ، وبعد اسقاط الفنادق ، وانتقال المعركة الى الجبل في عينطورة ـ المتين والكحالة . توقف الهجوم العام ، بعد أن بدأ ابتزاز التدخل السوري ، في محاولة لترسيخ موازين قوى ، تراهن على نصر دون الصدام مع النظام السوري . ان الهجوم العام الذي شنته الثورة ، كان يعني اساسا، انتقالا نوعيا في مسار الحرب الاهلية ، يتمثل في ذهاب الطرف الوطني

الى الحسم ، واستعداده لاقتناص لحظة تاريخية ، قد تعني تحولا خطيرا في تاريخ الشرق العربي ٠

غير أن التردد ، دفع بالقوى الوطنية الى محاولة تجنب الصدام مع السوريين ، وبذلك احجمت عن توجيه ضربة ساحقة الى القوى الانعزالية٠ فأعلنت الهدنة المسلحة ، وابتدأ العد العكسي في مسيرة التراجع ٠ ولقد استطاع النظام السوري تمرير بعض المكاسب في ظل التردد الذي ساد اوساط الحركة الوطنية :

١ ـ جرى تمرير انتخاب السيد الياس سركيس رئيسا للجمهورية ٠ ورغم ان هذا الانتخاب بحد ذاته ، لا يشكل انتقالا خطرا في مسار الحرب الاهلية ٠ غير انه سجل نقطة لصالح الطرف السوري ، سمحت له بالانتقال فيما بعد الى هجوم واسع تحت غطاء شرعيتين ، يستطيع التلاعب على حبالهما ٠

٢ ـ في الوقت نفسه ، قامت القوى الانعزالية بهجومها الواسع على محور لزعرور ـ عينطورة ٠ في محاولة لترجمة النصر السياسي السوري ـ الانعزالي على ارض القتال ٠

غير أن المقاومة البطولية التي جوبه بها الهجوم الانعزالي ، اجبرت الطرف السوري على التدخل العسكري المباشر ٠ فنشب الصدام الذي حاول الجميع تجنبه بشتى الوسائل ٠ لقد استطاع الهجوم السوري ان يجتاح البقاع وعكار دون مقاومة تذكر ، وعبر مسرحية مبتذلة لاشعال الاقتتال الطائفي في عندقيت والقبيات ٠ ثم تقدم الى بيروت على محوري صوفر ـ بحمدون وصيدا ٠ هنا حصلت المفاجأة ٠ فقد فاجأت الجماهير الجميع بهبتها البطولية وصمودها الاسطوري في مواجهة الدبابات الضخمة والصواريخ المتطورة ٠ واستطاعت ان تثبت أن الجماهير المسلحة هي دائما الاقوى ٠ وأن الشعب حين يخوض حربه يستطيع تحقيق الانتصارات ٠ ان صمود الشعب هو الذي اجبر النظام السوري على تغيير تكتيكه ، وهو السبب المباشر الذي دفع قوات الامن العربية الى لعب دور ولو هامشي ٠ لقد اثبتت ملاحم القتال مع جيش النظام السوري أن الجماهير العربية في لبنان ، تستطيع الصمود رغم الحصار ورغم قطع الماء والكهرباء ٠ وتستطيع ، في ظل توجه سياسي صحيح الوصول الى النصر النهائي ٠

ان الصفعة التي وجهت الى الطرف الآخر ، اجبرته على تغيير تكتيكه والانحناء المؤقت امام قرارات الجامعة العربية ، في محاولة لاستخدامها لصالحه عبر حركتين متلازمتين :

١ ـ دفع القوى الانعزالية ، الى استغلال تشتت القـــوات الـــوطنية وارهاقها ، عبر شن هجوم واسع على المواقع الوطنية في تل الزعتر ، جسر الباشا ،الكورة والنبعة ، حيث استطاع الهجوم تحقيق اهدافه بصورة كلية· وبقي تل الزعتر ، قلعة للبطولة ، وملحمة سوف تكون منارة لشعبنا العـربي يتعلم منها دروس الصمود والتضحية والبطولة · كما بدأت هذه القوى بشن هجمات شرسة على محور صنين ـ عينطورة في محاولة لفتح طريق زحلة ـ المتن بالقوة ·

٢ ـ قيام الجيش السوري بمهمة اشغال القوات الوطنية في الجنـوب والجبل · ولعبه دور الاسناد المدفعي والصاروخي للقوات الانعزالية في كثير من الاحيان ·

ان الصراع المسلح مع النظام السوري هو صراع حتمي ولكنه ليـس بغير حدود · تأتي حتميته من كون الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية قـد دخلت ، عبر ثغرة التراجع الامبريالي وعبر تباشير هزيمة القوى الانعزالية العميلة ، مرحلة جديدة تتمثل في التدخل المباشر في ادارة الصراع العـام ضد العدو ، وفي فرض مزيد من التنازلات عليه · يهدد هـــذا التـــدخل ، البرجوازية التي في السلطة ، عبر تهديده لطموحها التوسعي ولسقف صراعها ـ مساومتها مع العدو الوطني · من**هنا تأتي حتمية الصراع بـــين قـوى** الثورة والنظام السوري · غير أن هذا الصراع ليس بغير حـــدود : أي ان الثورة تستطيع دائما التمييز بين العدو الرئيسي والعدو الثانوي · من هنـا فهي حين تصطدم مع النظام السوري تضع لهذا الصـدام سقفـا محـددا : **اجبار النظام السوري على التراجع عن مشروعه لتحجيم الثـــورة ، وعـــن التسويات التي يسعى اليها · تسمح هذه المسألة باحداث تغييرات اساسيـة داخله ، دون أن تعني بالضرورة اسقاط سلطة البرجوازية نهائيا · بل تفرض عليها تراجعات تسمح بديمقراطية اوسع ، وتضرب اجنحتها اليمينية والتـي تدعو الى المساومة بأي ثمن ·**

يتحاشى هذا الفهم المحدد لطبيعة الصدام مع النظام السوري ، الوقوع في منزلق الانتهازيتين : اليمينية : التي تدعو الى المساومة بأي ثمن وحتـى على حساب الثورة · واليسارية ·· التي تعتقد ان الشعارات البراقة والجمـل الثورية تكفي وتغني عن المهمات الملموسة ·

ربما كان التردد والمراهنة الخاطئة على استحالة الصدام مع الجيش السوري ، هو الذي اوقع الحركة الوطنية في بلبلة ندفع اليوم ثمنها غاليا · فامام التردد والاحجام عن استكمال الهجوم العام الذي بدأته الثورة والحركة الوطنية ، استطاعت القوى المعادية المتحالفة ، ان تجبر الثورة على التراجع،

وفرضت عليها الانتقال من الهجوم الى الدفاع ، كما كشف لاول مرة ، جدية استعداد الحلفاء الجدد على المضي في مشروعهم وصولا الى تصفيـــة الثورة ٠

ان حرب الابادة التي يشنها الانعزاليون بمساندة حلفائهم ، لا تعني سوى ان الثورة تتعرض اليوم لمحاولة التصفية ٠ وهذا يقتضي وقفة حازمة تواجه هذا الخطر ، كي تنتقل بعدها الثورة مرة اخرى الى الهجوم ، وبذلـك تمنع البرجوازية التي في السلطة من فرض قيادتها الاحادية على بلاد الشام٠ تفترض هذه المواجهة ، فهما دقيقا لمعطيات الواقع ٠ فرغم اجـواء العـزلة. تستطيع الثورة الاستفادة من هامش مناورة يسمح به الوضع العربي اساسا، في سبيل اعادة ترتيب القوى ٠ وهذا يفترض فهما دقيقا لطبيعة المرحلـة، وللتناقضات العربية التي تبرز على ساحة الصراع في لبنان ٠

ان التناقضات بين الانظمة العربية في مرحلة ما بعد حرب تشـــرين ، ليست مسألة عابرة ، ولا تعبر عن شرخ في تضامن عربي هو الاصل ٠ بـل تعبر عن تطور موضوعي في مسار الوضع العربي وتعبر عن ثلاث حقائق :

الحقيقة الاولى : هي نمو البرجوازيات العربية ، وفقـــدان القطـــب (البرجوازية المصرية) بعد هزيمة ٦٧ ٠ ونمو البرجوازية السـورية وبروز النظام السعودي ٠ فلقد استطاعت البرجوازيات العربية الخروج من مأزقهـا المزمن بعد حرب تشرين ، وطرحت امكانية الاعتراف بها علـى المستـوى الدولي كطرف رئيسي في الشرق الاوسط ٠ وابرزت امكانية تسوية « غيـر مذلة » للصراع ٠

الحقيقة الثانية : هي ميل هذه البرجوازيات الى التوسع ٠ واتجاهها العام نحو توسيع هيمنتها على المناطق المجاورة ٠ هذا هو جوهـــر الموقـف المصري في السودان (قام الجيش المصري باحباط محاولتي انقلاب ضد نظام النميري في السودان الاولى شيوعية والثانية قامت بها جماعة الاخـــوان المسلمين) كما أن هذا هو جوهر الموقف السوري في لبنان ٠

الحقيقة الثالثة : هي أن الصراع بين هذه البرجوازيات هو صـــراع حتمي ٠ فالبرجوازيات القطرية الاقليمية لا تسعى الى الوحدة ، بل تسعى الى الالحاق والهيمنة ٠ وهذه مسألة حتمية تقود الى صراعاتها مع بعضها ٠ كمـا يزيد من تفاقم الصراع في المرحلة الراهنة عامل اساسي : هـو الصراع على المساومـــة المطروحة فالتكتيك الامريكي يسعى الـى اثارة الصراعات العربيـة فالاطراف البرجوازية العربية تتنازع الان على من يقود مسيرة التســوية ويفرض بالتالي قيادته على المشرق العربي ٠ هكذا برزت منذ اتفاقية سيناء

التناقضات العربية التي تتفاقم وتزداد شراسة مع محاولة السوريين السيطرة على لبنان ٠

ان هامش الصراع العربي هذا ، يسمح للقوى الوطنية باستغلاله لصالحها ، ويجب التعامل معه على هذا الاساس ٠ فالتبشير بالموقف العربي ، الواحد هو في المحصلة موقف سحري ، يحمل جميع البقايا السيئة الذكر في الفكر الفوق يساري ٠ كذلك فالوضع العربي لا ينقذ الثورة ،وهذا ما اكدته مبادرة الجامعة العربية في حجمها المتواضع رغم الخلاف السوري ـ المصري ٠

ان الصمود والقتال الطويل النفس ، هو وحده الذي يستطيع أن يمنع حرب الابادة من النجاح ٠ والخط السياسي الصحيح هو وحده الذي يقود الجماهير الى النصر ٠

وصمود المناطق الوطنية والاصرار على القتال ، ليس امرا مستحيلا في ظل هذه الحرب الاهلية الوطنية ٠ ان الجماهير التي ترفض بطرحها الايجابي محاولات تقزيم انتفاضتها تطرح مجموعة مسائل :

١ ـ سلطة شعبية مسلحة ، تقودها لجان الاحياء والنواحي والمناطق٠ تطرح هذه اللجان مسألة حل مشاكل الجماهير بشكل ديمقراطي وقيادة الصراع في سبيل دحر القوى الانعزالية وفرض التراجع على النظام السوري ٠

٢ ـ توحيد الميليشيا الشعبية في تنظيم ديمقراطي مسلح يقود الصمود ٠

٣ ـ اعادة بناء جيش لبنان العربي بشكل عسكري وسياسي صحيح كي يلعب دورا رئيسيا في المواجهة ٠

٤ ـ الانفتاح على جميع القوى المعادية للاجتياح العسكري السوري والرافضة للهزيمة ٠

ان الجماهير المقاتلة في لبنان ،اعلنت بانتفاضتها المجيدة أن الشعب لا يركع امام اعدائه مهما كانت قوتهم كبيرة ٠ وجماهيرنا حين تدافع عن نفسها ، تدافع عن قضية الامة العربية باسرها ٠

لقد دخلت البرجوازية التي في السلطة ، عبر صراعها مع الثورة منعطفا

مجهولا · ووصلت في مقامرتها على سلطتها الى اقصى الحدود · وليس ما يضمن غدا من انقلاب اصدقائها الجدد عليها ، وبداية الهجوم الاميركي الصهيوني العام في سبيل اعادة الوضع العربي الى ما يشبه حزيران ٦٧ · عندها ستكتشف البرجوازية ولو متأخرة قدرها الذي اختارته ، بوصفها مطية للامبريالية ، تفقد الامة باسرها فرص النصر في سبيل مصالح ضيقة ·

سياسة "الخطوة خطوة" في الشرق الاوسط

(دراسة اميركية لأدوار شيهان)

ميشيل كامل

صدر في الولايات المتحدة واوروبا عدد كبير من الدراسات عن السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، في اعقاب حرب تشرين (اكتوبر) . وتتضمن هذه الدراسات قدرا كبيرا من البيانات والمعلومات . وتكشف عن بعض اسرار المداولات والمباحثات ، والمواقف غير المعلنة للاطراف المختلفة . كما تتناول بالتحليل والتقييم منهج كيسنجر ، فيما اصطلح على تسميته سياسة (الخطوة خطوة).

ان الفائدة التي يمكن ان نحصل عليها من القراءة **الواعية** لهذه البحوث لا يرقى اليها الشك ، ما دمنا نراعي التحفظ ازاء ما تشتمل عليه من استنتاجات مغرضة .

فمن الملاحظ ان هذا النوع من الدراسات شبه الاكاديمية — المحدودة التداول — تتوخى امداد القارىء بكمية ضخمة من المعلومات الصحيحة ، ولكنها ترتب وتصاغ بطريقة ملتوية . بهدف الخروج بانطباعات واستنتاجات مغلوطة (١) ، لانها تتعامل في الاساس مع النخبة من الغرب ، وتعبر هذه الدراسات عن وجهة النظر الامبريالية ، وتتبنى خطا معاديا للحركة الوطنية التحررية العربية ، بغض النظر عن الطابع النقدي العنيف الذي يتسم به بعضها.

وقد نشرت مجلة (السياسة الخارجية) Foreign Policy في عددها الصادر بتاريخ ٧—٣—١٩٧٦ دراسة هامة للمعلق الامريكي المعروف **ادوار شيهان** ، احدث نشرها ضجة واسعة في الاوساط الدولية والعربية، بسبب ما عرف عن الكاتب من علاقات وثيقة بالمسؤولين الامريكيين ، وما تردد من انه استقى معلوماته مباشرة من كيسنجر *

ونستعرض فيما يلي ابرز المعلومات والاراء التي جاءت بالدراسة ، بعد اعادة ترتيبها بصورة تكفل القاء الاضواء على حقيقة ودوافع واهداف السياسة الامريكية ، وتكشف النقاب عن بعض خفايا منهج كيسنجر ، الذي تروج له بعض النظم والقيادات العربية ، على انه يشكل تغييرا جذريا في السياسة

الامريكية ، وتحولا نوعيا لمصلحـــة الجانب العربي .

والواقع ان كل الكتابات الخاصـــة بهذه المرحلة تبرز دور هنري كيسنجر على انه المهندس الحقيقي و (متعهد) السياسة الخارجية الامريكية طـــوال السنوات السبع الاخيرة ، منذ انتقاله الى البيت الابيض في كانون ثان (يناير) ١٩٦٩ ، ثم ترؤسه لمجلس الامن القومي (مركز قيادة السياسة الخارجيـــة) ، فانتقاله الى وزارة الخارجية ، ليجمع بين يديه سلطات هائلة ، قلما توفرت لرجل واحد . الا انه يجب عدم المعـــالاة في هذا العامل ، لان حريته في الحركة تظل محكومة بنظام صناعة القـــرارات الامريكي . هذا ، بالاضافة الى كونه مرتبطا اشد الارتبـــاط بالسياســـة التقليدية ، لا يتحول عنها الا بقـــدر محدود محسوب ، وعندما يفرض عليه ذلك فرضا ، وتتهيأ ظروف مواتيـــة . واتخذ كيسنجر نفسه موقف (الصقور) ازاء العديد من القضايا الحيوية ، فانتقد بعنف سياسة ايزنهاور من حـــرب السويس عام ١٩٥٦ ، وامتدح التدخل الامريكي في لبنان عام ١٩٥٨ . وكـــان من دعاة توسيع العمليات الحربية عبر الحدود الصينية اثناء الحرب الكورية .. وهي السياسة التي انتهجها فـــي مواجهة الحرب الثوريـــة في فيتنـــام الجنوبية ، بالقصف الوحشي لجمهورية فيتنام الشعبية وكمبوديا ولاوس . كما كان وراء الانقلاب العسكري في لاوس وشيلي .. الخ .

وقد ارتبط اسم كيسنجر بمترنيـــخ الذي تولى المسؤولية عن سياســـة النمسا الخارجية في عصـــر غـــروب امبراطوريتها . وتبدت عبقريته في تأجيل وابطاء مسار عملية التدهور والانهيار .

ولعل الدليل على تضخيم (عبقرية) كيسنجر ، نجده في عجز السياســـة الامريكية ـــ الكيسنجرية عـــن ادراك طبيعة التغيرات التي طرأت في المنطقة العربية في وقت مبكر .

ـــ فلم يقدر كيسنجر مدى عمـــق التحولات في السياسة المصرية ، منـــذ قبول مشروع روجرز ، ثم ـــ والاهم من ذلك ـــ مغزى خطـــوات السادات التالية ، التي بدأت بمبـــادرة شـــباط ـــ فبراير ـــ ١٩٧١ ، وانقلابه علـــى المجموعة الناصرية في ايار ـــ مايو من نفس العام ، وتحالفه مع السعودية ، وتبنيه لسياسة (الانفتاح الاقتصادي) ، حتى (مفاجأة) (٢) طرد المستشارين السوفيات ، التي يقول شيهان عنـــها : « ووقع هذا على كيسنجر وقع الدهشة البالغة ، وسأل مساعديـــه : لماذا اسدى السادات الي هذا المعروف ؟ ولماذا لم يتصل بي ؟ ولماذا لم يطلب مني اولا جميع انواع التنازلات » ص٦ كذلك الاستخفاف بمغزى مهمـــة حافـــظ اسماعيل ـــ موفد الرئيس المصري ـــ شباط ١٩٧٣ ، والقرار الاستفـــزازي الذي اعلنته واشنطن ، بعد اقل مـــن من ٢٤ ساعة من رحيله عن واشنطن « بتزويد اسرائيل بست وثلاثين طائرة سكايهوك وثمان واربعين طائرة فانتوم » ص ٧ ، ثم استهتاره بوزراء الخارجية العرب اثناء لقاء اواخر ايلول ١٩٧٣ ، بعد توليه منصب وزير الخارجيـــة . وعجز عن ادراك العديد من الظواهر بالغة الدلالة ، في السياسة المصرية ، وفهم مغزى الرسائل المتبادلة ، ومنها على سبيل المثال ، النثر المبتذل الذي ارسل

به اشرف غربال (٣) لكيسنجر . «وقال فيه : في احدى الحفريات التي قمت بها حديثا ، عثرت على عبارة استغرابية قديمة ، كانت في قبر امنحوتب ، اله الطب في ازمنة الجاهلية القديمة ، والعبارة تقول : تعال زر نيلى ، وليس عليك ان تقف في الصف ، لان لدى دواء ناجع لاوجاع معدتك ، وكذلك لوجع رأسك على وجه التأكيد . فما رأيك في ذلك عزيزي هنري . **هل ندخل الشرق الاوسط من باب عريض ؟** » !! ص٥و٦ .

— فوجيء كيسنجر باندلاع الحرب . ولم تكن المفاجأة بسبب نقص المعلومات او عجز اجهزة المخابرات الامريكية والاسرائيلية — المترابطة — ، او براعة التمويه من الجانب العربي ، وانما نتيجة **الحسابات الخاطئة** ، وعدم القدرة على فهم الواقع العربي ، وعقلية النظم والقيادات ، وطبيعة ازمتها ، وتصورها للمخرج من هذه الازمة .

عام اوروبا ينتهي في الشرق الاوسط .

خلال عام ١٩٧٣ صرح كيسنجر لمسؤول عربي بان « الشرق الاوسط غير مهيأة لي الان» ص٦ . وكان وزير الخارجية الامريكي « يتجاهل صرخات السادات المسرحية في طلب المساعدة . وكان يتمسك بنظرية يرتاح اليها ، وهي ان الحليف الاستراتيجي الوحيد الذي تدعو الحاجة اليه في الشرق الاوسط هو اسرائيل » . وكان كيسنجر قد اسقط قضية الشرق الاوسط من حسابه واعلن ان ١٩٧٣ هو « عام اوروبا » . وركز جهوده على دعم حلف الاطلنطي او احياء مشروع جان موريت للمثلث الذهبي الذي يضم اوروبا الغربية وكندا والولايات المتحدة ، ولتحسين العلاقات مع اليابان (بعد الازمة المترتبة على تخفيض الدولار والانفتاح على الصين) كما وجه اهتمامه للتوصل الى اتفاق « سولت ٢ » مع الاتحاد السوفياتي ، وتوسيع العلاقات مع الصين ، لموازنة العلاقة مع السوفيات واستغلال التناقضات بينهما ، بالاضافة الى تقوية مواقع واشنطن في امريكا اللاتينية ، التي اهملت وتفسخت ، ومحاولة تجميد الاوضاع في فيتنام ، وحماية الحكومة العميلة في الجنوب من الانهيار (زيارته الاولى لهانوي في شباط ١٩٧٣) .

تلك كانت مشاغل كيسنجر ، وبرنامج العمل لعام ١٩٧٣ ، عندما فوجيء باندلاع الحرب في تشرين .

من المعروف ان اسلوب كيسنجر في « حل » الازمات هو التصعيد «والتسخين» الى ابعد الحدود ، تمهيد التدخله ، من موقع قوة (نموذج فيتنام) وينقل الكاتب عن كيسنجر « الحكمة» التي يرددها دائما « انا لا اعالج الازمات وهي باردة ، بل وهي حامية » ص ٤ . وقد اتبع نفس الخطة ازاء الحرب العربية الاسرائيلية ، فبادر باقامة جسر جوي هائل — لم يسبق له مثيل في التاريخ — لنقل السلاح لاسرائيل ، ووضع خطة طوارىء لامدادها بالمتطوعين الامريكيين ، وتدخل الاسطول الامريكي ، اذا لزم الامر ، وانتظر تحول مجرى القتال لمصلحة اسرائيل (ثغرة الدفرسوار والتراجع

في الجولان) ، وخرق وقف اطلاق النار ، لتطويق الجيش الثالث ، ودعم الوجود العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية للقنال ، وهدد السادات (الذي امتثل صاغرا)ضد محاولة تصفية الثغرة ، مؤكدا تدخل امريكا المباشر في هذه الحالة ،ووضع قوات الولايات المتحدة في كل العالم على اهبة الاستعداد للحرب .ويذكر شيهان ان « المصريين استشفوا من خلال الحوار خيطا رفيعا جدا ، هوالتهديد الضمني من كيسنجر بانه سيطلق العنان للاسرائيليين ، حتى ينقضوا على الجيش الثالث ، اذا لم يذعن السادات لمقترحاته » ص ١١

وكانت الاوضاع مواتية تماما، فالجبهة العسكرية مختلطة متداخلة ، لا يقبل بها او يتحملها احد من الفرقاء ، وتشكل خطرا على كل منهما . وكانت «اسرائيل ومصر معا ، بحاجة ماسة الى اتفاق .وكان على اسرائيل ان تسرح الجنود والا واجهت خطر الافلاس . وكان على السادات ان ينقذ الجيش الثالث ، وان يبرهن ان الحرب اربحته بعض الارض»ص ٢٣ .

صديق عدوي صديقي

وبدا ادراك ــ متأخر ــ لامكانية استغلال التغييرات في المنطقة ، لانجاز تحولات لمصلحة الولايات المتحدة .فعلى نقيض الاتجاه العام لموجة المد الثوري التي تجتاح العالم ، كانت التطورات في المنطقة ، توحي بفرصة الرد على الانتصارات الشعبية ، بانتصارات امريكية مقابلة ، في منطقة ذات اهمية استراتيجية بالغة ، طبقا لمنهج كيسنجربان تعمل الولايات المتحدة « بعد كل نصر شيوعي » او تقدمي ، على احراز« نصر امريكي اكبر » .

يقول شيهان ان « الجسر الجوي لم يؤد الى حرق جسور كيسنجر مع السادات » . وكذلك ٢ر٢ مليار دولارمن المعونات المستعجلة ــ . « بل انه لم يكد يمضي على بدأ ذلك اسبوعان حتى طلع السادات باعلان ان السياسة الامريكية سياسة بناءة .. » وكان الرئيس المصري « يتحرق شوقا الى عقد صفقة مع الولايات المتحدة ..وكان كيسنجر في واقع الامر ، حتى والاسلحة الامريكية تتدفق على اسرائيل ، وعلى سيناء ، **يستغرب اعتدال رد الفعل العربي** » ص ٩ . وكان « السادات قدتوصل ، قبل انتهاء الحرب الى ان الولايات المتحدة ، وان كانت مخزن السلاح الذي يغرف منه العدو ، ترغب ايضا ان تبقى صديقة له ، وان الروس لا يستطيعون تقديم السلام » ص ١٠ ، واقنع كيسنجر السادات ، بانه « يجب الان ان نترك جانبا الامور التي لا يمكن التوفيق بينها ، ويجب ان تبنى الثقة ،وان نولد ما يدفع نحو المفاوضات . ويجب ان نجري اتفاقيات صغيرة ،**وان تمضي خطوة فخطوة** » **ص ١٠**

كما « قبل ــ الرئيس المصري ــ المسودة التي وضعها كيسنجر من ست نقاط ، ومباحثات الكيلو ١٠١ ، ووافق المصريون على ان يعيدوا العلاقات الدبلوماسية كاملة بالولايات المتحدة »وخرج كيسنجر من قصر الطاهرة «ومعه شيء لم تكن الولايات الملتحدة تملكه من قبل ، وهو سياسة عربية » .. « ومنذ ذلك الحين **اصبح السادات بمثابة حجر الزاوية لهذه السياسة** » ص ١٠ واصبح كيسنجر لا يأتي بجديد او يقوم بمبادرة في الشرق الاوسط الا بعد استشارة الرئيس المصري ، والمثل العربي يقول عدو عدوي صديقي ،بينما

جعل السادات هذا المثل في صيغة محررة جديدة وهي « صديق عدوي صديقي ايضا ، » ص ١١

وتلاحقت التنازلات من جانب مصر ،وتهالكت على ارضاء واشنطن ، فقد وقعت اتفاقية تثبيت وقف اطلاق النار بنقاطها الست ــ اقتراحات دايان ــ واسقطت السلطة مطلبها بالعودة الى خطوط ٢٢ تشرين ، وتخلت عن شرط تحديد جدول زمني لانسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ وقبلت المنهج الامريكي بالحلول المرحلية الجزئية والمنفردة . والواقع ان السادات هو « صاحب الفضل » في انتهاج هذا الاسلوب ، منذ مبادرة شباط ١٩٧١ . (٤) .

وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية « اصدر كيسنجر تعليماته الى سفيره في القاهرة ، بان يعلم السادات انه الان لا يحبذ اشتراك الفلسطينيين في دعوة مؤتمر السلام . وقد تسمح اسرائيل لفلسطينيين مأموني الجانب من رعايا الملك حسين ، بان يجلسوا مع الوفد الاردني . ولكنها لا تحتمل وجود وفد منفصل تسيطر عليه منظمة التحرير الفلسطينية . وهذا معناه ان كيسنجر قد استبعد عن مشروع اقرار السلام ، العنصر الاساسي في النزاع العربي الاسرائيلي » .

كل رد الفعل من جانب السلطة المصرية ، ان كيسنجر « في زيارته للقاهرة في ١٣ كانون الاول ــ ديسمبر ــ وجد ان السادات كان مكتئبا (!) ، بسبب اخفاقه في تدبير امر اشتراك الفلسطينيين في دور لهم في جنيف . ومع ذلك فقد وجده ايضا مستعدا **للملاينة والمراضاه** . واكد له كيسنجر : اننا ننظر اليك باعتبارك اكبر زعيم عربي . وغرضنا هو تعزيز مركزك في مصر وفي العالم العربي »ص١٧ .

وعلى هذا الاساس ، فان وزير الخارجية الامريكي في ٢٠ كانون الاول « باح للاسرائيليين بسر ، وبمذكرة للتفاهم وعد فيها بانه لن يدعى مشتركون آخرون الى اجتماعات جنيف في المستقبل ، دون موافقة المشتركين الاول اي اعطاء اسرائيل الحق رفض اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية » . ص ٢١

وفي اوائل كانون الثاني ، عاد ديان الى واشنطن « وابرز فكرته عن المناطق الخمس ، وقال ان منطقة فك الارتباط ، يجب ان تشمل خمس مناطق منها منطقة حاجزة للامم المتحدة (المنطقة الاولى) بين الجيشين المصري والاسرائيلي . وتكون قوات هذين الجيشين في منطقتين (هما الثانية والثالثة) مخفضة تخفيضا شديدا .وفيما وراء المنطقتين الثانية والثالثة يجب ان تكون على كل جانبي قناة السويس المنطقة الرابعة والخامسة.. بعمق ٣٠ كيلو مترا ويمنع فيها وضع الصواريخ ارض جو » .

« وهذه الخطة اصبحت الاساس التصوري للاتفاق الذي عقب ذلك بوقت سريع . **والفكرة كانت فكرة ديان وليست فكرة كيسنجر** » ص ٢١ .
« ويمكن ان يدعى ديان الاب السري لهذه الخطة » ص ٢٢

« قال السادات : يصعب علي ان اوقع وثيقة تحدد القـــوات في الارض الخاصة بي » ، لكنه « قبل خطة ديان التصورية ، واضاف قائلا: **لن اماحك في التفاصيل ..**» !

« وفي عصر ذلك اليوم ارتأى كيسنجر ان يضمن صورة فك الارتباط في وثيقتين اتفاق رسمي توقعه مصر واسرائيل ،وكتاب منفصل من الولايات المتحـدة ، موجه الى كلتا الحكومتين ، يرد فيـه تعيين لما تفهمه الولايات المتحدة مـــن تحديد القوات . اما الاتفاق الرسمـــي فيلمح الى تحديد القوات تلميحا لا غير، بينما الكتاب الامريكي يحددها . **وبهذه المداورة يستطيع السادات ان يدعـي بان اسرائيل لم تفرض تحديدات على مصر** » « وطلب المصريون من كيسنجر ان يعمى خط ديان في المناطق الخمس ،وافقوا على **تعيين خمس مناطق فـــي الاتفاق وثلاث نقاط على الخريطة** » !ص ٢٢ . وهكذا خفضت القوات المصرية شرقي القنال من ٦٠ الف الى ٧ آلاف ،وخفض السلاح ، واخليت منطقـــة عرضها ٣٠ كيلو متر غرب القنال مـــن الصواريخ .

« لم يتلق السادات جـدولا زمنيا لانسحابات اسرائيلية اخرى .. ووعد الولايات المتحدة سرا بان يسمح للشحنات الاسرائيلية غير الحربية بعبور قنـاة السويس .. حالما يجري تنظيفهـــا وتنقيتها .. وقبلت مصر باستطلاعات امريكية جوية فوق منطقة فك الارتباط»ص ٢٢ .

و « حاول السادات مـــن جملة مساوماته مع كيسنجر في مقابل فـك الارتباط في سيناء ، ان يقنع امراء النفط بانهاء المقاطعة » ص ٢٣ . كما يشير الكاتب الى ان وزير الخارجية الامريكي« طار الى القاهرة في ٩ تشريـن اول (١٩٧٤) ، لا ليبحث معه المفاوضـات الجديدة بشأن سيناء فحسب ، ولكـن ايضا ليلتمس مناصرته للاردن في مؤتمر القمة العربي الموشك على الانعقاد » ص ٣١ . ولم يعد خافيا دور السادات سواء في المؤتمر ، او بمـــناورة بيان الاسكندرية الذي حاول عن طريقـــه الالتفاف حول قرارات الرباط واجهاضها.

ويكشف شيهان دور الرئيس المصري في تجنب « جنيف » ، فينقل الكاتب عنه قوله لكيسنجر في اسوان «ولماذا جنيف؟ يمكنك ان تفعل ذلك كله هنا » ص ٢١. ويستطرد قائلا : « وقد ساعد فـــك الارتباط ايضا ، في القضاء على مؤتمر جنيف . وكـــان السادات كارها مفاوضة اسرائيل وحده ، ولم يكـــن يستطيع ان يجازف بالعودة الى جنيف،الا بعد ان تكون سوريا قد استعادت بعض الاراضي عن طريق فك الارتباط »ص ٢٣ .

وعندما عاد كيسنجر الى دمشـــق « وجد الاسد مستشيطا غضبا علـى السادات .. **وخفض الاسد مطالبه** ،مما اعطى كيسنجر نقطة انطـــلاق ، ابلغها للاسرائيليين » ص ٢٣ . الامر الذي يوضح التأثير السلبي للاتفـاق على موقف النظام السوري.

وبعد ان شعر وزير الخارجية ببوادر فشل مساعيـــه في مفاوضات اذار ـــمـــارس ـــ ١٩٧٥ ، راح يشـــرح مخاوفه لقادة اسرائيل ، قائلا فـــي

حديث بالغ الدلالة « الزعماء العرب الذين اعتمدوا على الولايات المتحدة ، سيساء الظن بهم ، ولا يصدقهم احد في اقوالهم ، فاسلوب الخطوة خطوة قد مني بما قطع انفاسه ، اولا من ناحية الاردن ، وثانيا من جهة مصر . وقد اخذ زمام ضبط الحوادث والسيطرة عليها يفلت من يدنا . والان سنرى العرب يعملون معا في جبهة متحدة . وسيشتد الاهتمام ويزداد بالفلسطينيين ، وسيتم ربط بين التحركات في سيناء وفي الجولان ، وسيعود السوفيات الى مسرح الاحداث والولايات المتحدة اخذت تفقد سيطرتها على مجرى الامور .. وسيضطر الاوروبيون الى التعجيل في انشاء علاقات لهم بالعرب .. الخ » ص ٣٤ .

ولم يصدق حدس كيسنجر ، ولم تتحقق مخاوفه (٥) ، فقد « اكد السادات ثقته بكيسنجر ، وجدد مدة انتداب قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة في سيناء . واعاد في اوائل حزيران — يونيو — فتح قناة السويس . **وهذه العوامل تضافرت جميعها على نقض الصورة التي كان كيسنجر يأخذ بها عن المستقبل** » .

عبقرية فرد ام تخاذل انظمة ؟

فالمسألة اذا ، لا علاقة لها بنبوغ وعبقرية الفرد كيسنجر (وان كنا لا نبخسه حقه في الذكاء والحنكة) ، ولاترجع الى مرونة وتفتح المؤسسات الامريكية المختصة ، او قدرة نظام صناعة القرار الامريكي على التأقلم والتكيف (وهذا يجري في حدود ضيقة للغاية محكومة باطار الحتمية التاريخية) وانما نعزو نجاح هذه السياسة في الاساس الى **ظروف وواقع موضوعي محلي** ، كانت عاملا في « فرض » النجاح على وزير الخارجية الامريكي (رغم انفه ، ان جاز القول) ، حتى حينما اخطأ الحساب واساء التقدير ، المرة تلو المرة . **فالتحولات الجذرية التي طرات على المنطقة ، داخل النظم والقيادات البرجوازية ، انضجت الظروف ومهدت الطريق ، وفتحت الابواب على مصراعيها — بل واقامت اقواس النصر — للمسيرة المظفرة للسياسة الامريكية ، في عصر افولها** . وذلك لان النظم والقيادات الراسمالية المحلية استنفدت طاقاتها وقدراتها « الوطنية » ودخلت مرحلة عقمها **وانهيارها — كحتمية تاريخية —** ، **الامر** الذي يقود بالضرورة الى مواقف الخنوع والاستسلام ، والاكتفاء والالتحام في وضع التبعية للمعسكر الامبريالي ، دون ان يبرز وينضج البديل الثوري المؤهل لانجاز المهام القومية والاجتماعية ، بالقدر الكافي والقوة الاستقلالية — الفكرية والسياسية والتنظيمية — التي تكفل احباط الردة .

ويتابع الكاتب — باختصار — تغطية مباحثات وتوقيع اتفاقية سيناء الثانية .. « والسادات يبدو مستسلما بصورة غريبة » .. و « كان المصريون قد وافقوا على محطات المراقبة الامريكية » ص ٤٠ و « اعطى السادات اسرائيل الالتزام بحالة عدم الحرب في كل شيء الا الاسم .. ووعد كيسنجر سرا ، بانه لن يشترك في حرب اذا هاجمت سوريا اسرائيل » ص ٤٣ .. الخ . ولكن شيهان لا يتطرق الى التحولات الداخلية السياسية

والاقتصادية ، والاجتماعية داخل مصروغيرها من البلدان العربية — ، رغم انها حجر الزاوية في فهم السياسة الخارجية ، فالاخيرة انعكاس مباشر للطبيعة الاجتماعية للنظام . فالتغييرات الجذرية في التركيب الطبقي للسلطة ، وهيمنة الرأسمالية الكبيرة — ونفوذ القطاع الطفيلي والكومبرادوري بالذات — وما اعقبه ، وترتب عليه ، من تطورات اقتصادية واجتماعية في اتجاه التخلي عن الاستقلال الاقتصادي ، وربط مصر بالسوق الرأسمالي الغربي ، واخضاعها لسيطرة الاحتكارات الامبريالية . . كانت هي الاساس في انتهاج خط الاستسلام السياسي .

ويشير شيهان عرضا الى ان احدمقومات سياسة كيسنجر في المنطقة هي « الترويج للتكنولوجيا الامريكية ، ليكون ذلك واسطة لزيادة النفوذ الامريكي في الامم العربية جمعاء » ص٣ وان جوهر سياسة تسير على مستويين ، اولهما حصر الصدام العربي — الاسرائيلي ، و « المستوى الثاني هي الترويج للتكنولوجيا الامريكية التي يتشوق اليها جميع العرب ، بمن فيهم الراديكاليون » .. « ومن ناحية المصريين فان السياسة الامريكية الموازية ، هي بذلك المساندة الدبلوماسية والمال الامريكي ، وتشجيع الاستثمار الامريكي في مصر ، وتشجيع امراء النفط على انقاذ الاقتصاد المصري .. وتشجيع الاوروبيين الغربيين على بيع الاسلحة الى السادات .. لسد الطريق على الاتحاد السوفياتي ...الخ » ص ١٦

واصبحت سياسة كيسنجر العربية « قائمة على ما هو شبيه بالتحالف بين القاهرة وواشنطن ، او هي على التعيين قائمة على الصداقة بين كيسنجر والرئيس المصري انور السادات » ..وقد ادرك وزير الخارجية الامريكي منذ البداية الاهمية التي تمثلها مصر ، وانه « اذا ضمن السادات ، فسيحذوا العرب الاخرون حذوه » ص ٣ . وكان ينصح القادة الاسرائيليين دائما « بضرورة ادراك الضغوط القاسية الواقعة على السادات . وكان « الاستراتيجيون الاسرائيليون يتحدثون عن فصل مصر عن سوريا ، واخراج مصر من دائرة النزاع العربي الاسرائيلي » ص ٣٢ .ولكنهم كانوا عاجزين عن اتخاذ المواقف الكفيلة بتحقيق هذا الهدف الحيوي ، بسبب عقليتهم العنصرية المتزمتة . وهنا يبرز دور كيسنجر ، الذي يملك بحكم حسه التاريخي ونظرته الاكثر شمولا ، القدرة على الترشيد — الجزئي — للسياسة الاسرائيلية ، الامر الذي يخدم مصالح اسرائيل — وامريكا بطبيعة الحال — بقدر اكبر مما توفره النظرة الاستناتيكية الجامدة للقادة الصهيونيين . .

« يجب تخليص الاسرائيليين من انفسهم »

ان المصالح الامريكية في المنطقة لم تتغير ، وكذلك استراتيجيتها . كل ما هناك انها اضطرت لادخال تعديلات في الاسلوب والتاكتيك ، اي **الشكل لا الجوهر .**

فما زالت الولايات المتحدة تنتهج خط دعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا للمحافظة على قوتها ودورها « الرادع » في الشرق الاوسط ، ولحماية مصالحها

البترولية ، وضمان تدفق النفط العربي بافضل الاسعار ، والاستحواذ على القدر الاكبر من العوائد المالية لدول النفط ، وتقليص دور الاتحاد السوفياتي والهيمنة على المنطقة اقتصاديا وسياسيا وتلعب ايران والسعودية ومصر — مؤخرا — دور الركائز الاساسية في هذا المخطط ، جنبا الى جنب مع اسرائيل .

ويحاول كيسنجر اقناع « العرب » بالتغير في السياسة الامريكية .. وموقفه الحيادي . وروج القادة واجهزة اعلام النظم والتنظيمات المتهالكة على الحل الامريكي ، لهذه المفاهيم الزائفة. وكان يضايق وزير الخارجية الامريكي الا يتفهم قادة اسرائيل حقيقة ودوافع وتاكتيكات واشنطن ، التي تتوخى حماية اسرائيل نفسها ، ومن نفسها ، حتى لا تؤدي تصرفات حمقاء ضيقة الافق ، الى احباط مخططها لاخضاع المنطقة كلها ، الامر الذي يتفق تماما مع مصالح اسرائيل .

وبعد تعثر مباحثات اذار ، قال كيسنجر لايجال آلون « ان احد الاسباب ، لما انا وزملائي فيه من غيظ، هو ان **نرى صديقا لنا يحدث الضرر لنفسه** ، بعد خمسة اعوام **من الان** ، لاسباب تبدو تافهة » ص ٣٤ ، ثم وانه « من الامور الفاجعة ان يرى المرء **اناسا يحكمون على انفسهم ، بالتزام مسلك فيه من الخطر ما لا يصدق** » ص ٣٥ ..

وينقل شيهان عن المساعدين المقربين لكيسنجر انه (ما من شيء يسبب له عذاب النفس ووجع القلب ، اكثر من اتهامات من هذا القبيل » .. «وهو شديد الافتخار بانه يهودي ، وحينما يحض على تغييرات في سياسة اسرائيل فهو انما يفعل ذلك لانه يود لاسرائيل ولليهود العالم الفلاح وحسن الحال . ومما يحز في نفسه ، ويمزق احشاءه ان تنسب اليه الخيانة والغدر ضد قومه وفي اثناء الاسابيع التي تجلت فيها حدة العواطف بعد المفاوضات الفاشلة سأل كيسنجر عددا من الذين زاروه من اليهود: كيف يمكن لي وانا يهودي ان اعمل شيئا اخون به قومي؟..» ص ٣٨ وكان يحمل الدعوة الى ضرورة « تخليص الاسرئيليين من انفسهم » .

ويذكر شيهان ان كيسنجر قال لاحد معارفه « اليهود في التاريخ يكونون في الغالب مفكرين يحسنون الاختلاط مع جميع الشعوب . ولهم تبصر بعيد في الامور . ولكن المثل الاعلى في اسرائيل هو الجندي الفلاح . فالعادة الا يكون الجندي من اصحاب الفكر . وقل من الجنود من كان له بعد في التبصر وسعة الخيال . والفلاح معروف باحجامه وعناده ، وبانه مفرط في الحذر .. وهم ممعنون في دقائق الاعتبارات القانونية على غرار التلمود » ص ٣٦ .

والواقع ان كيسنجر قد انجز بسياسته لمصلحة اسرائيل ، اكثر بمراحل مما كانت تقدر عليه تل ابيب باستخدام المنهج الذي تتبناه . ورغم ذلك ظلت واشنطن تسخو في العطاء لاسرائيل ، وتخضع لابتزازها ، وتقدم لها تعهدات ومساعدات بلا تحفظ .ويستشهد الكاتب بمذكرات الاتفاق الاسرائيلية الامريكية ، التي جاء فيها على سبيل المثال « تحاول حكومة الولايات المتحدة ان تحول دون اقتراحات توافق هي واسرائيل على انها مضرة

باسرائيل . والولايات المتحدة مصممة على المحافظة على القوة الدفاعية لاسرائيل عن طريق تزويدها بانواع متطورة من الاجهزة ، كطائرات ف-١٦ على المحافظة على الثورة الدفاعية وان تقوم بدراسة مشتركة للتكنولوجيا المتطورة والاسلحة المعقدة ، بما في ذلك صواريخ بيرشينج ارض — ارض ذات الرؤوس العادية .. والولايات المتحدة لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية، ولن تفاوضها ما دامت هذه لا تعترف بحق اسرائيل في البقاء ، ولا تقبل بقراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ ... وحكومة الولايات المتحدة تسعى لتنسيق موقفها واستراتيجيتها في مؤتمر جنيف مع موقف واستراتيجية الحكومة الاسرائيلية » .

وقد اثارت هذه التعهدات نقدا شديدا داخل الدوائر الامريكية نفسها ، اعتبرها مساعدو كيسنجر « مفزعة للنفس » ، وبمثابة « عقد للزواج » . ويعلق الكاتب « اذا كان لا بد لامريكا من ان تدفع مهرا بهذا القدر من اجل جزء يسير من سيناء ، فكم يكون مبلغ ما ستدفعه من اجل السلام ؟ » ص ٤٢

ويضيف شيهان انه منذ حرب تشرين امدت الولايات المتحدة اسرائيل بما قيمته على الاقل ٣ بلايين دولار من الاعتدة » ص ٤٤ وانها « ستتلقى حتى نهاية ١٩٨٠ ما قيمته ٥ بلايين من الدولارات او اكثر من السلاح ، وكثير من هذا ، على سبيل الهبة » ص ٤٣

الرياض ودمشق :

وفي الرياض كان هدف هنري كيسنجر الرئيسي التعجيل بالغاء الحظر على النفط . ولعب على « النغمة » المحببة الى نفس فيصل ، لتبرير مسلك واشنطن فقال « الدافع عندنا رغبة في الحيلولة دون حدوث زيادة في النفوذ الشيوعي . فلما شرع السوفيات في ارسال الاسلحة اضطررنا للرد على ذلك .. » ص ١٢ . والتقط الملك الخيط ليحمل على «الشيوعية والالحاد» واستطرد « اود ان تعلموا مبلغ ما يصيبني من الم اذا انا اتخذت خطوات قد تلحق الضرر بصداقتنا » و « يجب ان تتحركوا بسرعة لكي نرفع الحظر. لقد كان من دواعي المي ان اتخذ هذا الاجراء ضد اصدقائنا الامريكيين » . وشرح له صعوبات اعادة الضخ ، قبل تحرك مقنع من جانب واشنطن ، معتذرا « فانا ايضا في وضع صعب ».. « الشيوعيون يتهمون بعض العرب بالرضوخ للضغط الامريكي » ص ١٤ (وهو يقصد الحركة الوطنية التقدمية عامة) ، الامر الذي يكشف احد اهم دوافع القرار والخوف من التراجع بشأنه . ولكن قرار رفع الحظر اتخذ الربيع !

وكشف الملك فيصل عن دور « التهجين » الذي يلعبه بالنسبة لسوريا — بعد مصر — فبادر الى تنبيه وزير الخارجية « سألت صديقا سوريا عما اذا كانت سوريا تعارض زيارة سعادتكم لها . وقد اجاب ان سوريا ترحب بكم » ص ١٣ . وحض عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية كيسنجر على زيارة دمشق ، «ونقل له اعتقاد فيصل ان سوريا هي مفتاح للسلام » ص ١٥ . ويقول شيهان « ووعد (فيصل) كيسنجر في منتصف كانون الاول — ديسمبر — ، بان يفعل ما يستطيع لتشجيع المفاوضات ، ولا سيما في سوريا . وهو امر له اهميته الجوهرية في واقع الامر .. واصبح الملك هو **الممول لدبلوماسية كيسنجر المؤقتة في جميع الشرق الاوسط. فقد مد السادات**

بالمال ، واستمال السوريين ، وساعدالصحف في بيروت .. » ص ١٥

وقد شرح الكاتب ، كيف غضب الرئيس الاسد من الاتفاق المصري الاول وفي لقائه مع كيسنجر لاول مرة قال له: « لا بد من اتفاق على فك الارتباط ، قبل مؤتمر جنيف » .. و« خفض مطالبه » ، وعندما اوشكت المباحثات على الفشل « وضع الاسد يده على يدكيسنجر ، وقال : شيء مؤسف . لقد قطعنا تلك المسافة الكبيرة ، ولم نوفق ، الا يمكن ان نفعل شيئا بشأن هذا الخط . عد الى القدس وحاول مرة اخرى » ص ٢٧ . وبعد يومين تم الاتفاق . وكان على غرار فك الارتباط الاسرائيلي المصري.. نظام الخمس مناطق بما في ذلك منطقة الامم المتحدة ومنطقتان بعمق ١٠ كيلو متر لاسرائيل وسوريا ، حيث الجنود والمدفعية والدبابات محدودة تحديدا شديدا ، ومنطقتان متناظرتان بعمق ٢٠ كيلومتر ، تكون الصواريخ فيها ممنوعة . وفيما وراء منطقة القنيطرة ، سمح للاسرائيليين بان يتابعوا فلاحة الحقول ضمن المنطقة الحاجز ، واحتفظوا بمستوطناتهم وبالثلاث ذات القيمة الاستراتيجية . « واتفق على تسمية القوات المسلحة للامم المتحدة باسم قوة المراقبة ، لمنع الحساسيات عن سوريا » .

القضية « المؤجلة »

في عرضه للمقومات الاساسية لسياسة كيسنجر بعد حرب تشرين يقول شيهان « منذ غداة الحرب، حتى اواخر السنة الماضية ، كان كيسنجر يتشبث دائما بتفادي القضية الفلسطينية ،وان كانت هذه القضية في موضع المحك من الصراع العربي الاسرائيلي » ص ٣ .

وقد اعلم السادات بذلك .. وقبل الرئيس المصري « مكتئبا » ، فابلغ وزير الخارجية الامريكي اسرائيل بذلك في « مذكرة التفاهم » ، واصبح من القواعد المتفق عليها .

وفي اللقاء الاول لكيسنجر مع الرئيس الاسد ، عمل على « ازاحة » موضوع « الفلسطينيين » ، بعد ان ضمن موقف السادات ، «فابرز مسودة كتاب للدعوة الى المؤتمر (جنيف) ..واشار الى الجملة الجوهرية في الكتاب وهي : ان الاطراف قد وافقت على ان مسألة المشتركين الاخرين من مناطق الشرق الاوسط ، سيجري البحث فيها ومناقشتها في المرحلة الاولى من المؤتمر » — اي استبعاد منظمة التحرير — . وابلغ كيسنجر الرئيس السوري « ان اسرائيل لا تريد اشارة الى الفلسطينيين في هذه النقطة . ونحن نعترف بانكم لن تحلوا هذه المشكلة دون اخذ المصالح الفلسطينية في الحساب . ولكننا نرى انه من الخطأ اثارة المسألة الفلسطينية في بداية المؤتمر » ص ١٨.

ويوحي الكاتب من خلال المقتطفات التي اوردها للحوار بين الوزير الامريكي والرئيس السوري — بان الاسد لم يتوقف طويلا عند هذه النقطة ، اذ انتقل مباشرة الى مناقشة موضوعات اخرى.

وانعقد مؤتمر جنيف في ٢١ كانـــون الاول ، دون ان تحضره سوريا ومنظمة التحرير . وفي المباحثات التالية مـــع دمشق (ايار ١٩٧٤) تركزت المساومات في (فك الارتباط) على جبهة الجولان.

«وبنهاية تشرين اول ، كـــان بروز منظمة التحرير الفلسطينـــية بصورة متزايدة في المجال الدولي ، مثارا للذعر عند كيسنجر» ولذلك فقد سافـــر في ٩ تشرين الى القاهرة ليطلـــب مناصرة السدات للاردن في مؤتمر القمة الموشك على الانعقاد . وكان الرئيس المصري عند حسن ظنه ، فناور — مـــــع السعودية — وراء الكواليس فـــي الرباط . وعندما عجز عـــن التأثير في القرار ، اصدر بيـــــان الاسكندرية (الشهير) الذي يتضمن نقضا لمضمونه.

وكان كيسنجر يخادع ويـــداور في مسألة « **الفلسطينيين** » **ويناور امـــام القادة العرب ، على اساس ان المشكلة مؤجلة ، وليست مستبعدة ، وسيأتـــي** دورها في الوقت المناسب « مع الامـــن والحدود والقدس » ص ٣١

وبعد فشل مباحثات اذار ١٩٧٥ ،وظهور خيارات اخرى ، غير طريـــق الخطوة خطوة ، داخل الادارة الامريكية ومنها اعادة الدعوة لعقد مؤتمر جنيف بهدف بحث « تسوية نهائية في الشرق الاوسط تشمل ضمانات لامن اسرائيل» .. يقول الكاتب « ومن الغريب ان حل المشكلة الفلسطينية ، وان كان واردا ضمنا في الخيار الاول (التسويـــــة الشاملة) ، فانه في غير ذلك ، ارجيء في المذكرات السرية الخاصة بالموقـــف المقترح اتخاذه ، وفي المناقشات العديدة التي قام بها كيسنجر » ص ٣٧

وكان كيسنجر « مثل نيكسون » والرئيس جونسون من قبله ، يعتبر الملك حسين بانه مضمون. فالاردن على الرغم من كل شيء ، كان تقريبا **محمـــــية امريكية** . ولكنه على خلاف اسرائـــيل لم يكن له دائرة انتخابية ، ولذلك كـــان عليه ان يكتفي باي فتات تهتم واشنطن بان تلقيه في طريقه » . وكان كيسنجر « يحبه (الملك حسين) ويجـــب ان يطريه على جلده وصبره في الازمة التي حدثت مع الفدائيين الفلسطينيين سنة ١٩٧٠ » وكان الملك بدوره ، ينتظر من صديقه « ان يدخل الاردن في نطـــاق دبلوماسيته الجديدة . وكان مشروع كيسنجر الاصلي الخاص بجنيف ، متى تم فك الارتباط عن اسرائيل ومصر ، هو فك الارتباط على الجبهة السوريـــة والجبهة الاردنية » .

وكان كيسنجر يرى ان التسلســـل المنطقي للامور ، يقتضي ان يجيء دور الاردن بعد سوريا . وبعد فك الارتباط على الجبهة السورية « **انذر الاردنيون كيسنجر بانهم اما ان يستعيدوا بسرعة الضفة الغربية ، واما ان منظمة التحرير الفلسطينية ستسبق الـــى تحقـــيق دعواها** » .. **ولكن اسماعيل فهمـــي كان هو ايضا في واشنطن ، وقـــدم المصريون حججهم ليثبتوا اسبقيتهم على الهاشميين** » ص ٣٠

ويستطرد الكاتب ، انه في كانـــون الثاني ١٩٧٤ قدم الملك حسين والرفاعي الى كيسنجر خريطة تقترح بان تنسحب اسرائيل من نهر الاردن الى داخل الضفة

الغربية ، مسافة ثمانية الى عشرة كيلومترات .. لكن اسرائيل رفضت الخريطة الاردنية » واقترحت تسوية نهائيـــة سياسية مع الاردن . وكان الاقتـــراح مذلا ، حتى انه لم يكن جادا . وفـــي الاقتراح تحتفظ اسرائيل بالقدس العربية وباجزاء مهمة من الضفة الغربيـــة ، وبحدود دفاعية على امتداد النهر . وتعيد ما بقي من توافه الاشياء الى الاردن ، مع ادخال الجيش الاسرائيلي فيها ، بحيث يتأتى عن ذلك منطقة عربية اشبه ما تكون بمنطقة ليزوتو في جنوب افريقيا)) ص ٣٠ .

ويشير شيهان الى ان « مؤتمـــر الرباط كان اول هزيمة كبرى مني بهـــا كيسنجر بعد حرب تشرين » ويرى ان السادات « قد استفاد بطريق غيـــر مباشر من قرارات الرباط ، اذ اسقطت الولايات المتحدة فكرة اتفاقية مـــع الاردن » واصبح كيسنجر « يفضل ان تكون سيناء موضوع المفاوضات التالية» ص ٣١ .

وسبق ان اوضحنا كيف ان مذكرات الاتفاق الاسرائيلية الامريكية المكمـــلة لاتفاق سيناء الثاني (ايلول ١٩٧٥) تسلم بحق « الفيتو » لاسرائيل ، فيما يتعلق بتمثيل « الفلسطينيـــين » في جنيف .

ويفضح شيهان نوايـــا كيسنجر والفكرة التي تحركها ، فيلخص وجهـــة نظره في التالي « لو فرضنا ان قطعـــة مبتورة من فلسطين يمكن توفيرها ، فان الفكرة لم تجد هوى لدى كيسنجـــر . فكتب التاريخ قد علمته ان مثل هـــذه الدويلة المصغرة تربى في النفـــوس عواطف الحماس لاسترداد المسلوب ، وتسبب انفجارات فيما بعد ، وتبعـــث على قيام منازعات خطيـــرة بيـــن الدول العظمى . **وقد ينال الفلسطينيون دولة لهم ، ولكن على ان تكـــون فقط جزءا من الاردن » ص ٣١**

وبعد توقيع الاتفاقيـــة المصرية ـ الاسرائيلية ـ الامريكية ، وما اعقبها من ردود فعل وخيبة الامل وشكوك في امكانية التوصل لخطـــوات جديدة ، توخى كيسنجر الابقاء على قوة الدفع ، في اتجاه التسوية الامريكية « باحياء ثقة الاسد به ، فاخذ يلين في موقفـــه من الفلسطينيين ، مثال ذلك تصريـــح نائب مساعد وزير الخارجية السابـــق ساندرز الذي اشار فيه الى ان البعد الفلسطيني هو لب الصراع العربـــي الاسرائيلي ، ومطاوعة كيسنجر على اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مناقشة مجلس الامن في كانون الثانـــي (يناير) » ص ٤٦

والتطورات اللاحقة تظهر انه كلما زاد الاقتراب من « لب المشكلـــة » تضاعفت المؤامرات ضـــد الشعـــب الفلسطيني وقيادته المتمثلة في منظمـــة التحرير الفلسطينية ، فيجري احيـــاء مشروع المملكة المتحدة ، ومشاريع بديلة لوحدات كونفدرالية اوسع نطاقا ويشتد شعار حملة التصفية الجسدية للمنظمات المقاتلة والقوى الثورية ، وشحذ سلاح « تعريب الصراع » وشق الصفـــوف ، الامر الذي نشهد ذروته حاليا في العالم العربي ، وبصفة خاصة ـــ ومدمرة ـــ

على ارض لبنان .

والواقع انه منذ توقيع الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي الاخير ، تمت المعارضة لسياسة « الخطوة خطوة »وتصاعدت موجة النقد لمنهج كيسنجر في امريكا واوروبا . كما ان بعض الذين تبنوا منهجه ، يعتقدون الان انه قد استنفد اغراضه وفقد فاعليته ،وينصحون بالتحول الى العمل على ايجاد « تسوية شاملة » . وهو « مايحبذه معظم الموظفين الرسميين الامريكيين الذين كانت لهم صلة بالشرق الاوسط » ص ٤٦

بل ان شيهان يعتبر فك الارتباط الاسرائيلي السوري انه كان « بمثابة الاوج لدبلوماسية كيسنجر في الشرق الاوسط ، بدأنا نلاحظ بعده تطاول الاشباح والخطوات المتعثرة المتخاذلة وخيبة الامل والمهاترة والشكوك وشلل في الاعمال » ص ٢٨ وان « اعمال السلام التي شرع فيها كيسنجر وامالة العريضة منذ عامين ، يظهر انها قد توقفت الان في شتاء من الشكوك والسخط » . ص ٤٤

ويبدو شيهان متشائما ، فيما يتعلق باحتمالات التوصل الى تسوية شاملة ويعزو ذلك الى ان كيسنجر ، « قد استبعد عن مشروع اقرار السلام، **العنصر الاساسي** في النزاع العربي ـ الاسرائيلي » اي قضية الشعب الفلسطيني . ويرى انه فوت الفرصة غداة الحرب . وان التصدي لها اليوم اصبح اكثر صعوبة من ذي قبل »ص ١٧.

لكن عمليات التحضير لجولة جديدة في مخطط التسوية الامريكية الاستسلامية ، تجري اليوم على قدم وساق » تشهد معالمها في تحركات القوى الرجعية ، وضراوة حملة التصفية القذرة ضد المقاومة الفلسطينية والقوى المناصرة لها ، المتحالفة معها .

وهكذا فان الاستبعاد السياسي« **للعنصر الاساسي** » يتحول الى محاولة لاستبعاده بالابادة الجماعية باستخدام ادوات عربية ، تحركها اصابع الامبريالية .

«١» على عكس الدراسات الموجهة في الوطن العربي ، التي تركز اساسا على حجب المعلومات وتزييف الواقع .

* اعتمدنا على النص المترجم ، من اعداد قسم الترجمة والتحرير والنشر في مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

«٢» والمفاجآت تعني دائما خطأ الحسابات واساءة التقدير.

«٣» مدير قسم المصالح المصرية في واشنطن واول سفير بها بعد عودة العلاقات الدبلوماسية

«٤» وجوهر هذا المشروع كان مقدما من موشى دايان .

«٥» لا شك ان جانب من هذه الصورة ، تصدبه التأثير على اسرائيل ، بتخويفها من عواقب الفشل ، وتراخي « قوة الدفع » ، الا ان جانب اخر ـ لا يستهان به ـ يعكس عجز السياسة الامريكية عن ادراك الواقع العربي والتصورات التي طرأت على الخريطة السياسية والاجتماعية في المنطقة.

اميركا تجيّر حرب تشرين لخدمة مصالحها الاستراتيجية

المقدم الهيثم الايوبي

تتمحور سياسة الولايات المتحدة الاميركية اليوم في جميع مناطق العالم الحساسة، ومن بينها منطقة الشرق الاوسط ،حول هدف اساسي هو « الحفاظ على الاستقرار وتثبيت الوضع الراهن » . ومن المؤكد ان السعي لتحقيق الاستقرار لا ينبع من رغبة اميركية في خلق المناخ اللازم لتطور الشعوب اقتصاديا واجتماعيا واخراجها من التخلف الموروث ، بل ينبع من ان المصالح الاميركية الحالية (استمرار الاستغلال وعدم الصدام مع السوفيات) لا يمكن ان تتحقق الا في مناطق متخلفة ولكنها مستقرة ، وخاضعة للبنى الاقتصادية — الاجتماعية — السياسية المفوتة التي خلقها الاستعمار القديم قبل رحيله عن بلدان العالم الثالث ، وربطها به مصلحيا ، ثم جيرها للامبريالية الاميركية الجديدة في المناطق التي ورثتها هذه الامبريالية او انتزعتها من الامبراطوريات الاستعمارية القديمة . وعلى هذا الاساس فان « هدف » تحقيق الاستقرار لا يشكل غاية بحد ذاته ، وما هو سوى العملية الاولى والضرورية لبناء « ارضية راسخة » تضمن الوصول الى الاغراض الحقيقية المتباينة (في النوع لا في الجوهر) بتباين ثروات المناطق المنوي تهدئتها ، واهمية موقعها الاستراتيجي ، وطبيعة قواها وتناقضاتها ومعضلاتها .

ونظرا لموقع الشرق الاوسط ،واهمية ثروته البترولية ، فان تهدئته (خلق الارضية الراسخة) تعني بالنسبة الى واشنطن نزع اي فتيل متفجر محلي قد يؤدي الى التصعيد نحو صدام نووي انتحاري مع السوفيات والحفاظ على الوضع الذي يسمح باستمرار استغلال النفط ، وتأمين خطوط النقل النفطي البرية الى شواطىء البحر الابيض المتوسط بالاضافة الى خطوط النقل البحرية عبر الخليج العربي — مضيق باب المندب — البحر الاحمر — قناة السويس — شرقي البحر الابيض المتوسط . هذا هو الاصل . وكل ما عدا ذلك فروع ، مراحل ، خطوات مرسومة لتأمين الاصل وخدمته .

ان الوصول الى الهدف لا يتم دون « وسيلة » . ومن الطبيعي ان تكون الوسيلة ممرحلة متشعبة متعددة المحاور والبدائل . واذا كان تحديد

الهدف والوسيلة اللازمة لبلوغه عملايدخل في نطاق الاستراتيجية الثابتة الى حد ما ، فان تمرحل الوسيلة ،والمناورة على محاورها المتشعبة ، واستخدام البدائل المتغيرة بتغير المواقف ، امور تدخل في نطاق التكتيك المرن القابل للتبديل . واذا كان الهدف الاستراتيجي الاميركي ، كما ذكرنا ، يتمثل في التهدئة وتأمين الاستقرار ، فقدكانت الوسيلة قبل الحرب العالمية الثانية تتمثل في الاعتماد على سلطة الدولتين الاستعماريتين القديمتين (بريطانيا وفرنسا) المسيطرتين عسكرياوسياسيا على منابع النفط وطرق نقله ، والمستعدتين لتأمين مصالحهما في المنطقة بالاصالة ومصالح الولايات المتحدة بالوكالة .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية وبدءانهيار الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، بدلت واشنطن «الوسيلة»ووجدت ان التهدئة يمكن ان تتم عن طريق « الدولة الصهيونية » التي خططت بريطانيا من قبل لانشائها ، خاصة اذا دعمت هذه الدولة منذ انشائها لتصبح قادرة على لعب دور « الشرطي المحلي » ، واتخذت التدابير الكفيلة بتكريس التخلف والتجزئة في الوطن العربي ، حتى يبقى « الشرطي »أقوى من المتمردين المحتملين . وكان هذا الامر ممكنا وبتكاليف محدودة خلال مرحلة ارتباط الدول العربية بالغرب سياسيا وتسليحيا (١٩٤٥—١٩٥٥) .

بيد أن وجود اسرائيل جاء ليضيف عاملا جديدا وديناميكيا الى العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية الكامنة وراء عدم استقرار المنطقة . ولقد أدى هذا الوجود المفتعل ، وتزايد الشعور القومي العربي ، وتنامي حركة التحرر العالمي المدعومة من قبل المعسكر الاشتراكي (الذي غدا بعد الحرب منافسا خطيرا للمعسكر الرأسمالي) ، وكسر احتكار السلاح في العام ١٩٥٥ ، الى ظهور وضع جديديهدد « سياسة التهدئة » ، ويهدد بالتالي المصالح الاميركية . هنا حافظت الولايات المتحدة على « الوسيلة » (الشرطي المحلي) ،ولكنها بدلت تكتيكها لتقويته ، فلم تعد تكتفي بتدعيمه عسكريا واقتصاديا ،بواسطة اطراف ثلاثة (بريطانيا ، المانيا الغربية ، فرنسا) بل أضافت الى ذلك العمل الجاد لاضعاف المعسكر العربي ، عن طريق التآمر على قوى التحرر الوطني العربي الراديكالية واستنزافها اقتصاديا وعسكريا .وعندما وجدت ان الاضافات التي حصلت عليها اسرائيل ، والنقص المستمر الذي أصاب قوى التحرر الوطني العربي قد بدلت ميزان القوى ، واوجدت المناخ الملائم لتسديد ضربة حاسمة تحقق لها عدة اغراض بآن واحد ، أعطت اسرائيل الضوء الاخضر . وكانت حرب حزيران ١٩٦٧ .

وحققت اسرائيل في هذه الحرب انتصارا عسكريا اظهرها كقوة منظمة ديناميكية قادرة على خوض الحرب الحديثة بكل تعقيداتها ، والتغلب على الدول العربية مجتمعة ، واعادة الاستقرار الى المنطقة بقوة الردع العسكري المتزامن مع العمل المتدرج ،والافادة من مظلة الردع لتهويد المناطق المحتلة وتدجينها وضمها على مراحل متعاقبة (الضم الزاحف) . ورغم انسجام توجه اسرائيل نحو فرض الاستقرار مع مصالح الولايات المتحدة

الراغبة في التهدئة، فقد وجد الاميركيون في الفترة التي اعقبت حرب ١٩٦٧ ان السياسة الاسرائيلية ستؤدي على العكس الى تفاقم عدم الاستقرار، نظرا لان الكرامة العربية المجروحة في الحرب العربية ــ الاسرائيلية الثالثة ستكون حافزا قويا لاعادة بناء القوات المسلحة العربية بمساعدة السوفيات ، وشن حرب ثأرية رابعة .

ولقد بنت واشنطن حكمها على عدة مؤشرات أهمها : استمرار الدعم العسكري السوفياتي لمصر وسورية والعراق ، وبدء حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس ، وتنامي العمل العسكري ــ السياسي الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها . وتكونت في العديد من الاوساط الاميركية قناعة بضرورة تبديل التكتيك، واقناع اسرائيل ، رغم تقويتها بسلاح اميركي ، بضرورة التخلي عن كل أو بعض الاراضي العربية المحتلة، وايجاد صيغة معقولة لاحتواء الزخم الثوري الفلسطيني عن طريق اعطاء الفلسطينيين بعض حقوقهم عبر النظام الاردني ، على اعتبار ان السير على هذا السبيل يشكل المدخل العملي لمنع الدول العربية من تقوية علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي ، مصدر السلاح اللازم لتحرير الارض بالقوة، والوسيلة المثلى لحرمان الثورة الفلسطينية من الامتداد والتجذر . وانطلاقا من هذه القناعة طرح وزير الخارجية الاميركية دين راسك خطته لحل الازمة (تشرين الثاني ١٩٦٨) ، وتبنى مجلس الامن القومي الاميركي خطة للتحرك نحو حل شامل من خلال تسويات جزئية (مطلع ١٩٦٩) ، وطرح ويليم روجرز مشروعه (كانون الاول ١٩٦٩) . بيد أن اسرائيل أصرت على ضرورة التمسك بالتكتيك القديم القائل بأن « اسرائيل القوية » هي الضمانة الوحيدة للاستقرار والتهدئة .

وبقيت الولايات المتحدة مترددة في العودة الى التكتيك القديم حتى نهاية العام ١٩٧٠ ، حيث ادى توقف حرب الاستنزاف ، وضرب قواعد الثورة الفلسطينية في الاردن ، ووفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، الى خلق وضع جديد اقنع الاميركيين بامكانية العودة الى تكتيك ما قبل حرب ١٩٦٧ . وزاد من قناعتهم ان الاسرائيليين استطاعوا تهدئة المناطق المحتلة الى حد ما ، وافادوا من الجسور المفتوحة مع الاردن لاظهار الاوضاع في المنطقة وكأنها سائرة نحو التعايش الذي يلعب فيه الزمن دور العامل المهدىء، ويخفف حالة العداء بالتدريج .

وبعودة واشنطن الى التكتيك القديم عادت اسرائيل الى الهجوم العسكري ــ السياسي ــ النفسي ، وطبقت استراتيجية الردع لتذكير العرب بمعادلة « التفوق الاسرائيلي والعجز العربي » بغية تدجينهم واستنزاف ارادتهم القتالية . وفي هذا الوقت كانت محاور العمل الاميركي تستهدف دعم اسرائيل بشكل مستمر ، وتفتيت المعسكر العربي ، وعزل مصر عن المعركة ، واستغلال الخلافات العربية حول القضية الفلسطينية ، وتنفيس التوتر النفسي العربي ، وتخفيف حدة العداء لاميركا ، واضعاف النفوذ السوفياتي ، بدلا من تصفيته النهائية، على اعتبار ان بقاء شيء من النفوذ السوفياتي غير الخطر يرفع عن كاهل الولايات المتحدة اعباء اقتصادية ينبغي عليها ان تحملها اذا ما خرج السوفيات نهائيا من المنطقة .

ومع قدوم العام ١٩٧٣ كانت التكتيكات الاميركية قد حققت عددا من اغراضها فلقد أصبحت اسرائيل قوية الى الحد الذي سمح لها بالعربدة والضرب في العمق العربي ، وبدا المعسكر العربي مفتتا ، وظهرت في مصر تيارات تستهدف تصفية الناصرية بمعناها الاقتصادي ـ الاجتماعي الداخلي وبمعناها الاستراتيجي وتحالفاتها مع المعسكر الشرقي ، وحوصرت الثورة الفلسطينية في لبنان بعد خروجها نهائيا من الاردن على أثر احداث جرش وعجلون (تموز ١٩٧١) وعبئت ضدها قوى النظام القديم الرسمية وغير الرسمية ، وانهت مصر ـ بدفع اميركي غير مباشر ودفع سعودي مباشر ـ مهمة الخبراء السوفيات (٢١ الفا) في تموز ١٩٧٢ بعد أن استطاعت تصفية مجموعة علي صبري في ايار ١٩٧١ ، واخذت معاداة السوفيات شكلا رسميا في مصر ، واستطاعت المشاريع السلمية تنفيس التوتر الحربي واعطت العرب أملا بامكانية التوصل الى حل لمسألة الاراضي المحتلة دون الاحتكام الى السلاح . وكانت كل الدلائل تشير الى ان الاستقرار مؤمن بفضل حالة « اللاحرب واللاسلم » التي قدر الكثيرون ان الدول العربية المتنازعة عاجزة عن تحطيمها .

ورغم رضا الولايات المتحدة النسبي عن التهدئة المحققة ، فقد كان في الادارة الاميركية عناصر (ومن بينها كيسنجر) ترى ان التهدئة الاسرائيلية بالعنف لم تقتلع كل أسباب النزاع ، وان هذه التهدئة لا تستند الى قواعد صلبة . وأن التكتيك الامثل للتهدئة هو خلق « منطقة متجانسة » تسود بين دولها علاقات غير عدائية ، بغض النظر عن انظمة هذه الدول وتراثها الفكري وايديولوجياتها . ولكن وجود هذه المنطقة المتجانسة كان يتطلب اتفاقية سلام يقف في وجهها رفض العرب للسلام من موقع الهزيمة خاصة اذا كان هذا السلام سيجبرها على التخلي عن جزء من الاراضي المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وتعنت اسرائيل واتساع شهيتها لضم المناطق المحتلة وقدرتها على الافادة من اللوبي الصهيوني المتصلب امام اي ضغط أميركي . لذا تجمد المسعى الاميركي لخلق « المنطقة المتجانسة » ، وبقي الشرق الاوسط في حالة استقرار ظاهري قلق يخفي تحته عوامل الانفجار .

وفي السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ انقلب التوازن القلق ، وزال الاستقرار الذي بدا ثابتا منذ نهاية حرب الاستنزاف ، وتحول العداء الكامن الى صدام مسلح واسع النطاق . وسواء كانت الولايات المتحدة قد شاركت في التخطيط لحرب مرسومة الابعاد والاهداف (كما يقول الرئيس حافظ الاسد) ، ام أنها فوجئت بها كما فوجيء الاسرائيليون (كما يقول الرئيس محمد انور السادات) ، فقد ظهر امام واشنطن وضع ساخن جديد . وتصرفت الولايات المتحدة كدولة عظمى ذات مصالح حيوية ، فلم تقف من النزاع موقفا سلبيا ، بل عملت ما في وسعها لاستغلاله وتجييره لمصلحتها مطبقة بذلك مبدأ « العمل وفق معطيات الواقع الموضوعي وما يمكن انجازه في ضوء هذا الواقع ، وفي ظل الظروف المهيمنة » .

ولقد رأى الدكتور هنري كيسنجر ، مهندس « المناطق المتجانسة » ان

بوسع الولايات المتحدة استغلال الوضع الساخن من اجل خلق المناخ الملائم لبناء « المنطقة المتجانسة الشرق أوسطية » في المستقبل ، شريطة أن تجري الامور بشكل يحقق ما يلي :

أولا : اعطاء العرب فرصة ليقولوا كلمتهم ، ويستعيدوا عزتهم القومية ، ويصبحوا بالتالي اكثر استعدادا وقدرة للبحث في مسائل السلام .

ثانيا : عدم السماح للضربة العربية بأن تأخذ بعدا اكبر مما ينبغي ، حتى لا تتعرض اسرائيل لهزيمة تعرض المناطق الواقعة وراء الخط الاخضر (حدود هدنة رودوس ١٩٤٩) للخطر ، وتفتح شهية العرب اكثر مما ينبغي ، وتحطم مصداقية اميركا كزعيمة (للعالم الغربي) وكدولة مستعدة للوفاء بالتزاماتها وتثير نقمة يهود اميركا المهيمنين انتخابيا وسياسيا ، وكيلا يزداد النفوذ السوفياتي على اثر انتصار جيوش عربية مسلحة ومدربة بمساعدة السوفيات .

ثالثا : مساعدة الدولة الصهيونية قبل ان تحشر في زاوية ، حتى لا يقف الاسرائيليون بعد انتهاء القتال (كما وقف العرب بعد حرب ١٩٦٧) موقف الرافض للسلام من موقع الهزيمة . (يذكر البعض ان عدم السماح بحشر الاسرائيليين في زاوية كان يرجع ايضا الى خوف كيسنجر من لجوئهم في حالة التعرض لخطر ماحق الى استخدام سلاح الدمار الشامل النووي أو البيولوجي او الكيماوي ، الامر الذي قد يؤدي الى رد فعل سوفياتي مماثل يكون شرارة اندلاع حرب نووية عالمية بالاستجرار . ولكن ليس هناك من الدلائل ما يؤكد هذه الفرضية حتى الان) .

رابعا : اعطاء الطرفين المتنازعين الفرصة لمتابعة القتال ودهورة الوضع الى « حافة الهاوية » بغية اقناعهما بعبثية اللجوء الى السلاح ، وضخامة الخسائر الناجمة عن الحرب وخطورة هذه الحرب المحلية على السلم العالمي ، الامر الذي يؤدي الى تقوية حجج المعتدلين الميالين الى ايجاد حل سلمي للنزاع طالما ان الحل العسكري عاجز عن تحقيق اغراضه .

خامسا : مساعدة اسرائيل على تسديد ضربة معاكسة تعيد التوازن العسكري والنفسي الى المنطقة ، وتجعل النتيجة النهائية (واحد الى واحد) ، الامر الذي يخلق في النهاية لدى الطرفين احساسا بالفخار البطولي وشعورا بامكانية التعرض للهزيمة (التي لم تقع) . وهذا مناخ نفسي جيد لبدء المفاوضات .

سادسا : التدخل الجدي في لحظة ذروة الازمة بغية ايقاف « قتال الديكة المنهوكة » ، والتصرف كحكم محايد يحتكر مفاتيح الحرب والسلام .

واذا عدنا الى مسلسل احداث حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، وجدنا أن الامور جرت بشكل متطابق الى حد مامع ما ذكرناه . فلقد اخفت الولايات المتحدة معلوماتها عن الهجوم العربي (سواء كانت هذه المعلومات ناجمة عن

مشاركتها في التخطيط أو عن مصادر استخباراتها التقنية وغير التقنية) ،ولم تؤكد لاسرائيل بأن الهجوم واقع حتما الا قبيل ساعات ، الامر الذي شارك في تعرض الاسرائيليين للمفاجأة (علما بأن الاسرائيليين كانوا في وضع نفسي يسمح بمفاجأتهم) . وأدت المفاجأة الى حرمان الجيش الاسرائيلي من القيام بالهجوم الاجهاضي المسبق ، كما أدت الى اجراء التعبئة على عجل والتعرض لخسائر جردت الاسرائيليين من تفوقهم الاولي .

وكان من الواضح ان الاميركيين يعتقدون بأن اسرائيل ستنجح في تسديد الضربة المعاكسة اللازمة لاعادة التوازن ، رغم المفاجأة وما رافقها من اضطراب وخسائر . وعندما رأت بأن هذه الضربة قد تعثرت في الجولان وتعذر القيام بها في سيناء ، أعادت تسليح الجيش الاسرائيلي حتى لا يشعر بأنه في مأزق ، وقدمت له المعلومات ليقوم بمغامرة الدفرسوار منذ يوم ١٥ تشرين الاول .

وفي اليوم التالي طرح الرئيس السادات مشروعه السلمي على أساس القرار رقم ٢٤٢ ، فلم تغتنم واشنطن الفرصة للقيام بضغط جدي لايقاف القتال ، بل آثرت منح الاحتياط الاستراتيجي الاسرائيلي المحتشد في سيناء فرصة تطوير عملية «الغزالة» .وفي ١٧ تشرين الاول اجتمع الرئيس الاميركي في واشنطن بأربعة من وزراء الخارجية العرب فلم يطرح ما يدل على انه متعجل لوقف القتال . وتشكل لدى الوزراء العرب الاربعة الانطباع نفسه عندما اجتمعوا الى كيسنجر .وهكذا أجل الاميركيون عمدا اي بحث جدي في وقف اطلاق النار ، وتركوا رحى الحرب تطحن الطرفين حتى تفتح ضخامة الخسائر عيونهم على عبثية القتال وضراوته وجدوى البحث عن حل سلمي . وفي ٢٠ــ١٠ طار كيسنجر الى موسكو للاتفاق مع السوفيات على وقف القتال وهو متأكد من ان قرار وقف القتال الذي سيتم التوصل اليه في مجلس الامن بعد يوم أو يومين سيلقى ترحيبا من جميع الاطراف المتصارعة التي تعرضت خلال القتال لخسائر كبيرة وغير مألوفة من قبل .

ورغم صدور قرار وقف القتال في ٢٢ــ١٠ ، تابعت القوات الاسرائيلية تقدمها حتى قطعت طريق القاهرة السويس في ٢٣ــ١٠ . وغضت الولايات المتحدة الطرف عن هذا الخرق الفاضح لقرار مجلس الامن الذي شاركت في التصويت عليه ، وكانت غايتها اعطاء الاسرائيليين فرصة اضافية لتكريس نجاحاتهم ، وترك الكرة تتدحرج الى « حافة الهاوية ». ولقد تدحرجت الكرة بالفعل عندما أرسل ليونيد بريجنيف سكرتير الحزب الشيوعي السوفياتي الى كيسنجر رسالة شديدة اللهجة في يوم ٢٣ــ١٠ وهدد فيها بانه اذا لم تتدخل الدولتان العظميان معا لوقف القتال فان الاتحاد السوفياتي قد يتصرف منفردا ويرسل قواته لتنفيذ قرار مجلس الامن .

واستغل كيسنجر الرسالة السوفياتية لاقناع الرئيس ريتشارد نيكسون بضرورة الرد على التهديد بتهديد اعنف . وصعد نيكسون الوضع الى مستوى استنفار الاسلحة الاستراتيجية (النووية) . وفي هذا الجو المتوتر الموحي باحتمالات وقوع صدام دولي نووي ، صدر القرار رقم

٣٤٠ ، والغى نيكسون الاستفتاء النووي ، وقدمت الولايات المتحدة نفسها كحكم محايد قادر على ايجاد الحل السلمي .

ان كل هذه الامور تدل على ان الولايات المتحدة استخدمت الحرب وسيلة للضغط على المتطرفين في الطرفين المتنازعين بغية تدجينهم ، واقناعهم بعدم جدوى الحرب ، ودفعهم نحو موقف المعتدلين . وحتى اعلان استنفار الاسلحة الاستراتيجية فتدكان عملا لا مبرر له من الناحية العسكرية ، وتصعيداً مفتعلا الى « عتبة » اعلى مما ينبغي ، ليس بقصد الضغط على السوفيات او استفزازهم وجرهم الى الصدام ، بل بقصد الهاء الشعب الاميركي عن قضية « ووترغيت » من جهة ، وايهام العرب والاسرائيليين بأن اقتتالهم سيؤدي الى اندلاع حرب نووية عالمية من جهة اخرى .

ونجم عن حرب تشرين وضع نفسي جديد وموازين قوى جديدة. واذا كانت أيام تشرين المجيدة قد هزت معظم المقولات الاسرائيلية القديمة حول التهدئة ، ونقضت جوهر المخطط الصهيوني ، فقد أدت الى اكتشاف الامة العربية لقدرتها على مجابهة الغزوة الصهيونية ودحرها ، وامتلاكها لقوى بشرية واقتصادية وعسكرية قادرة على قلب موازين القوى المحلية والتأثير الجدي على موازين القوى العالمية ، وكانت نقطة انتقال الامة العربية من مرحلة امتلاك القوة الى مرحلة الوعي بامتلاك هذه القوة والقدرة على استخدامها .

والى جانب هذه النتائج ، ادت الحرب ، والشكل الذي تم به ايقاف القتال ، والاعلام الذي احاط باستخدام سلاح النفط (رغم اخطاء هذا الاستخدام) الى نتائج اخرى تمثلت بمايلي : ١ ــ ظهور ارتباط اسرائيل بأميركا حياتيا وأمنيا ، ٢ ــ ارتفاع هيبة ومركز وثروة (وبالتالي قوة) الدول العربية التقليدية ، ٣ ــ تزايد قوة المعتدلين على جانبي الخندق ، ٤ــ تحسن سمعة الولايات المتحدة بسبب الثقة الممنوحة لها من بعض العرب دون اساس موضوعي ، واستنادا الى الاعتقاد الموهوم بوجود تبدل استراتيجي في الموقف الاميركي من النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، ٥ ــ عودة التناقضات العربية للظهور ، ٦ ــ اشتداد الحملات ضد الحليف الاستراتيجي السوفياتي ، ٧ ــ ترسخ الفكرة لدى بعض العرب بأن أميركا تملك كل مفاتيح الحرب والسلام ، ٨ ــ حصول الشركات النفطية الاميركية على ارباح هائلة من جراء رفع اسعار النفط ، ٩ ــ تضرر العديد من الدول المحايدة او الصديقة من ارتفاع اسعار النفط .. انطلاقا من هذه المعطيات الجديدة ، بدلت الولايات المتحدة تكتيكها مع الحفاظ على هدفها الاستراتيجي (التهدئة) ، وبدأت خطواتها الصغيرة لبناء « السلام الاميركي » على انقاض « السلام الاسرائيلي » الذي هدمه الجندي العربي والسلاح السوفياتي في السادس من تشرين الاول .

وكان جوهر التكتيك الجديد هو تنفيس الايجابيات العربية في حرب تشرين واستغلال الاوضاع الجديدة عنها من أجل تخفيف العداء بين دول

المنطقة كخطوة على سبيل الحل السلمي الذي يكون مدخلا لبناء « المنطقة المتجانسة » التي تعذربناؤها في الخمسينات عندما فشلت محاولات ضم الدول العربية واسرائيل الى الاحلاف الاقليمية . اما مرتكزات ومحاور هذا التكتيك فكانت : الظهوربمظهر الطرف المحايد الراغب في ايجاد حل عادل ودائم للنزاع المستحكم منذربع قرن ، وتفتيت الصف العربي وحرمانه من ايجابية التضامن التي اظهرتها الحرب ، وتدعيم « المعتدلين » لدى الطرفين والتعامل معهم مع محاصرة المتشددين لتليينهم او احتوائهم او ضربهم وتحجيمهم عند الضرورة ، وتقوية العسكرية الاسرائيلية بحيث تبقى عامل ضغط على العرب المتشددين ، واقناع العرب المعتدلين بأن موقفهم المعتدل و « الموضوعي » سيكسبهم عطف الرأي العام العالمي والاميركي وسيفتح المجال أمام مساعدتهم تكنولوجيا واقتصاديا بشكل يؤمن لهم حل معضلاتهم الاقتصادية المتراكمة ، والضغط باتجاه تقليص النفوذ السوفياتي في المنطقة (دون اقتلاعه)، على اساس ان هذا النفوذ قد جاء على اثر الدعم العسكري الذي « لم يعد له مبرر » طالما ان الحل سيأخذ مجراه سلميا ودون الاحتكام الى السلاح الذي حاولت الولايات المتحدة ، كما رأينا ، اظهاره كعمل عبثي خطير باهظ التكاليف ولا يمكن ان يحقق الحسم . ولقد استخدم هذا التكتيك بنجاح في مرحلة مباحثات فصل القوات ، ووصل الى ذروة النجاح في اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء (١٩٧٥) الذي شق معسكر العرب المحاربين ، واخرج مصر من المعركة بعد ان اقرت لاول مرة منذ بداية الصراع العربي الاسرائيلي بأن النزاع في المنطقة « لايتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية » (المادة الاولى) وتعهدت « بعدم استخدام القوة أو التهديد بها » (المادة الثانية) وعزل بالتالي جيوش دول المغرب العربي عن المشاركة في معركة التحرير بعد ان حرمها من منطقة حشدها الطبيعية وخلق بينها وبين الدولة الصهيونية حاجزا جغرافيا ، واعطى الولايات المتحدة موطيء قدم في سيناء وجعلها عراب السلم في الشرق الاوسط ، وسبب توترا في العلاقات السوفياتية ـ المصرية أدى الى توقف امداد مصر بالاسلحة وقطع الغيار السوفياتية والغاء المعاهدة المعقودة بين البلدين (١٩٧٦) ، وأعطى اسرائيل الحق بمرور بضائعها عبر قناة السويس بما يمثله هذا الحق من مكاسب اقتصادية ومغزى سياسي ونفسي ، وخلق بين اسرائيل والقوة العربية الاولى (مصر) حاجزا اميركيا ماديا ومعنويا اعاد المنطقة الى حالة تشبه حالة « اللاسلم واللاحرب » التي سبقت حرب تشرين .

وتبقى عودة الاميركيين الى المنطقة كوجه مقبول من المعتدلين في المعسكرين المتنازعين أهم ما حققته السياسة الاميركية بفضل حرب تشرين . ومن المؤكد ان تجيير الحرب لصالح واشنطن لم ينجم عن انجازات هذه الحرب المجيدة ، بل كان افرازا من افرازات السياسات العربية الخاطئة التي تلتها ، وانعكاسا لمفاهيم المعتدلين العرب حول طبيعة النزاع العربي ـ الاسرائيلي وحقيقة القوى المحلية والدولية المشتركة فيها والتحالفات والتناقضات التي لا بد من تقييمها عند تقدير الموقف ، وتجسيدا عمليا لعجز المعتدلين عن فهم حرب تشرين كضربة ايقاف للتوسع الصهيوني ، لا بد وان تتبعها مرحلة الهجوم المعاكس الاستراتيجي العربي . وعجزهم عن

وعي حقيقة الطاقات العربية الكامنة التي فجرتها الحرب على مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية والنفسية ، وما أدت اليه من تبديلات في موازين القوى المحلية والعالمية .

وليست العودة الاميركية الى المنطقة نهاية المطاف بالنسبة للسياسة الاميركية . ولكنها مجرد انجاز ، خطوة ، مرحلة على طريق السلم الاميركي ، وما ينجم عنه من انشاء « المنطقة المتجانسة » التي تخدم مصالح أميركا الاستراتيجية . تلك المصالح الثابتة بثبات الاستراتيجية ، والمتعارضة بالتأكيد مع مصالح الامة العربية على قدر تعارض مصالح الناهبين مع مصالح المنهوبين .

وانا الحب .. وقلبي ميسلون

سليم بركات

عندما ينتبهون°
سوف يخفون بداياتي ، وقد يختصمون°
حول من يقتلني
حول من ينسج أبعادي بخيطٍ
من خياناتٍ ، ويلقي زمني
في تجاويفِ السنين° .

عندما ينتبهون°
سوف أخفي الصاعقه°
تحت ثديَّ ، وأمضي بالرياح الحذِقَه°
نحو سوريا وأُرخي الزيزفون°
فوق أقواس يديْ المتَّسِقه°
وأشدُّ الارضَ من ميراثها
صارخاً : هذا نهاري
مأتمٌ مثلي وقلبي ميسلون° .

عندما ينتبهون°
عندما ينتبه الشرقُ الذي يغسلهم
بتواريخ البلاد الميّته°
سأنادي وردتي الملتفته°
وأحاذي قاسيون°
وأحاذي اللغةَ المتَهنَه°
فاتحا للمئذنَه°

مدخلَ الجرح وأعشاشَ الغصون°
لارى كيف يقود الميتون°
تحت احشائي بلادي ،
وأراهم يُبْعثون°

في دمشقَ ـ العتبَهْ ٠

عندما ينتبهونْ
عندما يقتبه البرقُ ، وتدنو المركباتُ الهاربهْ
من حصاري
وافتجاءاتِ دمي المرتقبَهْ
سأضم العاشقينْ
وأضم الموجَ مفتوناً بأسماء الصواري
وهي تجتاحُ اجتياحاً عابقاً بالغلبَهْ ٠

انني بعضُ دمشقٍ ،
ودمشقُ العتبَهْ
ستحاذيهم فلا ينتبهونْ ٠
سأحاذي قاسيونْ
وأنا بعضُ دمشقَ الهاربهْ
في غلالاتٍ من القصدير والماسِ ،
وقلبي ميسلونْ

ودمي صيدا ،
وصيدا طعنتي المرتقبَهْ ٠
وأنا ماسٌ وقصديرٌ ، ومزجٌ كوكبيٌّ ،
وأنا صيدا فهل يعترفونْ
ان صيدا رحمُ الماء وأعراسُ الحصونْ
حين لا يبقىٰ من المجد سوىٰ حشرجةٍ ،
وعويلٍ عائمٍ في الابجديّهْ؟

عندما ينتبهونْ
عندما ينتبهُ الرملُ وأجراسُ الغبار العربيّهْ
سأضيءُ الحَلَبَهْ
رافعاً للتائهينْ
خوذةَ الشامِ وأقمارَ العيون المتعبَهْ
وأنادي : قاسيونْ
أيُّ ميثاقٍ لهذه الشعلةِ المنطفئَهْ ؟
أي ميثاقٍ لقبرٍ قادمٍ من صوب سوريّا ؟٠٠
أنادي قاسيونْ

وأنادي الاوبئَهْ
وأنادي الفلْزَ والأفْقَ ، وأقتادُ الغصونْ
لأشتعالٍ ربَّما يجعلني
وطناً ، أو رايةً منكفئَهْ ٠

عندما ينتبهونْ
سَيَغيْرونَ لكي يقتَسِموني
سَيَغيْرونَ ، ولكنّي تهيّأْتُ وخبّأْتُ العيونْ
في عيوني
ثم خبأتُ السنينْ
تحت أعشاشِ الرِّئَهْ ٠

فليكنْ ٠٠ إنّي خرابٌ ،
وأنا النَّسْلُ وروحي العربَهْ
وأنا الحبُّ ، وقلبي ميسلونْ
وأنا صيدا ، وصيدا طعنتي المرتَقَبَهْ ٠

★ ★ ★

وَيندلع الزعتر

مي صايغ

لن أكتب مرثيه
حين انفرط العقدُ بجيدِ صبية
سقطتْ عينُ شهيدٍ سهواً
وانفجرَتْ في لُعَبِ الاطفالِ الشهداءِ شظية

لن أكتب مرثيّه
حين اندلعَ الزعترُ في فيروزِ وشاحِك
كان الشاهُ الامويُّ
يغلُّ يديهِ
يمرّغُ وجَهك بالرمضاءِ
كان ملوكُ الردةِ والخلفاء
يقتسمون دماءَك
في آبارِ النفطِ على طرفِ الصحراءْ
ويُحِلُّ دَمَ الاطفالِ جنودُ أُميَّه

★ ★ ★

لن أكتبَ مرثيّه
حين اندلعَ الزعترُ في فيروزِ وشاحِك
كان القصرُ الوثني ، يصادرُ وجهَ القدس ، ونهر الاردنِّ
يصادرُ ظلَّ الصخرةِ والاسراءْ
يسرقُ من عينيكِ الشوقَ ، ولونَ الحلمِ ،
ونكهةَ طينِ الارضِ ، وسيفَ عليٍّ والشهداءْ
يخلعُ من مقلتيكِ الضوءَ ، يعفّنُ جرحُكِ في أقبيةِ الموتِ ،
يُفجِّرُ كلَّ الوجعِ الطفلِ بصدرِ صغارِكِ ، يطلقُ نهرَ الموتِ على
بركانكِ ، يطلق وحشَ الجوعِ ، ووحشَ الحمّى ، وحشَ القصفِ ،
وينثرُ لحمكِ في الطرقاتِ ، يخثرُ صوتكِ فوقَ دروبِ دمشقَ

الشام وفي الشهباءْ يلوي عُنُقَ الحريّةْ .

★ ★ ★

لن أكتبَ مرثيةّ
حطَّ النورسُ في خلجانِكِ ، جاءَ النورسُ يحمـــلُ في جنحيهِ
الزّبَدَ الغائرَ من أمواجِ البحرِ يحيكُ قمـاطَ المولودين بحضنِ
الموتِ ، ويحملُ ثلجاً ينسجُ منه ضماداً للاطفالِ ، ويصنعُ من
أطواقِ حمامِ الايكِ الداكنِ خبزا
كانتْ كلُّ طيورِ الفرّي تولدُ في نيرانكْ ، كلُّ زهورِ الفلِّ تفتّحُ
في أحضانِكْ ، كان الوطنُ القـادمُ يولدُ مهراً أشهبَ ، يولدُ
سهماً ينفذُ في أحزانِكْ .
حطَّ النورسُ في خلجانكْ
أن يتحدثَ عن أحلامِكْ ، لن يتحدثَ عن أحلامكْ
كلُّ حروفِ لغاتِ الارضِ لاعجزُ من أن تحكي
والالوان الخصبة أقصر من أن ترسم من أن تروي
وحنينُ الصيادين الزاحفِ من عمقِ التاريخِ الى الشطآنِ
تعلّق في جنحيه شحيحاً يهربُ في الانغامِ المحكيه

لن أكتبَ مرثيه
حين اندلعَ الزعترُ في فيروزِ وشاحِكْ
سقطَ الموتُ قتيلاً فوق ظلالكْ
جاءت كلَّ حقولِ الحنطةِ تبسمُ بين عيونكْ
أنتِ على دائرةِ الشمسِ
وأعلى من راياتِ النصرِ
رمن أوسمة النصرِ
وفوقَ شفاهِكِ يقطرُ ماءً جبلُ الشيخ
وأنتِ بروقٌ ، أنتِ سنابلُ ،
أنتِ رياحٌ ، أنت مناجلُ
تحصدُ غزوَ الشرّ وغزوَ دمشقَ الرابعِ والستين
وأنتِ الارضُ الفولانيّةْ

لن أكتبَ مرثيه
ان دروعَ حديدِ الارضِ

لاضعفَ من أن تحمي قصرَ الحُمَّرِ من شهدائِكِ
أعجزَ من آن تحمي شاهَ أميّه
ذلك أنّ سماءَ النصرِ ، ومجـــــرى الكـوكبِ ، عيني شعبكِ
تحرسُ مجدَ صبـاحِكْ .
تبقى نارُ الزعترِ جرحاً يزهرُ في نبضاتِ الارضِ
وفي فيروزِ وشاحِكْ
ويظلُّ الزعترُ يولدُ .. يولدُ .. يولدُ في الاكواخ التنكبةْ .

* * *

أمـام الارض

الدكتور الياس شوفاني

في جوهره ، يدور الصراع على الساحةالفلسطينية ، بيـن الشعب العربـي الفلسطيني ، صاحب البلد الاصيل ، وبين المستوطنين الصهاينة علـى العلاقة برقعة الارض الفلسطينية اياها. فبينما ناضل الشعب الفلسطيني ، وما يزال، من اجل البقاء على الارض والحفاظ علىعلاقته بها، ليس كوسيلة انتاجفحسب، وانما كوطن قومي ايضا، سعى المستوطنون ، وما انفكوا ،الى استكمال عملية اجلاء هذا الشعب عن الارض ، وقطع علاقته بها . كل ذلك من اجل فرض علاقة جديدة على تلك الارض ، تصبح معها ، ان هي استسلمت لذلك ، وطنا قوميـا « للشعب اليهودي » ، غير المحدد الهوية ، وبالتالي قاعدة للامبريالية ضد حركة جماهير الامة العربية المتطلعة الى التحرر والوحدة ، اذ لا مجال لنجاح عملية الفرض هذه دون تأمين القاعدة العدوانية ، كونهما رديفين .

ومازال هذا الصراع محتدما منذ حوالي قرن من الزمن، وليس هناك ما يشير الى انه اوشك على ايجاد حل له ، وعلى الاقل ، ليس في اطـار الكلام الدائـر حاليا حول التسويات منذ حرب تشرين . واما الشعب الفلسطيني، فقد خطى بقيادة ثورته المسلحة، خطوة كبيرة نحو توفير امكانات الحل ، عندما قبل بمبدأ المشاركة في الانتماء الى الارض ، شرط التساوي في الحقوق والواجبات. ولكن الكيان الاستيطاني ، ممثلا بقيادته الصهيونية الحالية، ما زال يرفض هذا المبدأ ويمعن في العمل على تجسيد المشروع الصهيوني ـ تهويد الارض ، كـل الارض في فلسطين وربما فيما وراء حدودها المتعارف عليها حاليا . وهو ان قبل ببقـاء بعض العرب الفلسطينيين على الارض ، فانما ذلك لضرورات المرحلة ، والى ان تحين الظروف المؤاتية لطردهم منها . والشعارات التي رفعها المستوطـنون في مسيرة « ارض اسرائيل » ، بقيادة « غوش ايمونيم » (حركة ارض اسرائيـل الكاملة) ، تعبر اصدق تعبير عن الاهداف غير المعلنة للعدو . وكان هؤلاء قـد رفعوا الشعار : « اما ارض للعرب فنعم ، واما ارض عربية فلا » . وهـذا الاصرار الصهيوني على توسيع رقعة استيطانه ، وما يترتب عليه من مصادرة للاراضي وتهويدها ، كان عاملا رئيسيا في انتفاضة الضفة الغربية اخيرا ، وهو الذي فجر الصدام الدموي في « يوم الارض » بالجليل .

ويوم الارض في الجليل طفرة اخرى ، متميزة في نوعها وتصاعد درجة عنفها ، في سلسلة نضال شعبنا الرازح تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ .وهي حلقةجديدةتفتح

جبهة اخرى في معركة المصير بين شعبنا الفلسطيني والاستيطان الصهيوني . وبطفرتهم هذه ، لحق عرب الجليل باخوانهم في الضفة الغربية ، الذين سبقوهم الى الثورة على الاحتلال والى التصدي العنيف لعملية الاستيلاء على الاراضي العربية وتهويدها . وهم قد فاجأوا العدو الصهيوني والكثيرين من ابناء امتهم ، وربما انفسهم ايضا ، بهذا التحرك الجماهيري الواسع ، بعد ان ساد الاعتقاد بانه تم تدجينهم منذ حين . وبذلك التقى هذا النصف من الشعب الفلسطيني ، الواقع تحت الاحتلال ، سواء منذ ١٩٤٨ او منذ ١٩٦٧ ، مع شقه الثاني في الخارج على طريق الكفاح ضد الاستيطان الصهيوني ، فعمت المواجهة الشعب الفلسطيني باكمله . وبينما يصارع النصف الاول للحفاظ على علاقته بوطنه القومي ، يكافح الثاني لشق طريقه الى ذلك الوطن وتجديد الرابطة معه . وبتلاحم نضاله اثبت الشعب الفلسطيني ، الذي عمل العدو على تشتيته وتذويبه ، وحدته وتماسكه رغم جميع الظروف التي مر بها ، واصراره على التمسك بالعلاقة العضوية التي تشده الى وطنه ، مهما كانت التضحيات .

وبالمقابل فهناك اصرار صهيوني علىوضع اليد اليهودية على كامل ارض فلسطين ، وهذا ما يسمونه بالتهويد ، وهذا يعني اقتلاع الجذور العربية منها ، واضفاء طابع جديد عليها . وهذا الاصرار لا ينبع من الحاجات الانية للاستيطان الصهيوني ، ولا هو بالحقيقة تلبية لضرورات اقتصادية او حتى امنية ، وانما هو ركن من اركان المشروع الصهيوني . ولا يتم تجسيد ذلك المشروع الا بامتلاك القدرة السياسية الكاملة على تقرير العلاقة بين الارض ومن عليها من السكان . ولما كان المشروع الصهيوني ينطلق ، ولو نظريا ، من ان « الشعب اليهودي »، ولو بأكثريته،سيهاجر الى « وطنه الجديد ــ القديم » ، فقد اعتمدت الحركة الصهيونية منذ بدايتها مبدأ وضع اليد اليهودية على الارض باي ثمن ، لتجعل منها وقفا ذريا على ما اسمته بالشعباليهودي ، والذي لا يزال الى يومنا هذا غير محدد الهوية . وهكذا تميز الاستيطان الصهيوني بجشع لابتلاع الارض لا يعرف الشبع ، وانفرد بين اقرانه بكونه اجلائيا لا يعرف الهوادة في هذا الشأن .

والكلام عن هذا الركن في المشروع الصهيوني بمصطلح « سياسة اسرائيل التوسعية» لا يفي بالغرض . فالواقع ان الارض التي وقعت في يد المستوطنين عام ١٩٤٨ لم تضق بهم فعمدوا الى التوسع لحل ازمة سكانية واقتصادية . ومعلوم ان المناطق الريفية هناك لم يتم الاستيطان فيها بشكل مكثف . فالنقب مثلا ، رغم كل الجهود التي بذلت لاعماره واجتذاب المستوطنين اليه ، خاصة ايام بن غوريون ، لا يزال شبه خال من السكان الى الان . وبيوت « كريات اربع » ، في الخليل ، رغم كل ما يثار من ضجة حولها ، ورغم ازمة السكن الخانقة في القدس القريبة ، لا تزال بمعظمها غير مأهولة . وفي الجولان لا يربو عدد المستوطنين عن بضعة الاف،يغلبعليهم الطابع العسكري . وكذا الحال في مستوطنات الضفة الغربية ومشارف رفح الجديدة . وواضح ان السمة الديمغرافية البارزة في الاستيطان الصهيوني هي التمركز في المدن الكبرى ، خاصة في وسط البلاد والمشاكل التي يثيرها المهاجرون الجدد عندما يزج بهم في المناطق الريفية لم تعد خفية على احد . فلماذا اذن هذا التكالب المؤسسي على الاستيلاء على الارض وتهويدها .

في اوروبا القرن التاسع عشر ، قامت الصهيونية وبلورت خطوطها العريضة

على خلفية ظاهرتين بارزتين : القومية والاستعمار ، وكلتاهما من نتاج تطور الرأسمالية الاوروبية . وعلى اطراف هاتين الظاهرتين نمت الصهيونية ، وفي سياق الزحف الاوروبي في ذلك العصر راحت تبني حركة سياسية على اساس قومي ــ حضاري ، مما انتهى بها الى ان حل المسألة اليهودية لا يتم الا باقامة دولة قومية خاصة باليهود . واما السبيل الى ذلك فقد جاء متفقا مع النهج السائد في اوروبا آنذاك ــ الاستيطان في البلدان غير النامية . وكان طبيعيا ان يتأثر الفكر الصهيوني السياسي بالتراث اليهودي ، كونه في اساسه قوميا ــ حضاريا يؤكد اهمية الظواهر الحضارية في تكوين قومية الجماعة البشرية التي يسعى الى حشدها في الحركة السياسية المعبرة عنه . والواضح ان الصهيونية اخذت الكثير من التراث الديني اليهودي ، وحاولت ان تصبه في قالب علماني . واذا كان الفكر القومي ــ الحضاري هو القوة الدافعة وراء فكرة اقامة الدولة اليهودية ، وكان الاستيطان هو السبيل الوحيد المتاح لتجسيد هذه الفكرة ، فالاكيد ان الاثر الديني في تلك الحركة السياسية ، التي اظهرت العلمانية ، كان العامل الحاسم في تحديد المكان واصطفاء فلسطين بالذات لذلك الغرض .

ويزخر التراث الديني اليهودي بالاشارات الى « الارض المقدسة » . ونشأ في اليهودية على مر العصور ، وخاصة في ما اصطلح على تسميته « بالشتات اليهودي » ،وذلك بعد خراب الهيكل الثاني وتشتت اليهود ، نوع من « لاهوت الارض المقدسة » ، يربط بين الله وشعبه المختار وارضه المقدسة . فما دام الشعب مختارا ، فكذا هي رقعة الارض التي اصطفاها الله لتكون « ارض الميعاد » لشعبه . ومن هنا فالتراث اليهودي يميز هذه الارض عن غيرها من بقاع العالم ، وهو لا يتحدث عنها الا بافعل التفضيل وصيغ المبالغة . وقد احيا الفكر الصهيوني ثالوث اليهودية القديمة: وحدة الله بالشعب بالارض . فانعكس ذلك في ما خصت به الصهيونية اسرائيل من موقع مركزي في حياة اليهود حيثما كانوا ، وما اولته من اهمية لعملية « افتداء الارض » اثناء تجسيد المشروع الصهيوني وفي الممارسة العملية للكيان الذي انبثق عنه .

ويقول الاستاذ عبد الوهاب المسيري ، في **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية** ، ص ٦٦ ، ما يلي : « وارتباط الدين هذا الارتباط الكامل بالارض هو تعبير آخر عن هذا النمط البنيوي الذي نلاحظه في اليهودية وهو ارتباط المطلق (الدين) بالنسبي (المكان) الامر الذي يجعل التسامي والجدل مستحيلين . والتاريخ اليهودي حسب التصورات التقليدية والصهيونية ان هو الا تعبير عن الارتباط بالارض ، وهو ارتباط في الواقع يربط بين التاريخ الحي والجغرافيا الثابتة ، مما يؤدي الى الغاء وجود اليهود التاريخي خارج فلسطين (باعتبار انه وجود « خارج » الارض وبالتالي خارج التاريخ) كما انه يلغي تاريخ الارض نفسها (باعتبار انها « مكان » مطلق معقم من الزمان خاو على عروشه ينتظر ساكنيه الازليين المقدسين) » .

ولقد احاط الادب الحاخامي الارض بهالة من القدسية ، واغدق عليها صفات المبالغة بحيث جعل امكان اقامة الشعائر الدينية كاملة مستحيلا خارجها .ويقول المسيري :«وتعاليم التوراة لا يمكن ان تنفذ كاملة الا في الارض ولا يمكن ليهودي ان يتنبأ الا وهو فيها وحتى جوها يجعل الانسان حكيما . وقد اصبحت السكنى في الارض بمثابة الايمان لان من يعيش داخل ارض اسرائيل يمكن اعتباره مؤمنا اما

المقيم خارجها فهو انسان لا اله له » (كما جاء في احد اسفار التلمود وفي احد تصريحات بن غوريون) . بل ان فكرة الارض تتخطى فكرة الثواب والعقاب والاخلاقية فقد جاء في نفس السفر ان من يعش خارج ارض الميعاد كمن يعبد الاصنام ، وجاء ايضا ان من يسر اربع اذرع في فلسطين يطهر من الذنوب ، بل ان حديث من يسكنون في فلسطين في حد ذاته توراة » . (نفس المصدر ص ٦٥).

ويقر الاستاذ فيربلوفسكي ، عميد كلية الاداب في الجامعة العبرية ، (**من الفكر الصهيوني المعاصر** ، مركز الابحاث ١٩٦٨ ، ص ٢٣ — ٢٤) ، أن صلة الشعب اليهودي بفلسطين « ظلت ، حتى العصر الحديث تستقي من الدين ، قبل اي ينبوع آخر، صورتها وصياغتها». وتساءل الكاتب اذا كان ذلك لا يزال ممكنا بعد ، حيث يقول : « كذلك ينبغي ان نقر بان طبع التاريخ اليهودي ، حديثا ، بطابع العصر ، يشكل منعطفا حاسما ان لم يشكل ازمة في تواصل التاريخ المذكور » .

واشار فيربلوفسكي في كلامه الى العقدة التي يتعسر على المفكرين الصهيونيين خاصة العلمانيين منهم ، حلها عند الكلام عن العلاقة بين الشعب اليهودي والارض ، فقال : « يبقى لزاما علينا ، رغم ذلك ، ان نلاحظ ان بعض المفكرين اليهود المنتمين الى الطبقة العليا ظلوا ، في هذا العصر نفسه ، لا يستطيعون الا ان يلجأوا الى اللغة الدينية لكي يفسروا ويصوغوا على النحو الذي يرضيهم ، معنى هذه العلاقة الفريدة بين الشعب وبين ما كانوا ، هم ايضا ، يعتبرونه ، عبر تجربة الشعب ذاتها ، ارضا له ». هذا اللسان الديني كان يستعير لهجات عدة : فمن لهجة الحاخام المتصوف الكابالي كوك وهي تقليدية نسبيا ، الى لهجة مارتن بوبر الحديثة ، الى اللهجة التولستوية التي يعتمدها اهارون دافيد غوردون وهواقرب الى القديس العلماني منه الى اللهجة العقائدية التي نجدها عند حركة المزارع الاشتراكية (الكيبوتس) .

وبامكان الباحث في القضايا الصهيونية ان يفهم آراء وتنظيرات مفكري الصهيونية المتدينين ، حيث يجد انسجاما بين غيبية آرائهم السياسية ومعتقداتهم الدينية . الا ان المفارقة تبرز في فكر اولئك الذين يدعون العلمانية ويتجردون من الميول الدينية ، ومنهم من تزعم الحركة الصهيونية ، امثال هرتسل ووايزمن وبن غوريون .. الخ . وقد اكتشف بعضهم هذه المفارقة في كلامه عن القومية اليهودية ومقوماتها المادية ، ومن ثم ربطها « بارض الميعاد » وحشرها في خصوصية « الشعب المختار » ، استنادا الى الاسفار الدينية وما ورد فيها من اقوال . وكان بين هؤلاء المنظر الصهيوني بير بوروخوف ، الذي انطلق من فكر ماركسي ومنطق جدلي كي يفسر انفراد فلسطين ، من بين بقاع العالم ، بملاءمتها وصلاحياتها لاقامة دولة اليهود . وراح بوروخوف يتخبط في تنظيراته الى ان وصل الى الطريق المسدود . فعاد ادراجه يتسلل الى التيار العام في الفكر الصهيوني ، واللجوء لقبول الاساس الديني للربط بين الشعب والارض . وبالمقابل حاول الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر حجب المنطلقات الصهيونية الشوفينية بوشاح من الفلسفة الصوفية ، الا ان ذلك الوشاح بقي شفافا جدا .

وتبلغ الشوفينية الصهيونية ذروتها في كتابات رواد العمل الصهيوني التنفيذي، امثال كاتسنلسون وبن غوريون . وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد هنا بعضا من اقوال بن غوريون في مناقشاته مع رجال « عصبة السلام » (بريت شالوم)،

حول المسألة العربية في فلسطين . وكانت عصبة السلام قد طرحت شعار الدولة ثنائية القومية ، على أساس أن العرب الفلسطينيين يرون في ذلك البلد وطنا لهم ، كما يرى الصهيونيون ذلك . فرد عليهم بن غوريون قائلا : « واذا كنتم تريدون بصيغتكم هذه تقرير تعادل اهمية البلد بالنسبة الى العرب واليهود ، فانكم مرة اخرى تخطئون الجوهر وتشوهون الحقيقة . فارض اسرائيل بالنسبة الى الشعب اليهودي لا تستوي وارض اسرائيل بالنسبة الى الشعب العربي . » وبعد ان قدم اسبابه لعدم تساوي الحق العربي في فلسطين مع الحق اليهودي ، مشيرا الى اتساع العالم العربي .. الخ ، قال : « وبالنسبة الى الامة اليهودية باسرها — في جميع عصورها وشتاتها هذا هو البلد الواحد والوحيد الذي يرتبط به مصيرها ومستقبلها التاريخي كافة . وفقط في هذا البلد تستطيع ان تجدد حياتها وتقيم وجودها المستقل واقتصادها القومي وثقافتها الخاصة ، وهنا فقط تستطيع ان تبني استقلالها وحريتها كدولة ، وكل من يشوه هذه الحقيقة — فانما يضحي بحياة الامة » .

من هذه المنطلقات الفكرية راحت الصهيونية تعمل على تجسيد مشروعها في فلسطين . ولما كان هذا المشروع بطبيعة الحال لا يشكل قاعدة للحوار مع سكان البلاد الاصليين ، فقد عمدت المؤسسة الصهيونية الى تجاهلهم كلية ، والى الالتفاف حول مسألة وجودهم على الارض . وانعكست عملية الالتفاف هذه في اعلام نشط يهدف الى تغييب الشعب الفلسطيني ، بحيث يتلاءم كما ونوعا مع مراحل بناء الكيان الاستيطاني . وقد بدأ ذلك بالتغييب المادي اي بالنفي القاطع لوجود الشعب الفلسطيني على الارض . ومن هنا طرحت الصهيونية شعار « ارض بلا شعب لشعب بلا ارض » . الا انه مع تصاعد الصراع على ارض فلسطين ، لم يعد بامكان المستوطنين الاستمرار في نفي الوجود المادي للشعب الفلسطيني . فانتقل الاعلام الصهيوني في تبريره لعملية الاستيلاء على الارض وتهويدها الى تغييب السكان المحليين حضاريا وانسانيا . فصار الكلام يتمحور حول الارض الخربة ، التي تنتظر سواعد المستوطنين لاستصلاحها ، بعد أن كان يتركز على الارض الخالية ، التي تفتح ذراعيها لاستقبال المستوطنين القادمين لاعمارها واستعمارها . وفي هذه المرحلة زاد الكلام الصهيوني عن تخلف الشعب الفلسطيني ، وحاجته الماسة لمساعدة المستوطنين اليهود ، الذين سيعينونه على تطوير احوال معيشته .

ومن ناحية اخرى برز في الاعلام الصهيوني الكلام عن ازدهار الصحراء وتجفيف المستنقعات واصلاح حال البلد اقتصاديا ... الخ . وكأنما لسان حال المستوطنين يقول ان اهل البلد الاصليين لا يستحقون الارض التي يعيشون عليها ، وبالتالي فالمستوطنون اليهود لم يرتكبوا اثما كبيرا في الاستيلاء عليها . ولما لم تعد تلك الذرائع تنفع ، واحتدم الصراع مع الثورة الفلسطينية ، وطرحت الثورة برامج سياسية ناضجة ، لجأ الاعلام الصهيوني الى تغييب الحركة الفلسطينية سياسيا . وهكذا برز نفي الماضي السياسي ، وعم الطعن بشرعية النضال الفلسطيني من اجل تقرير المصير السياسي ، مما ترتب عليه التشهير باساليب الكفاح الفلسطيني المسلح . وهذا ما نشهده اليوم في الكلام الصهيوني عن منظمة التحرير والمنظمات الفدائية الفلسطينية .

اما من الناحية العملية ، فقد قام الاستيطان الصهيوني في فلسطين على ثلاثة اركان : تهويد الارض ، تهويد العمل ، وتهويد السوق . وفي الواقع فان تهويد الارض يعني استيلاء المستوطنين عليها ، واقتلاع جذور السكان المحليين منها .

ولهذا الغرض اقامت الحركة الصهيونية مؤسسة خاصة ، هي « الكيرن كاييمت » ــ الصندوق القومي اليهودي ، همها امتلاك الارض وطرد من عليها من السكان العرب . واما تهويد العمل ، او ما اسماه المستوطنون « العمل العبري » ، فكان في الواقع يعني استثناء العمال العرب من المنافع الاقتصادية الناتجة عن تطوير البلد . ومن اجل ذلك اقيم « الهستدروت » ــ اتحاد العمال اليهود ، واوكلت اليه مهمة مقاطعة العمال العرب في المشاريع الاقتصادية اليهودية . والسوق اليهودية اقيمت من اجل مقاطعة المنتوجات العربية . وبهذه الوسائل وعلى الرغم من التمويه في التسمية وغيرها ، اراد المستوطنون اخراج السكان المحليين من حياة البلد الاقتصادية وبالتالي اجبارهم على النزوح . الا انه على الرغم من جميع المحاولات الصهيونية ، وبغض النظر عن الانحرافات التي برزت في بعض الاوساط الفلسطينية ، خاصة في قضية الارض ، لم يستطع المستوطنون ، حتى عام ١٩٤٨ ، امتلاك اكثر من جزء بسيط من الارض الفلسطينية . لكن الكارثة التي حلت بشعب فلسطين في ذلك العام ، فتحت باب الاستيلاء على الارض امام الكيان الصهيوني على مصراعيه .

بعد حرب ١٩٤٨ ونتيجة لها وقع حوالي ٨٠ بالمائة من ارض فلسطين في ايدي الكيان الصهيوني الذي قام بعد الحرب . ولم تمض فترة وجيزة حتى صادرت السلطات الصهيونية جميع اراضي العرب الذين نزحوا من البلد ، واتخذت الاجراءات الشكلية لتهويدها . ولكن ذلك لم يكفها ، وراحت تناوش من بقي تحت الاحتلال من العرب الفلسطينيين لسلبهم القليل من الارض الذي بقي في ايديهم . ومنذ ذلك الحين ، وبينما الفلسطينيون المشردون يناضلون من اجل العودة ، كان اولئك الذين آثروا الاحتلال على التشرد يخوضون نضالا مستمرا ، اتخذ خلال السنين اشكالا مختلفة للحؤول دون اقتلاعهم من الارض واستلابهم منها . ولم يترك هؤلاء وسيلة للمقاومة الا ولجأوا اليها ــ شرعية كانت او شبه شرعية او حتى غير شرعية . وتعرضوا نتيجة لذلك لاشكال مختلفة من القمع والتنكيل . ففرضت عليهم الاحكام العسكرية ، وسنت من اجلهم القوانين الملفقة ، ناهيك عن المناورات والاساليب الملتوية ، كلها للاستيلاء على الارض . والواقع ان الهدف الرئيسي لفرض الحكم العسكري على العرب تحت الاحتلال ، كان انتزاع الارض من ايديهم فالحكم العسكري كان ذراع السلطة الصهيونية في تنفيذ هذه العملية . ولم ترفع الاحكام العسكرية عن كاهل العرب في الكيان الصهيوني حتى ادت الغرض منها وقامت بمهمتها في مجال تهويد الارض ، بان مهدت الطريق لانتزاع القسم الاكبر من الاراضي التي كان يملكها العرب هناك . ومهما يكن من امر ، فاولئك العرب الذين تفرد بهم العدو الصهيوني ، فسامهم انواع القمع والتنكيل وهم في عزلة شبه كاملة ، غلبوا على امرهم في مواجهة عدوهم ــ حاكمهم الا انهم لم يستسلموا قط .

وكما ان العرب الفلسطينيين تحت الاحتلال لم يتركوا وسيلة للنضال من اجل الحفاظ على علاقتهم بالارض الا ولجأوا اليها ، هكذا بالمقابل لم يوفر العدو شكلا من اشكال القمع الا واستخدمه في سبيل تطويع هؤلاء العرب واخضاعهم للمخطط الصهيوني في الاستيلاء على الارض . فالمحاولات العربية بعد الاحتلال للاستمرار في التعامل مع الارض على النهج السابق قوبلت بالاحكام العسكرية وتقسيم الارض الى مناطق محظورة ، لا يجوز الدخول اليها الا بتصاريح لا تسمح بفلاحتها او استثمارها . وكل محاولة لتحدي هذه الاحكام قوبلت بالقمع اما

الوسائل القانونية والتقاضي امام المحاكم ، فقد جاء الرد عليها باستصدار القوانين التي تجيز للسلطة الاستيلاء على الارض تحت هذا الغطاء او ذاك . وواكب هذه السياسة عدد من الدوافع ، كان بعضها مخططا بالطبع ، كارتفاع اجور عمال البناء وانخفاض اسعار المنتوجات الزراعية العربية .. الخ ، مما ساعد السلطة الصهيونية على كسب معركتها مع السكان العرب ، وانتزاع القسم الاكبر من اراضيهم بوسيلة او باخرى .

ومنذ الاحتلال ، عام ١٩٤٨ ، ارتبطت اشكال نضال العرب الفلسطينيين في الارض المحتلة ضد سياسة الكيان الصهيوني بالاستيلاء على اراضيهم بالصورة التي برز فيها ذلك الكيان في موازين القوى في المنطقة . وهي قد اختلفت نوعا وحدة طبقا لتقييم هؤلاء العرب لقوة العدو ازاء القوى في المنطقة ، وبالتالي ازاءهم . ففي سني قيام ذلك الكيان الاولى ، عمت المفاجأة جميع من بقي تحت الاحتلال . وكانت النظرة السائدة اليه انه ظاهرة طارئة لا تلبث ان تزول . وعليه فلم يأخذوا الخطوات التي اتخذها ازاء مصادرة الارض بجدية كاملة . ثم ما لبثوا ان بدأوا يشعرون بان المسألة ليست بالسرعة التي توقعوها ، فراحوا يجسون نبض الكيان وردود فعله . فكانت بعض محاولات التحدي التي جوبهت بالاحكام العسكرية . ثم بدأت مرحلة التراجع امام الكيان ، والتي بلغت ذروتها في اواسط الستينات ، خاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . وفي حينه برز الكيان الصهيوني كقوة كبيرة ، يستحيل على الاقلية العربية المعزولة داخل ذلك الكيان تحديها . فتوجه النضال من اجل الارض نحو المحاكم والتقاضي مع المغتصب في مؤسساته. اما هو فقد عمد الى استصدار عدد من القوانين تؤمن غطاء قانونيا لعملية سلب الاراضي . ومع ذلك فلم يخل نضال هؤلاء من التحدي والتظاهر والخروج على الاوامر كما حصل ايام اثيرت قضية قريتي كفر برعم واقرت الى ان جاءت حرب تشرين وغيرت الاوضاع القائمة .

ومهما تكن النتائج الموضوعية لحرب تشرين على موازين القوى في المنطقة ، فالاكيد انها هزت صورة الكيان الصهيوني في نظر جماهير الامة العربية ، بمن فيها العرب الفلسطينيون تحت الاحتلال ، سواء منذ عام ١٩٤٨ او ١٩٦٧ . فقد نفست حرب تشرين الانتفاخ الكبير في حجم ذلك الكيان ، خاصة في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ . والواضح ، من المكاسب التي انجزتها منظمة التحرير الفلسطينية منذ حرب تشرين ، ان كل تحجيم اصاب الكيان الصهيوني نتيجة لتلك الحرب قد صب في كفة الثورة الفلسطينية ، فانتزعت بعدما تعرقل مسار التسوية السياسية ، قرارات الرباط وبالتالي قرارات الامم المتحدة ، التي اعترفت بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني . وفي حين فجرت انجازات الثورة الفلسطينية انتفاضة الضفة الغربية ، فقد جعلت المؤامرة عليها في لبنان امرا محتوما ، اذ لم يكن معقولا ان يترك اعداء الثورة الفلسطينية الامور تسير في صالحها بهذا الشكل. واما انتفاضة الضفة الغربية من جهة ، وصمود الثورة الفلسطينية في لبنان من جهة اخرى ، فقد فجرا انتفاضة عرب الجليل في (يوم الارض).

ان نظرة سريعة على خارطة الاستيطان الصهيوني في الجليل ، بين ١٩٢٢ و١٩٤٨ ، تدلل على ضحالته ، وبالتالي على فشله في استملاك مساحة واسعة من الاراضي فيه . بعد قيامه ، احاط الكيان الصهيوني الجليل بحزام من

المستوطنات ، يمتد في الشمال على طول الحدود مع لبنان ، وفي الشرق على سفوح الجليل المنحدرة نحو غور الاردن، وفي الجنوب في مرجبن عامر ، وعلى طول السهل الساحلي من حيفا الى رأس الناقورة في الغرب. اما قلب الجليل فقد بقي عربيا ، خاصة في جزئيه الاسفل والغربي . وتقول مصادر العدو بان اللواء الشمالي من كيانه، من خط حيفا ــ الناصرة شمالا ، سيصبح عربيا باكثرية سكانه في بداية الثمانينات ، نظرا لتزايد السكان العرب فيه بشكل منقطع النظير . وهذا الوضع ما زال يقلق المؤسسة الصهيونية الحاكمة منذ قيام دولتها خاصة وان الجليل كان قسما من الدولة العربية في مشروع التقسيم لعام ١٩٤٧ ولم ينفك قادة العدو يتحدثون عن ضرورة تهويد الجليل ، من ايام بن غوريون ، مرورا باشكول ، والى يومنا هذا . وفي فترة حكم اشكول طرح مشروع مفصل لهذا الغرض ، قدم تحت غطاء « تطوير الجليل » . الا انه لم يتم تنفيذه ، لاسباب عدة اهمها عدم توفر المستوطنين . هذا بالاضافة الى ان الضرورات الامنية لم تكن ملحة، نظرا لهدوء الجبهة مع لبنان. ومع ذلك فقد صودرت آلاف الدونمات من اراضي القرى العربية الزراعية ، واقيمت عليها مستوطنات جديدة ، او اضيفت الى اقطاعات المستوطنات القائمة . وكان ابرز ما تمخض عنه هذا المشروع بناء مستوطنة كرميئيل ، في قلب الجليل الاسفل ، على منتصف الطريق تقريبا بين عكا وصفد . وقد اثار ذلك في حينه ضجة كبيرة حول الاراضي التي تم الاستيلاء عليها لاقامة تلك المستوطنة ، التي ما زالت على حافة الانهيار منذ انشائها . ومع ذلك فقد عاد العدو مؤخرا يتحدث عن اقامة مستوطنات في مناطق مماثلة . وهذا يعني مصادرة المزيد من الاراضي العربية. ولدى الاعلان عن تنفيذ هذا المخطط ثار عرب الجليل على السلطة ، فكان «يوم الارض » .

في تقديرنا ان النجاحات التي احرزتها منظمة التحرير الفلسطينية في السنوات الثلاث الاخيرة ، سواء على الصعيد الخارجي او الداخلي ، من اتساع الاعتراف بها دوليا وتنامي قواها الذاتية ، كانت الدافع الرئيسي الى فتح ملف تهويد الجليل مرة اخرى . ومن المؤكد ان ما يدور من كلام عن تسوية شاملة في المنطقة ، وما يثار احيانا من العودة الى مشروع التقسيم كاساس لتسوية القضية الفلسطينية وارتباك قيادة العدو بعد حرب تشرين، كان حافزا قويا لديه للعودة الى اسلوبه المجرب ــ الاستيطان ، استباقا لما عساه ان يطرح من مشاريع حلول تتضمن الجليل ايضا . وقد زاد هذا الامر الحاحا على قيادة العدو ، المحاصرة داخليا وخارجيا ، ازاء صمود الثورة الفلسطينية في وجه المؤامرة في لبنان، حيث يلعب العدو الصهيوني دورا رئيسيا في كل ما يجري هنا. هذا بالاضافة الى حسابات العدو من امكان انقلاب لبنان الى دولة مواجهة، تفتح جبهة جديدة معها في منطقة يكون الاستيطان الصهيوني فيها شريطا عازلا ضيقا جدا بين جنوب لبنان ، الذي سينقلب في تلك الحال الى قاعدة الانطلاق الرئيسية للثورة الفلسطينية ، وبين الجليل ، الذي تسكنه اكثرية عربية، طال حنينها للحاق بركب ثورة شعبها . وهكذا فعل العدو عندما طرحت مسألة التسوية في الضفة الغربية مع الاردن . وهناك لم يكتف المستوطنون الصهاينة بما تفعله وتخطط له قيادتهم وانما راحوا يحتلون نقاط استيطان لها ذكر في التراث اليهودي ، بقصد احراج حكومتهم ودفعها الى المزيد من التصلب في مفاوضات التسوية . وكذلك فعلت حكومة العدو عندما بدأ الكلام عن تسوية مع سوريا في الجولان، حيث سارعت الى الاعلان عن مشروع واسع للاستيطان هناك.

ولكن العدو الصهيوني في عام ١٩٧٦ هو غير ما كان عليه عام ١٩٦٧، وكذلك الحال بالنسبة لسكان الجليل من العرب الفلسطينيين . فبينما انكسرت شوكة الاول في حرب تشرين ، تنامى الشعور القومي والانتماء الى النضال الفلسطيني لدى الثاني . وهكذا عندما تحرك العدو لمصادرة الاراضي الجديدة ، تحرك عرب الجليل، بتضامن لم يسبق له مثيل ، ومعهم اخوة لهم في الضفة والقطاع وخارج الارض المحتلة ، للتصدي لمخطط السلب الجديد . وكان العدو يدرك جيدا مدى الخطورة التي ينطوي عليها مثل هذا التحرك من قبل من كان يعتقد انه تم تدجينهم . والاخطر من ذلك علمه بمدى التحام هذا التحرك بما يجري في الضفة ، وبالتالي علاقة ذلك كله بما يدور على الساحة الفلسطينية ككل . وكان انتخاب الشاعر الوطني ، توفيق زياد ، مرشح حزب راكاح ، رئيسا لبلدية الناصرة العربية مؤشرا واضحا الى التحول الذي حصل لدى عرب الجليل في السنوات الاخيرة . ومن هنا كان تصميم العدو على قمع هذا التحرك المضاد لمخططه ، من خلال مظاهرة عرض عضلات تستعيد له هيبته المفقودة ، اضافة الى تنفيذ مخطط السلب الكبير . وقد وصل فقدان التوازن لدى العدو ذروته عندما هدد قائد قواته على الجبهة الشمالية باجتياح قرية سخنين الثائرة، ان هي لم تنصع لاوامره . ولكن ذلك لم يجد سلطات العدو فتيلا، فما ان اقتربت قوات قمعه من القرية العربية المضربة في يوم الارض ، حتى انفجر الصدام الدموي معبرا عن التناقض القائم بين الطرفين حول العلاقة بالارض.

ولم يقتصر الصدام على مالكي الارض المفرزة للمصادرة ، او على الطبقة التي ينتمون اليها . فهؤلاء ممثلون بالوجهاء ورؤساء البلديات والمخاتير ، عقدوا اجتماعا في بلدة شفا عمرو قبل الاضراب في « يوم الارض » ، وتداولوا في الامر وقرروا عدم اللجوء الى الاساليب الجماهيرية وفضلوا اسلوب الوساطة التقليدية مع السلطة . وبالفعل فقد الفوا وفدا لمقابلة رئيس حكومة العدو في محاولة لاقناعه بالعدول عن قرار حكومته . الا ان الوفد عاد صفر اليدين ، اذ رفض رئيس حكومة العدو قبول طلبهم . ومع ذلك فقد ابدى هؤلاء استياءهم ومرارتهم من مصادرة الاراضي ، وعمدوا الى اتخاذ خطوة اكثر جراة قد تضعهم على سكة الصدام الاشد مع سلطات الاحتلال . فقد الف هؤلاء وفدا يسافر الى الخارج للقيام بحملة اعلامية عن تصرفات العدو تجاه عرب الجليل . وهذه الطبقة من ابناء الارض المحتلة ، التي بطبيعة تركيبها ومصالحها ، كانت اول من هادن سلطات الاحتلال ، قد عادت اليوم ، تحت ضغط واقع الاحتلال، لتغير توجهاتها وتقترب من جماهير شعبها وتشارك ، ولو بحدود ، في نضالها . وهكذا بدأت المناوشة بين هذه الطبقة وسلطات الاحتلال . واكيدا انها تتصاعد، ولا بد لها من ان تفرز الغث من السمين في هذه الطبقة من الوجهاء . والاكيد ايضا ان ما قاله رئيس بلدية سخنين « نحن مع الارض » يمثل موقف الاكثرية من هؤلاء الوجهاء ومالكي الارض . واكبر دليل على ذلك ان تعلقهم بالارض جعلهم يتحملون كابوس الاحتلال ويفضلونه على التشرد من الارض والانفصال عنها .

وكذلك لم يقتصر الصدام في يوم الارض على نشيطي الاحزاب . وعلى صعيد التكتلات السياسية القائمة بين عرب الجليل ، برز حزب راكاح بنشاط في تنظيم ذلك اليوم والدعوة الى الاضراب فيه . وكذلك فقد تصدى حزب راكاح لاعمال السلطة القمعية في ذلك اليوم . ونشط راكاح في تنظيم لجنة الدفاع عن الارض وفي التحريض على المشاركة الجماهيرية في الاحتجاج على سلب الاراضي العربية . ولكنه تنصل من اعمال العنف التي نتجت عن الصدام بين الجماهير

وقوات السلطة . وكذلك فحزب راكاح لم يسهم في اعطاء ذلك الصدام طابعه القومي ، رغم ظروفه الخاصة التي قد تعتبر مبررا لذلك . وعمد الحزب غداة الاضراب الى طرح المسألة في الكنيست الصهيوني ومناقشتها وكانها مسألة سياسية داخلية . وتقدم الحزب بمشروع قرار نزع الثقة من الحكومة القائمة في الكيان الصهيوني . كانما تغيير الحكومة يغير شيئا من سياسة الاستيطان . وعلى اي حال فلم ينجح الحزب في تجنيد التأييد اللازم لاسقاط الحكومة . ومع ذلك فالصراع على الارض ، وتبني راكاح قضية عرب الجليل سيدفعان الحزب الى تصعيد مناهضته للسلطة وبالتالي زيادة التحامه بنضال الجماهير الفلسطينية ، مما يقربه من الثورة الفلسطينية في الصراع مع الكيان الاستيطاني .

الا ان الطليعة الصدامية من عرب الجليل في يوم الارض مع قوات القمع العدو لم تكن من مالكي الارض ونشيطي الاحزاب . وربما لا نبالغ اذا قلنا بأن الاكثرية ممن شاركوا في الاضراب وبالتالي في الصدام الدموي لا تملك ارضا ابدا ، كما انها لا تنتمي الى الاحزاب المشاركة في المؤسسة الصهيونية . ووصف شهود عيان احداث يوم الارض واكدوا ان الفئة التي صعدت العنف ضد ادوات السلطة كانت من الشباب ، الذين في اكثريتهم لا يملكون ارضا ، كما هو العرف في القرى العربية حيثيحتفظ الابمبلكية الارضالى يوم وفاته. فقد اورد مراسل « صانداي تايمز اللندنية ، ٤ـ٤ـ١٩٧٦ » ما يلى : « شرح شاب عمره ١٧ سنة ، قميصه ممزق وهو يحمل خنجرا في يده ، الاسباب التي من اجلها خاض المعركة مع قوات الجيش والشرطة في كفر كنا ـ الجليل بقوله: يحاول الاسرائيليون ان يأخذوا ارضنا » . وفي هذه الجملة اصدق تعبير عن شعور هؤلاء الشباب . وهو قد استعمل صيغة الجماعة دون تحديد ، ولم يتكلم عن مسألة فردية . فبالنسبة اليه هناك « هم » « الاسرائيليون » بغض النظر عن اتجاهاتهم السياسية ، وهناك « نحن » « وارضنا » بغض النظر ايضا عن التفاصيل . وهذا يدل على ان الحافز للتصدي قومي في اساسه، وينبع من مفهوم العلاقة بالارض كوطن اصلا . والجدير بالذكر ان مثل هؤلاء الشباب ولدوا في الارض المحتلة وتعلموا في المدارس التي يشرف على برامجها العدو ، ومع ذلك ، وربما لاجل ذلك ، فهم يتحدثون بلغة « نحن » في مقابل « هم » دون تمييز .

ومضى مراسل«التايمز» يقول : « ومنذ اسبوعين ، وفي ظلام الليل عندما دفن الطفل الذي قتل برصاص الجنود قرب قرية في الضفة الغربية ، صرختامه بان اولادها الثلاثة الباقين سيصبحون كلهم فدائيين . وفي الجليل هتفت عائلات القتلى « لا توجد اسرائيل هنا .. هنا فلسطين فقط ، كلنا الان « فتح » . هذا هوإذن جوهرالصدام، فالفلسطينيون في الارض المحتلة يتطلعون الى اخوتهم في الثورة الفلسطينية وللمشاركة في نضالهم من اجل الا تبقى هناك « اسرائيل» بل فلسطين ، حيث تقوم العلاقة الطبيعية بينهم وبينها . ولقد نجحوا بانتفاضتهم هذه في تثبيت موقعهم في النضال الفلسطيني العام من اجل التحرير. وهم بانتفاضتهم في يوم الارض قد شطبوا العديد من المقولات التي راجت في مشاريع التسوية بعد حرب تشرين . وقد جاءت تلك الانتفاضة مواكبة للمؤامرة الكبرى على الثورة الفلسطينية وجماهيرها في لبنان ، وما تكشف خلالها من انحرافات عن الخط القومي السليم في الساحة العربية . ولعلها تسهم في تعديل الخطوط ووضع الامور في نصابها .

عودة العرب اليهود: المسألة والحل

الدكتور اسعد عبد الرحمن

قدمت حركة المقاومة الفلسطينية ،في منتصف العام ١٩٧٥ ، مذكرة الى الملوك والرؤساء العرب اقترحت عليهم فيها ، تبني خطة متكاملة لتنظيم الهجرة اليهودية المعاكسة من اسرائيل . وقدانطلقت الخطة من فرضية مؤداها ان اليهود الذين اقاموا في البلاد العربية تعرضوا لمؤامرة صهيونية تضمنت الترغيب والتهديد لحثهم على الهجرة الى فلسطين . وقد تواكب ذلك مع « قصر نظر لدى الانظمة العربية مما حمل هؤلاء اليهود على الهجرة الى اسرائيل .. (حيث) وقعوا بين نارين: فقد خضعوا أولا الى تمييز عنصري داخل اسرائيل ، وفقدوا ، ثانيا ، الامل بالعثور على ملجأ اخر لهم» (١) ولذلك، جاء اقتراح المقاومة الفلسطينية داعيا الدول العربية الى اعادة « الثقة الى نفوس اليهود العرب في اسرائيل ،وتنظيم حملة لاعادة تهجيرهم من اسرائيل واعادتهم الى الدول العربية التي نزحوا منها » (٢) .

ومنذئذ ، اصبحت المسألة مطروحة عمليا وواقعيا اذ بادرت بعض الحكومات العربية (وبالذات المغرب والسودان) الى تبني اقتراح حركة المقاومة ودعوة اليهود العرب الى العودة ، في حين عكفت حكومات اخرى على دراسة الموضوع جديا تمهيدا لاتخاذ الاجراءات اللازمة (٣) . كما أن واحدا من قادة المقاومة على الاقل قام بجهود مكثفة تمثلت في وضع دراسة لبدء الحوار حول شعار اعادة العرب اليهود الى مواطنهم الاصلية (٤) . كما تلا ذلك عقد ندوات خاصة وعامة (٥)،وتشكيل لجان متابعة (٦) هدفها اغناء الحوار واتخاذ خطوات عملية لترجمة الشعار ، ولو جزئيا ، وربط عربة « اعادة اليهود العرب » بقطار النضال الفلسطيني والعربي المتجه نحو ازالة الكيان السياسي الصهيوني من الاراضي العربية المحتلة . واخيرا ، قامت صحيفة واحدة على الاقل ، بفتح المجال أمام حوار علني على صفحاتها ، شارك فيه عدد من المفكرين والكتاب العرب طوال اكثر من شهر كامل (٧) .

ولقد كان طبيعيا ان يحتدم النقاش وينقسم المتحاورون ، من حيث الشكل، بين مؤيد متحمس او متحفظ ومعارض رافض بشدة او باعتدال لفكرة « اعادة اليهود العرب » (٨) . كذلك ،انقسم المتحاورون ، من حيث المضمون الى مجموعتين : واحدة تقبل بالفكرة لاعتبارات مبدئية / او عملية ،

ومجموعة اخرى ترفض الفكرة ذاتهـــا اما لاسباب مبدئية او عملية . وعلـــى الرغم من ان النقاش عانى ، بحكـــم احتدامه ، من الامراض المعتادة في كل حوار ساخن، فانه ــ بالتأكيد ــ أسهم الى حد بعيد في تسليط الضوء علـــى الفكرة وازالة كثير من الظلال التـــي أحاطت بها وحجبت بعض جوانبهـــا ، وكي لا يكون كل ذلك الجهد الذي بذله الجميع لاثراء الحوار طفرة سرعان ما تبخرت ، ومن اجل دفع الحوار خطوة جديدة الى الامام ، لا بد من محاولـــة جديدة لتسجيل الحقائق بعـــد أن زال عنها الضباب الذي نشأ في الاصل مـــن ملامسه الجزء العاطفي مـــن النقـــاش للوقائع الباردة . فما هي **اولا** مسوغات قبول الفكرة الداعية الى عودة اليهود العرب الى بلدانهم السابقة ، وما هي **ثانيا** أبرز الذرائع التي أتى بها كل مـــن عارض الفكرة ، وما هي **ثالثا** قيمة تلك الذرائع ، وما هو **رابعا** واخيرا، الاطار السليم لبدء ترجمة ذلـــك الشعـــار الترجمة العملية المطلوبة .

أ ــ مسوغات القبول :

لا يخفى علـــى احـــد أن الهجـــرة اليهودية الى اسرائيل هـــي على رأس قائمـــة الاولويـــات الاسرائيليـــة والصهيونية. بل أن الصهيونية ليست، في جوهرها ، الا هجرة اليهود الـــى فلسطين لاقامة وطن قومي لهم دون أن تقيد حركتهم حدود معلنة (٩) . كما أن الهجرة اليهودية الى فلسطين تشكـــل بالنسبة لاسرائيل ــ علاوة على كونها الفكـــرة المركزيـــة في الايديولوجيـــة الصهيونية ــ المصدر الاوفر لتأميـــن الامان المعنوي لليهود والامن الفعلـــي المادي لاسرائيل(١٠). وهذا يفسر تشجيع اسرائيل يهود العالم على الهجرة بدءا بما أعلنته في « وثيقة الاستقلال » فـــي العام ١٩٤٨ ، ومرورا «بقانون العودة» للعام ١٩٥٢ ، وانتهـــاء « بقانـــون الجنسية » للعام ١٩٥٢ وما تلاه مـــن انظمة واجراءات في الاعوام التالية(١١) كما أن ذلك يفسر « الاجماع » علـــى موضوع الهجرة من قبل جميع الاحزاب الاسرائيلية بما في ذلك حركة « سيح » (اليسار الاسرائيـــلي الجديـــد) ، والفهود السود ، وحتى منظمتي ماتزبن وراكاح المناوئتين للصهيونية (١٢) .

وعلى الرغم من عدم نجاح الحركة الصهيونية واسرائيل النسبي في جهود تجميع يهود العالم، ازداد عدد سكـــان « اسرائيل » اليهود من ٦٥٠ الفا فـــي العام ١٩٤٨ الى ما تجاوز مليونيـــن ونصف من اصل ما يقارب ١٦ مليونـــا من اليهود في العالم (١٣) . وغني عن الذكر ان تلك الزيادة اضافت الكثيـــر الى قوة الدولة الصهيونية التي لم تكن، مع ذلك، خلوا من المشاكل الاساسية. ولعل أبرز هذه المشاكل : انقســـام المجتمع عموديا بين طائفتي الاشكنازيم والسفارديم، وما رافق ذلك من توترات وأزمات مجتمعية (عنصرية ، وطبقية، وثقافية ، وسياسية) ، وتغير سمـــة التكوين البشري الطائفي الاسرائيلي من مجتمع « غربي » عرقيا الى مجتمـــع « شرقـــي » اذ انخفضـــت نسبـــة الاشكنازيم من ٩٠٪ فـــي العام ١٩٤٨ الى أقل من ٤٠ ٪ الان (١٤) . بل أن الاهم من ذلك كله ، نشوء ما يمكـــن تسميته « بتحدي الهجرة » أمـــام اسرائيل (١٥) ، وبخاصة في ظـــل تحول محصلة الهجرة الى الحـــدود السلبية وتغلب أرقام الهجرة المعاكسة من اسرائيل على أرقام الهجرة اليهـــا

مع العام ١٩٧٥ (١٦).

وكي لا تكون « مؤشرات ١٩٧٥ »هذه مسألة عابرة (كما كان عليه الحال في مؤشرات ١٩٥٣) ،ومن أجل ان يستديم تحدي الهجرة (١٧) فيوجه اسرائيل، وفي سبيل تفسيخ المجتمع الصهيوني الاسرائيلي تكتيكيا واستراتيجيا وصولا الى تحقيق الاهداف الفلسطينية والعربية الخاصة باقامة الدولة العلمانية الفلسطينية تمهيدا لقيام الدولة العربية العلمانية الديمقراطية في جميع ارجاء الوطن العربي ،لا بد من تبني مشروع دعوة اليهود العرب للعودة الى أوطانهم الاصلية كحلقة من سلسلة المشاريع القتالية العسكرية والسياسية والاقتصادية التي يقتضيها تحرير العرب لارضهم وتحقيق أهدافهم الاستراتيجية الاخرى .

ب ــ ذرائع الرفض : (١٨)

اما ابرز الذرائع التي يطرحها معارضو مشروع دعوة العرب اليهود للعودة الى بلدانهم الاصلية فتتلخص بالاتية :

١ ــ تنطوي الدعوة على سحب البساط من تحت اقدام المشروع الفلسطيني الهادف اقامة الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين . ذلك انه اما ان نلتزم بذلك المشروع فنبقى اليهود حيث هم لكي تتشكل منهم الدولة الديمقراطية العلمانية العتيدة ،او نسحبهم من هناك فينتفي بذلك الاساس البشري اللازم لاقامة مثل تلك الدولة .

٢ ــ سيؤدي تنفيذ فكرة عودة اليهود العرب الى تفريغ فلسطين المحتلة من اليهود الشرقيين ، مخففا بذلك من حدة ازمة التناقض بينهم وبين اليهود الغربيين من جهة ، ومفسحا المجال امام استجلاب موجات هجرة جديدة من هؤلاء الاخيرين من جهة ثانية .

٣ ــ سيكون الاتيان باليهود العرب الى الدول العربية كمن جاء « بالدب الى كرمه » . ذلك ان احضار يهود تشبعوا بالفكر الصهيوني طوال اكثر من ربع قرن ، سيجعل منهم طوابير خامسة وعملاء وجواسيس جاهزين للعمل لصالح اسرائيل وبخاصة وانهم ــ يضيف البعض ــ سيكونون عرضة في البلاد العربية للتمييز القومي والديني ضدهم، ناهيك عن انهم سيبتلعون،بما عرف عنهم من حذاقة في اعمال التجارة، اقتصاد البلدان العربية التي يفدون اليها وسيشربون النفط العربي حتى اخر قطرة .

٤ ــ ستقتصر عودة اليهود ــ ان عادوا ــ على الكبار في السن الذين لا يزالون يحملون معهم ارتباطهم بالاوطان التي نشأوا فيها . وعندئذ نكون قد خففنا عن اسرائيل عبئهم اولاوارهقنا انفسنا بهم ثانيا ، دون ان نفرغ اسرائيل من عنصرها البشري الذي تحشده لقتالنا ثالثا .

٥ ــ اليهود ــ في الدين والتاريخ ــ« اشرار بطبيعتهم » ولذلك ، سيكونون

دوما ادوات خراب او افساد. فلم نأتي بالطاعون الى عقر دارنا ؟

٦ ــ المسألة غير مطروحة فعليــاوعمليا.

ج ــ قيمة الذرائع :

تنطوي الذرائع المساقة اعلاه على ثغرتين اساسيتين :

فبعضها ، اولا ، ذاتي الى درجــة السقم . وما كان ليضير فكرة ما ان تكون ذاتية طالما ان ذلك ينطبق علــى الواقع الموضوعي او ــ على الاقــل ــ لا يجانبه كثيرا . وقد نتج عن المنحــى الذاتي المفرط الذي يتبدى في كثير من الذرائع المعطاه اعلاه ، عدة نواقص . فالذاتية تلك ، دفعت البعض الى خلق « حقائقهم » على حساب الحقائــق القائمة او تلوين تفسيراتهم للحقائــق بالوانهم الشخصية الذاتية . كذلك ، قادتهم ذاتيتهم ــ في حالات اخرى ــ الى لوي اذرع الحقائق او جعلها مطلقــة تنطبق على كل زمان ومكان .

فالبعض بذاتيتــــه الشوفينية او الفاشية ، او ربما بكلتيهما ، قــــرر ــ هكذا ــ بان اليهود بطبيعتهم ادوات شر وافساد وانهم جبلوا على الخداع واللؤم . وما الى ذلك من نعوت تدين صاحبها اكثر مما تسعفه . وغنى عن الذكر ، في هذا المجال ، ان مثل هــذه « الحجة » لا تستند الى اي اســاس علمي . ذلك انه ــ علميا وتاريخيا ــ ليس من شعب متفوق او مختار (بالمعنى النازي او بالمعنى الذي ينادي بــــه كاثوليك الكهان اليهود او الصهاينة ، تماما مثلما ليس هناك شعب جبان او لئيم او ما الى هناك من صفات . ولنذكر في هذا الصدد ، ماروجه الاستعــــمار الفرنسي من الطبائع المخزية التي اراد حينذاك الصاقها عشوائيا بالشعــــب الفيتنامي ، وكيف ان الحقائق عادت فاكدت نفسها وقامت بدفن الاصباغات الذاتية الفرنسية . وكذلك الحــــال مع الشعوب الصينية ، والكوبيــة ، والعربية وغيرها مــن الشعوب التــي تعرضت ــ حديثا بالمقياس التاريخي ــ الى فيض من مغالطات لم تدم الا في خلايا العقول الفاشية .

ولعل الاخطر من هذا كله ، كــون البعض قد قام ــ هكذا ــ بتعيين نفسه فقيها في الدين الاسلامي وضليعــــا بتفاسيره فاجتزأ من الآيات ما حلا له ، ناسيا (او على الارجح ، متناسيا) ان اليهود من اهل الكتاب وان ما كان من امر بعضهم ، في مكان وزمان معينين ، لا ينطبق عليهم جميعا وفي كل الاماكن والازمات .

كما ان قرار البعض باغماض عينيه عن الحقائق القائمة والتقرير ــ هكذا ــ بان المسألة غير مطروحة علميا وعمليا امر فيه الكثير من الذاتية . ذلــك ان المسألة مطروحة فلسطينيا مــن خلال ما عرضناه في مقدمة هذه الدراسة . وهي ، كذلك مطروحة عربيا بدليل ان بعض الدول العربية (وبالذات العراق ، والسودان ، والمغــــرب ، وتونس) اعلنت قرار ترحيبها بعــــودة اليهود العرب ، وسنت قوانين خاصة بهدف تشجيع عودتهم . كــــما ان المسألة

مطروحة اسرائيليا من خلال ما ترويه الارقام من ازدياد في حجم الهجرة المعاكسة ومن خلال ما اعلنته المصادر الاسرائيلية (وبالذات مصادر الفهود السود) مؤخرا عن بدء عودة يهود المغرب الى وطنهم الاصلي . (١٩)

واخيرا ، يطالعنا من ثغرة الاراء« والحقائق » الذاتية المشار اليها اعلاه ادعاء يقول بانه لن يغادر اسرائيل الا كبار السن او ان من يغادرها هو بالضرورة مشبع بالافكار الصهيونية .وفيما يتعلق بالشق الاول من الادعاء ، لا يجد المرء اي اساس علمي يدعمه .بل ان حديث الوقائع ينسف ذلك الادعاء من اساسه . (٢٠) . وفيما يتعلق باؤلئك الذين يسوقون « حجة » التشبع بالافكار الصهيونية،فانهم لايعرفون ــ فيما يبدو ــ معنى الصهيونية التي هي ــ اولا وقبل كل شيء ــ العودة او السعي من اجل دعم عودة اليهود الى صهيون . ثم ان من عاش في اسرائيل وغادرها قرفا لا يتوقع له ان يكون داعية للفكر والعمل الصهيونيين او مؤمنا بهما.

اما الثغرة الاساسية الثانية التي تنطوي عليها الذرائع المقدمة من رافضي فكرة عودة اليهود العرب الى اوطانهم فتكمن في خلطهم بين سلامة المبدأ وصعوبة التطبيق . فرفض فكرة مالانها تنطوي على تكاليف او صعوبات فحسب ، امر لا يحتاج الخطأ فيه الى اية ايضاحات . ذلك ان الصعوبات او التكاليف واردة في كل مهمة كبرت ام صغرت . والمهم هو ان لا تكون التكلفة اكثر من قيمة الهدف المنوي تحقيقه .وفيما يختص بموضوعنا ، لا يختلف اثنان على ان هدف ازالة الكيان السياسي لاسرائيل لا يتقدم عليه اي اعتبار وتهون من اجله كل التكاليف بشرية كانت ام مالية . وليس في مثل هذا القول اية عاطفية ــ كما قد يبدو لاول وهلة ــ . ذلك ان اية حسابات عملية للارباح والخسائر في عملية اقامة الدولة الديمقراطية العلمانية على ارض فلسطين لا بد وان ترجح ــ بالقطع ــ كفة الارباح .

ولعل اضعف الذرائع قاطبة هي تلك القائلة بأن من يعود من اليهود العرب سيكونون من الجواسيس او طوابير خامسة .وبدون مناقشة للبعد الفاشي الشوفيني الذي قد يتضمنه مثل هذا القول ، نقول : ربما يكون ذلك الافتراض صحيحا جزئيا . اي ربما يكون البعض اما عائدا في مهمة تجسسية او جاهزا اكثر من غيره ليكون طابورا خامسا . ولكن الجواب على هذه « المعضلة » بسيط اذ انه لايستحق اكثر من سؤال نسأله : الم تثبت اجهزة الاستخبارات والمباحث الداخلية العربية جدارتها اكثر من اية اجهزة في هذا الوطن ؟ وعليه ، فان مثل ذلك التخوف المضخم يتقلص ــ عند التفحص والتدقيق ــ الى حجمه الحقيقي فيغدو مجرد مسألة فنية. (٢١)

د ــ حيثيات الخطة ومعالم تنفيذها:

لا بد ، في البداية ، من استعراض العوامل التي طالما ساعدت على ازدياد هجرة اليهود الى فلسطين المحتلة قبل وبعد العام ١٩٤٨ ، والعوامل التي طالما ساعدت على اضعاف تلك الهجرة وتحويلها احيانا الى هجرة معاكسة من اسرائيل الى الخارج ، وتوظيف نتائج هذا الاستعراض التحليلي لرسم الخطة العربية الواجبة .

اما العوامل المساعدة على هجـرة اليهود الى فلسطين واضعاف الهجـرة المعاكسة منها فتتلخص فيما يلي :

اولا : اللاسامية التاريخية (ما قبل العام ١٩٣٩) ، وبخاصـة في دول اوروبة ، واستثمار الحركة الصهيونية لها . (٢٢)

ثانيا : ظروف ومقـدمات الحرب العالمية الثانية ونهاياتها (الاستفادة من يهود المعسكرات في اوروبة الغربية ، ومن يهود اوروبه الشرقية) (٢٣)

ثالثا : ظروف تقسيم فلسطين فـي العام ١٩٤٧ ، والحرب العربيـة الاسرائيلية الاولى في العام ١٩٤٨ ومـا رافقها من عواطف وردود فعل قومية متسرعة معادية لليهود (سياسيـا واقتصاديا) في البلاد العربية . (٢٤)

رابعا : الانتعاش الاقتصادي فـي اسرائيل في الاعوام (١٩٥٥ ــ ١٩٥٧) في اعقاب تبلور اثر التعويضات الالمانية (الرسمية والشخصية) بدءا من العام ١٩٥٣ . كذلك الانتعاش الاقتصادي في الفترة (١٩٦١ ــ ١٩٦٤) (٢٥)

خامسا : النصر العسكري الاسرائيلي المذهل في العام ١٩٦٧ وما خلقه من مشاعر قوية وتضامن وثقة في وسط يهود العالم (٢٦) . تماما مثلما كانت الصهيونية قد استخدمت ، في الماضي ، ولا تزال تستخدم تكتيك « التهويـل بالخطر الخارجـي » لاخفـاء (٢٧) التناقضات والوجه البشع لاسرائـيل ولشحن يهود العالم بالتعاطف مـع اسرائيل والتحرك باتجاه انقاذها .

سادسا : التحـرك السياسي ــ الاعلامي الصهيوني المكثف ، وبخاصة منذ العام ١٩٦٧ فـي حدوث الطلاق السوفياتي لاحراجه والضغط عليه لتشجيع هجرة اليهود السوفيات الـى اسرائيل . وقد سرع انحيـاز الاتحاد السوفياتي للعرب سياسيا وعسكريـا منذ العام ١٩٦٧ في حدوث الطـلاق السوفياتي ــ الاسرائيلي ، واطلاق يد الحركة الصهيونية في معاداة الاتحاد السوفياتي الذي كان لتلك الحركـة معه ــ علاوة على العداء النابع من كونها حركة استعماريـة ــ ثأرات قديمة . (٢٨) . وهذه الاخيرة ناجمة عن الموقف الصلب الذي وقفته روسيا منذ الثورة البلشفية اذ لم تسمـح السلطات السوفياتية الا بهجـرة (١٥٫٨٠٠) يهودي في الفترة (١٩١٩ ــ ١٩٢٣) ، وما يعادلهم في السنوات (١٩٢٤ ــ ١٩٣١) ، وبهجرة عشـرة اشخاص فقـط في الاربعينات والخمسينات ، وبهجرة خمسة اشخاص مسنين طوال الفترة ما بين ١٥ ايـار مايو ١٩٤٨ ونهاية العـام ١٩٥١ ، في حين لم تسمح بهجرة احد فيما بين (١٩٥٢ ومنتصف ١٩٥٥) ، وهجـرة ١٢٥ شخص فقط طوال الفترة ما بيـن (تموز ١٩٥٣ ــ وايلـول ١٩٥٥) وهجرة (١٢٠٫١) في العام ١٩٥٨ ، وهجرة مئتـي يهودي في العام ١٩٦٣ . (٢٩) . هذا ، وتسعـى اسرائيل الى تهجير يهـود الاتحـاد السوفياتي اليها لكونهم لا يفيـدون اسرائيل ماليا ، ولا يشكلون قـوة سياسية ضاغطة علـى القـيادة السوفياتية (كما هو الحال في الولايات المتحدة وغيرها) ، ولكونهم « كـوادر علمية » تستفيد منها اسرائيل ، علاوة على الرغبة في استخدامهم لتعديـل التوازن البشري الطائفي في اسرائيـل وذلك بترجيحهم لكفة الاشكنازيم . (٣٠)

سابعا : الايديولوجيات والمواقـف الشوفينية العربية ، الرسمية وغيـر

الرسمية ، طوال سنوات عديدة من جهة وتقصير الاعلام العربي التقدمي الجديد ازاء اليهود ، والشرقيين منهم على نحو خاص ، من جهة ثانية . ولعل هذا هو السبب الاهم في ترسيخ لحمة المجتمع الصهيوني ومنع تفسخه في الماضي ، وهو السبب الاهم في ابقاء « حركة الفهود السود » ، مثلا ، غير مستعدة « للمشاركة في الكفاح العربي ضد الصهيونية » وكونهم غير مهتمين « سوى في الحصول على قطعة من الجبنة الصهيونية في اسرائيل » .(٣١) كما ان ذلك كله ، اضافة الى غياب برنامج ايجابي عربي لاعادة توطين اليهود العرب الاسرائيليين في الوطن العربي ، لعب دورا بارزا في « اغلاق عقل اليهودي العربي في اسرائيل ازاء احتمالات عودته الى موطنه الاصلي ، وبالتالي ، بقائه في الدولة الصهيونية طالما انه غير قادر لاسباب ثقافية نفسية ومالية على الهجرة الى الدول الغربية . (٣٢)

اما العوامل التي اضعفت الهجرة الى اسرائيل او ساعدت على الهجرة المعاكسة منها فتتلخص في التالي :

اولا : المقاومة الرسمية والشعبية العربية المتمثلة في المقاطعة الاقتصادية والرفض السياسي وبالذات القتال العسكري وبخاصة منذ ظهور حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة بدءا من العام ١٩٦٥ وما اعقب ذلك من معارك كان ابرزها ما وقع في تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩٧٣.

ثانيا : نضوب ماعرف باسم «مناطق الضيق » (اوروبة الشرقية ، العالم العربي) نتيجة هجرة غالبية يهود هذه المناطق الى اسرائيل في اعقاب قيام الدولة الصهيونية . (٣٣)

ثالثا : اغراءات ما عرف باسم « مناطق الرخاء » (امريكا الشمالية والجنوبية ، اوروبه الغربية، استراليا، افريقية الجنوبية) لليهود للبقاء فيها او الهجرة اليها من اسرائيل وغيرها . (٣٤)

رابعا : الازمات الاقتصادية في اسرائيل ، وبخاصة في العامين (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤) ، وكذلك في العامين (١٩٦٥ـ١٩٦٧) . وقد انخفض مستوى الهجرة في هاتين الفترتين بشكل ملحوظ وازدادت فيهما الهجرة المعاكسة من اسرائيل . (٣٥)

خامسا : عدم صهيونية العديد من اليهود وتفضيلهم لمستقبلهم الذاتي . ومن الادلة البارزة على ذلك ، انه عندما استقلت الجزائر لم يهاجر الى اسرائيل الا ٧ بالمئة من مجموع (١١٠) آلاف من اليهود الجزائريين . وقد فضل الباقون السفر الى فرنسا والاقامة فيها . (٣٦)

سادسا : القيود السوفياتية على هجرة اليهود الى اسرائيل . (٣٧) ولهذا العامل اهمية بالغة خاصة اذا تذكرنا ان عدد اليهود في الاتحاد السوفياتي يكاد يعادل عدد يهود اسرائيل . (٣٨) وفي هذا المجال ، لا تلجأ الدولة

السوفياتية الى الاجراءات السلبية بمنع اليهود من المغادرة فحسب ، بل انها بالتمييز (المقصود وغير المقصود) لصالح سكانها من اليهود تجعلهم غير راغبين في مغادرة الاتحاد السوفياتي على الرغم من الضغوط الصهيونية والاسرائيلية الهائلة عليهم . والدليل على حسن المعاملة هذا (بل ربما التفضيل) ان يهود الاتحاد السوفياتي الذين لا يشكلون الا (٥ر١ بالمئة) من مجموع السكان ، يشكلون ٧ر١٤ بالمئة من الاطباء ، ١٤ بالمئة من الكتاب و٤ر١٠ بالمئة من المحامين ، ٣٢ بالمئة من الملحنين والمؤلفين ، و١٣ بالمئة من الفنانين في الدولة السوفياتية . (٣٩)

سابعا : المشاكل غير الاقتصادية داخل اسرائيل . وتتلخص هذه في مشاكل الاستيعاب والتكيف ومايرافقهما من احساس شديد بالغربة والعزلة والروتين الحكومي المعقد والمهل ، والامتيازات التي تقدم للمهاجرين الجدد والتي خلقت ردود فعل عدائية في وسط المهاجرين القدامى الذين اصبحوا يجاهرون بعدائهم لكل مهاجر جديد بحيث يسرعون في تشجيع مغادرته البلاد ان حضر ، او «اقناعه» بالاحجام عن الحضور ان كان يفكر في ذلك . (٤٠) واخيرا ، وليس اخرا ، مشكلة التمييز العنصري الحاد داخل المجتمع الاسرائيلي وتحول الاغلبية اليهودية الى مواطنين من الدرجة الثانية وما نتج عن ذلك من توترات وحركات رفض وتمرد . (٤١)

ثامنا : مواقف بعض الدول العربية ازاء هجرة مواطنيها من اليهود الى اسرائيل وتشجيعهم نفسيا وماديا ، على البقاء في البدان العربية المعنية . ولعل الامثلة البارزة في هذا المجال هي موقف لبنان منذ العام ١٩٤٨ وكل من المغرب وتونس منذ العام ١٩٥٨ . (٤٢)

اذن ، وبعد ان استعرضنا العوامل التي تساعد على هجرة اليهود الى اسرائيل ، ودرسنا العوامل التي تقلل من الهجرة اليها او التي تزيد الهجرة منها ، ما هي معالم الخطة العربية التي تزيد من تفاقم « تحدي الهجرة » الذي يواجه اسرائيل ، وتساعد ، في الوقت ذاته ، على تفسيخ المجتمع الصهيوني ميها وتعزز بالتالي ، حركة الثورة الفلسطينية والعربية ازاء العدو الصهيوني ؟

اولا : نشر وترسيخ الفكر التقدمي المضاد للفكر الفاشي والشوفيني الذي لا يميز ضد اليهود فحسب ، بل وضد الاقليات الاخرى بشكل عام .

ثانيا : تأكيد الدول العربية ، رسميا ، وعلى اعلى المستويات وباكثف زخم ممكن الموقف المبدئي التاريخي للامة العربية المتسامح مع الاقليات بشكل عام ، ومع الطائفة اليهودية بشكل خاص . وارفاق ذلك بخطوات عملية جذرية تعزز اوضاع ما تبقى من اليهود في البلدان العربية . ولعل في موقف الثورة الفلسطينية من يهود لبنان اثناء الحرب الاهلية اللبنانية خير مرشد في هذا المجال . ناهيك عن الموقف العراقي . في دستور العام ١٩٢٥ ، والذي كان قد ساوى بين المواطنين العراقيين يهودا وغير يهود ، في الحقوق والواجبات ، وذلك قبل ان

تلغي حكومة نوري السعيد ذلك النص عمليا في الاجراءات التعسفية التي اقدمت عليها في العام ١٩٥٠ . (٤٣)

ثالثا : تبنى الدول العربية ، رسميا، وعلى اعلى المستويات وباكبر كثافة من الجدية ، قرارا يسمح بعودة اليهود العرب الى الدول العربية ، كمواطنين اصليين ، لا رعايا ، مع تمكينهم ماديا من اعادة بناء مستقبلهم في وطنهم الجديد ــ القديم وذلك بشد ازرهم عن طريق جهود « الوكالة العربية » التي تنشأ لهذه الاغراض . (٤٤)

رابعا : تمتين صلات الدول العربية بالاتحاد السوفياتي وتشجيعه ، بمختلف الوسائل ، على مقاومة الضغوط الصهيونية والغربية الموجهة اليه لفتح ابواب الهجرة على مصراعيها امام اليهود السوفيات ، والسعي لدى الدولة السوفياتية من اجل اعادة اغلاق الباب نهائيا في وجه التأثيرات الصهيونية على المواطنين السوفيات ، وقبول اعادة اليهود السوفيات الذين اكتشفوا جوهر اسرائيل البشع فغادروها فعلا او هم في طريقهم الى مغادرتها .

وبعد ،

ان الدعوة الى عودة اليهود العرب من اسرائيل الى البقاع الاصلية التي سبق لهم وعاشوا فيها على امتداد رقعة الوطن العربي ، هي الوجه الاخر للدعوة الهادفة تنفيذ الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية والخاص باقامة الدولة العلمانية الديمقراطية في فلسطين . بل ان هذه الدعوة تشكل ركنا اساسيا من اركان الهدف الاستراتيجي للامة العربية الساعي الى اقامة الدولة العربية العلمانية الديمقراطية التي لاغنى عنها كبوتقة لصهر انسان الارض العربية في امة واحدة متلاحمة تقطع الطريق على كل محاولات الاستعمار القديمة ــ الجديدة التي طالما سعت الى تقطيع اوصال الامة العربية بسيف « التمايز الديني » حينا ، وبسيف « التمايز العرقي » حينا اخر . ولعل الانتصار الابرز ــ ان كان ثمة انتصارات اخرى ــ في تجربة « المسلخ اللبناني » الاخير هو انتصار صيغة « دولة كل الطوائف » على صيغة « دولة لكل طائفة » هذا من جهة .

ومن جهة ثانية ، لا تشكل الخطة الخاصة باعادة اليهود العرب الى مواطنهم الاصلية، على عظمها واهميتها الا تحديا فرعيا امام الامة العربية. اما التحدي الرئيسي فهو في انه لن يكون للخطة المبينة اعلاه اية قيمة ما لم يقتنع يهود اسرائيل والعالم بان اسرائيل وجدت لتزول . وهم لن يقتنعوا طالما ان نار الجبهات العربية ، باستثناء الجبهة الفلسطينية ، غير مشتعلة ، كما لن يكون للخطة ذاتها اية قيمة ان لم تواكبها خطة اقتصادية وسياسية واجتماعية شاملة لتعزيز مواطنية العرب المقيمين (يهودا وغير يهود) وتمهيد الطريق ليس امام عودة العرب (اليهود فحسب) ، بل واقناع العرب (من غير اليهود) بالبقاء في وطنهم اولا ، وتمهيد الطريق امام عودة العرب المهاجرين (من غير اليهود) الى بلادهم ثانيا . وهنا بالذات يكمن التحدي الحقيقي الذي يواجه امتنا العربية.

الحواشي

١ ــ انظر صحيفة **القبس** الكويتية في ٢٢ــ٢ــ ١٩٧٦ ، ص ١ و١٦ .

٢ ــ **المصدر السابق** ، ص ١٦

٣ ــ كما جاء في مقالة اللواء كمال عبد الحميد، « لا .. لهذه الاسباب » ، **القبس** في ١ــ٣ــ١٩٧٦

٤ ــ انظر دراسة ابو مازن ، عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني ــ فتح **الصهيونية .. بداية ونهاية** « مكتب التعبئة والتنظيم في حركة فتح ، ١ــ١ــ١٩٧٦ ».

٥ ــ من نوع الندوة الخاصة التي عقدها ابو مازن ، احد قياديي فتح ، مع عدد من الشخصيات الاعلامية الفلسطينية والعربية بمقر منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت في شهر شباط ــ فبراير ١٩٧٦ .وكذ لك ، الندوة العامة التي عقدت بدعوة من الاتحاد العام للكتاب والصحيفيين الفلسطينيين ــ فرع الكويت بتاريخ ١٦ــ٣ــ١٩٧٦ والتي اشترك فيها كل من : الدكتور هاني فارس والدكتور اسعد عبد الرحمن « مؤيدان لفكرة عودة اليهود العرب » والدكتور ابراهيم مكي واللواء كمال عبد الحميد «معارضان» . وقد ادار الندوة وساهم فيها الاستاذ خالدالحسن احد قادة فتح . انظر تفاصيل الندوة في **القبس** بتاريخ ١٧ــ٣ــ ١٩٧٦

٦ ــ فقد شكلت لجنة متابعة في الكويت، مثلا.

٧ ــ انظر صحيفة **القبس** بدء من ٢١ ــ٢ــ ١٩٧٦ وحتى ٢٥ــ٣ــ١٩٧٦ على سبيل المثال.

٨ ــ ومن الامثلة على هذه الاراء ، انظر مقالات مؤيدي الفكرة :

أ ــ توفيق ابو بكر « نعم لهذه الاسباب » ، القبس في ٢٨ و ٢٩ ــ ٢ ــ ١٩٧٦ .

ب ــ د. اسعد عبد الرحمن ، « التحدي الفرعي والتحدي الرئيسي » ، **المصدر السابق**، في ٣و٤ ــ ١٩٧٦

ج ــ حسين خليل ، « نعم .. لاسباب قومية وانسانية « **المصدر السابق** ، في ٩ــ٣ــ١٩٧٦.

د ــ حسين ابو النمل ، « العودة .. والتصعيد العسكري » **المصدر السابق** ، في ١٢ــ٣ــ١٩٧٦ .

اما المقالات المعارضة فهي :

أ ــ اللواء كمال عبد الحميد ، « لا .. لهذه الاسباب » ، **القبس** ، في ١ــ٣ــ١٩٧٦ .

ب ــ فتحي الحديدي ، « لا لعودة الجواسيس » ، **المصدر السابق** ، في ٢ــ٣ــ ١٩٧٦ .

ج ــ د. ابراهيم مكي ، « لا تضيفوا الى اخطائنا خطأ جديدا » ، **المصدر السابق** ، في ٦ــ٣ــ١٩٧٦ .

د ــ د. حسين مؤنس ، « اذا عادوا .. سيشربون النفط حتى اخر قطرة » ، **المصدر السابق** ، في ٧ــ٣ــ١٩٧٦ .

هـ ــ الحبيب محمد علوان ، « لا .. لهذه الاسباب » ، **المصدر السابق** ، في ١٩ ــ ٣ ــ ١٩٧٦ .

اما مقالة د. عزيز شكري فكانت مقالة بين بينية يصعب تصنيفها . انظر ، « دعائيا : نعم، واقعيا : المسألة غير مطروحة » **المصدر السابق** في ٨ــ٣ــ١٩٧٦ .

٩ ــ انظر ، عبد الحفيظ محارب ، « الهجرة الى اسرائيل : مشاكلها وكيفية التصدي لها»، **شؤون فلسطينية** (العدد ١٠ ، ١٩٧٢) ، ص ٥٣ . كذلك ، مصطفى عبد العزيز ، **اسرائيل ويهود العالم : دراسة سياسية وقانونية** (بيروت مركز الابحاث ، ١٩٦٩) ص ١١٧ــ١١٨ .

١٠ ــ عبد العزيز ، **المصدر السابق** ص ١١٩ ــ١٢٠ .

١١ ــ عبد الحفيظ محارب **المصدر السابق** ، ص ٥٤ .

١٢ ــ المصدر السابق ، ص ٥٣ . كذلك ، عبد الحفيظ محارب « اليسار الاسرائيلي الجديد (سيح) ، شؤون فلسطينية (العدد ١٩، ١٩٧٣) ص ٦٤ .

١٣ ــ كما ورد في : عبد الحفيظ محارب ، « الهجرة الى اسرائيل » ، **المصدر السابق** ، ص ٥٥ ــ ٥٦ . كذلك ، احمد حجاج ، **سكان اسرائيل : تحليل وتنبؤات** (بيروت : مركز الابحاث ، ١٩٦٨) ، ص ٨٥ .

١٤ ــ كما جاء في المصادر التالية : محارب، « الهجرة الى اسرائيل » ، **المصدر السابق** ، ص ٦٢ــ٦٦ .

كذلك ، عودة ابو ردينة ، « اليهود الشرقيون

في اسرائيل « ، **شؤون فلسطينية** (العدد ٥ ، ١٩٧١) ، ٢٩٢ — ٢٩٥ . ايضا عبد الحفيظ محارب ، « الهوة الاجتماعية في اسرائيل » ، **شؤون فلسطينية** (العدد ١٥ ، ١٩٧٢) ص ٣٧ — ٤٣ .

١٥ — التعبير مستعار من دراسة عبد العزيز ، **المصدر السابق** ، ص ١١٨ .

١٦ — انظر : ابو مازن ، **المصدر السابق** ، ص ٤٥ .

١٧ — المقصود الهجرة المعاكسة من اسرائيل ورجحان كفتها على الهجرة الى الدولة الصهيونية في العام ١٩٥٣ / ١٩٥٤ . انظر ، حجاج ، المصدر السابق ، ص ٢٩ و ٧٠ — ٧١ .

١٨ — جميع الذرائع المتضمنة في هذا القسم مستقاه من المقالات التي كتبت ضد عودة اليهود العرب علاوة على مقالة د. عزيز شكري الانفة الذكر . انظر حاشية رقم ٨ .

١٩ — انظر : ابو مازن ، **المصدر ذاته** .

٢٠ — **المصدر السابق** ، ص ٤٤

٢١ — من اجل تفاصيل اكثر عن مضمون القبول والرفض حول مسألة عودة العرب اليهود. انظر وقائع الندوة الخاصة بذلك والتي نشرت في القبس بتاريخ ١٧ — ٣ — ١٩٧٦ ، ص ١١ .

١٢ — انظر ، محارب ، « الهجرة الى اسرائيل » ، **المصدر السابق** ، ص ٥٧ .

٢٣ — **المصدر السابق** ، ص ٥٥ — ٥٧ كذلك عبد العزيز المصدر السابق ص ١١٩ — ١٢٠ .

٢٤ — محارب ، **المصدر السابق** ، ص ٥٦ كذلك ، عبد القادر ياسين « عصبة مكافحة الصهيونية في العراق ، » **شؤون فلسطينية** (العدد ١٥، ١٩٧٢) ص ١٥٩ .

٢٥ — راجع : محارب **المصدر السابق** ، ص ٥٧—٥٨ . كذلك ، حجاج ، **المصدر السابق** ، ص ٧٠—٧١ .

٢٦ — محارب ، **المصدر السابق** ، ص ٥٨ .

٢٧ — محارب « الهوة الاجتماعية في اسرائيل» **المصدر السابق** ، ص ٣٨ .

٢٨ — انظر ، داوود تلحمي ، « بلجيكا : مؤتمر بروكسل ويهود الاتحاد السوفياتي » ، **شؤون فلسطينية** (العدد ٢ ، ١٩٧١) ، ص ٢٣٤ . كذلك ، الدراسة التي اعدها د. صلاح دباغ بعنوان **الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين** (بيروت : مركز الابحاث ، ١٩٦٨) ، ص ٦٢ ، ٦٥ .

٢٩ — **المصدر السابق** ، ص ٦١ — ٦٢ .

٣٠ — تلحمي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣٦. كذلك : محارب ، اليسار الاسرائيلي الجديد » ، **المصدر السابق** ، ص ٦٤ .

٣١ — ابو ردينه ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٤

٣٢ — محارب ، « الهجرة الى اسرائيل » ، **المصدر السابق** ، ص ٦٦ .

٣٣ — **المصدر السابق** ، ص ٥٨ ، ٦٢

٣٤ — انظر المراجع التالية : **المصدر السابق** ،ص ٥٨ — ٥٩ . كذلك مصطفى عبد العزيز ، **الاقلية اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية** (بيروت : مركز الابحاث ، ١٩٦٨)ص ١٦٤ — ١٩٦٨ .

٣٥ : حول الازمة الاقتصادية في ١٩٥٢ — ١٩٥٤ ، انظر حجاج ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩ وحول الازمة الثانية في ١٩٦٥ — ١٩٦٧ ، راجع: محارب ، « الهجرة الى اسرائيل » ، **المصدر السابق** ، ص ٥٨ .

٣٦ — **المصدر ذاته** .

٣٧ — **المصدر السابق** ، ص ٦٢، ٦٧

٣٨ — دباغ ، **المصدر السابق** ، ص ٦١—٦٢

٣٩ — عبد العزيز ، **اسرائيل ويهود العالم** ، ص ١٣و١٧٣ .

٤٠ — محارب ، **المصدر السابق** ، ص ٦٢ — ٦٥ .

٤١ — ابو ردينة ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٢

٤٢ — انظر ، محارب ، **المصدر السابق** ، ص ٥٧ و ٦٦ — ٦٧ . كذلك عبد الحفيظ محارب ، ظاهرة الفهود السود في اسرائيل : اسبابها واصولها » ، **شؤون فلسطينية** (العدد ٤، ١٩٧١) ص ١٥١ .

٤٣ — ياسين ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٩ .

٤٤ — تقتضي الاشارة الى ان اول من كتب حول هذا ، بحدود علم المؤلف ، هو الحفيظ محارب ، « الهجرة الى اسرائيل » ، **المصدر السابق** ، ص ٦٧ .

دور الدستور اللبناني في تفجير الحرب الاهلية اللبنانية

الدكتور خيرات البيضاوي

لا جدال في كثرة العوامل والاسباب التي اسهمت في تفجير الحرب الاهلية اللبنانية ، وتشابك خيوطها الداخلية وتقاطعها مع « لعبة الامم » من جهة ، وتجييرها لصالح حسم الصراع العربي ـ الاسرائيلي كما تريد وتشتهي الولايات المتحدة وربيبتها اسرائيل ، من جهة ثانية . الا ان تمحور المطالب الوطنية «الاسلامية » طوال ليالي الازمة ـ المحنة حول الاصلاحات الدستورية ، وتحديد صلاحيات الرئاستين التنفيذيتين وخصوصا الاولى منهما ، قد اضفيا طابعا مهما على دور الدستور اللبناني في تفجير الاوضاع الداخلية ، وكيفية ولادته وممارسته والشوائب والنقائص التي علقت به منذ رؤيته النور بعملية « قيصرية » عام ١٩٢٦ على ايدي الانتداب الفرنسي . من هنا الاهمية البالغة التي علقتها الحركة الوطنية اللبنانية على تعديل الدستور اللبناني لتقويم ما أعوج من ممارسة مواده والخروج من حال « انعدام الوزن » الذي كانت تدور في فراغه البرلمانية الديمقراطية اللبنانية المتأرجحة بين كفتي الدستور و « الميثاق الوطني » غير المكتوب .

وتنبع تلك الاهمية من هيكلية الاسس التي اعتمدها الجنرال غورو في اعلان جمهورية « لبنان الكبير » في الاول من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٠ من جهة ، والسيد هنري دوجوفنيل في اخراج دستور ٢٦ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٦ ، الى عالم الوجود من جهة اخرى . فبعد مرور خمسين عاما على ولادة الدستور اللبناني ، وثلاثين عاما على « الميثاق الوطني » اختلطت الاوراق ، وجرت مياه كثيرة تحت الاعمدة التي ارتفعت فوقها « طرابيش » و « قبعات » الزعامات السياسية الاقطاعية ، والعشائرية ، والعائلية ، والمالية ، ووجد « اهل النظام » انفسهم وقد لفهم الضباب والظلام من كل جانب ، ولفحت نفوذهم نيران الحرب الاهلية التي حولته الى رماد تذروه الرياح اللاهبة فوق هضاب وجبال وسهول وشواطىء « لبنان الاخضر » ...

ولادة غيـــر طبيعيـــة

تمخضت معاهدة فرساي الموقعة في٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٩ عن ولادة « عصبة الامم » التي تضمنت مادتهـــا الثانية والعشرون التالي نصها الحرفي فرض مبدأ الانتداب على البلاد العربيةالمنفصلة عن الامبراطورية العثمانية :

« ان المستعمرات والاقاليم التـــي قضت نتائج الحرب الاخيرة بخروجهامن سيادة الدول التي كانت تحكمها فيمـــامضى ، تسكنها شعوب لا تستطيع حكم ذاتها بذاتها في الاحوال الشاقة التـــي تسود العالم الحديث ، ينبغي ان يطبق عليها المبدأ القائل ان خير هذه الشعوب وتقدمها هما امانة مقدســـة في عنق المدنية ، وان تدمج في هذا الميثـــاق الضمانات اللازمة لحسن اداء هـــذه الامانة . وان خير طريقة لتطبيق هـــذا المبدأ عمليا هو ان يعهد بتدريب هـــذه الشعوب الى الامم الراقـــية التي تستطيع بفضل مواردها وخبرتهـــا او موقعها الجغرافي ، الاضطلاع بهـــذه المسؤولية على خير وجه ، وان تتولى هذه الامم تدريب هذه الشعوب بصفتهامنتدبة من قبل عصبة الامم.

« ان بعض المجتمعات التابعة سابقاللامبراطورية التركية بلغت مرحلة من التقدم يمكن معها الاعتراف باستقلالهااعترافا مقيدا بشرط قيام دولة منتدبة يعهد اليها تقديم المشورة الاداريـــة والمساعدة لهذه المجتمعات حتى يحين الوقت الذي تستطيع فيه (كل منها) القيام بنفسها منفـــردة بمتطلـــبات الاستقلال . **ويجب ان تكون رغبات هذه المجتمعات قاعدة اساسية في اختيـــار الدولة المنتدبة** » .

ان تعبير «الانتداب» لم يكن اكثر من لفظ سياسي جديد مهذب للاستعمـــار اكتوت بنيرانه الشعوب العربية التي رزحت تحت ممارسته اللا انسانيـــة واللا اخلاقية طوال ربع قرن . فلجنـــة الاستفتاء الاميركية المعروفـــة باسم كينغ ــ كراين والتي ارسلهـــا رئيس الولايات المتحدة الاميركيـــة وودرو ولسون حينذاك الى الشرق العربـــي للتعرف على « رغبات الشعوب العربية في اختيار الدولة المنتدبة » عادت بخفي حنين بعد ان زارت اربعين مدينـــة وقابلت ما لا يحصى من الوفود ، وتلقت حوالي ١٨٠٠ عريضة . ولقد انجـــزت مهمتها بسرعة (١٠ حزيران (يونيو) ــ ٢١ تموز (يوليو) ١٩١٩) ، ورفعـــت تقريرها للرئيس ولسون وهو يتضمن:

١ ــ اصرار المؤتمر الســـوري في١٩١٩ على وحدة سوريا ولبنـــــان وفلسطين ، واستقلالهـــا ، وقبـــول مساعدات اقتصادية وفنية من الولايات المتحدة ، واذا اعتذرت فمن بريطانيا ،ورفض قبول اية مساعدة من فرنسا.

٢ ــ مطالبة سكان « جبل لبنـــان »بالاستقلال ضمن اطار الانتداب الفرنسي بعد ضم : بيروت ، وطرابلس ، وصيداوصور ، والبقاع والاقضية الاربعة : (حاصبيا ، راشيا ، بعلبك ، والمعلقة).

الا ان ما لم يكن يعرفه الرئيس ولسون حينذاك هو توقيع اتفاق سايكس ـ بيكو السري في ٩ ايار (مايو) ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا حول اقتسام البلاد العربية المشرقية المنفصلة عن السلطنة العثمانية . من هنا خيبة امل ولسون وعدم اشتراك اميركا في عضوية «عصبة الامم» وعودتها الى سياسة العزلة ، وترك الميدان خاليا لكل من لندن وباريس لتنفيذ مشاريعهما الاستعمارية في البلاد العربية . ولقد اقرت « عصبة الامم » الصيغة النهائية لانتداب بريطانيا على العراق وفلسطين من جهة وفرنسا على سوريا ولبنان من جهة ثانية في التاسع والعشرين من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٣ ، وعلى « وجوب وضع قانون اساسي للعراق وسوريا ولبنان في غضون ثلاث سنوات من بدء تنفيذ الانتداب ، وعرضه على العصبة للمصادقة عليه » . الا ان الممارسة العملية « الانتدابية » كانت توأم الاستعمار بوجهه البغيض . فانفجر الوضع ضد فرنسا في سوريا في تموز (يونيو) عام ١٩٢٥ ، وامتد الى بعض مناطق لبنان الجنوبي وطرابلس وعكار . وخشيت فرنسا امتداد لهيب الثورة الى بقية المناطق فعمدت الى التلويح للبنانيين بوضع دستور للبلاد ينسجم مع قرار « عصبة الامم » التي وافقت فيه على الانتداب الفرنسي والمفروض انجازه في مدى ثلاثة اعوام .

لقد كانت الثورة السورية العامل الحاسم في تعجيل فرنسا في وضع الدستور اللبناني لتبرهن للسوريين بان رفع السلاح بوجه الدولة المنتدبة لا يوصل الى الاستقلال ، بل على العكس يقفل ابوابه ويوصدها في وجه الوطنيين . ولكي تقرن الحكومة الفرنسية القول بالفعل الفت لجنة نيابية « فرنسية » برئاسة « بول بونكور » للنظر في المشروع الدستوري الذي كان المفوض السامي الفرنسي حينذاك الجنرال ساراي قد ارسله اليها للموافقة عليه . ولكن الحفاظ على ورقة توت المظاهر ، اجبر اللجنة النيابية الفرنسية على الاعتراف بان « اقرار الدستور اللبناني يجب أن يتم في المجلس النيابي اللبناني ، وان مهمة الدولة المنتدبة تنحصر في الاشراف على سير الدروس الدستورية ومناقشات مجلس النواب مشروع الدستور .. وفي العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ابلغ الجنرال ساراي مجلس النواب اللبناني قرار الحكومة الفرنسية ، « فانتخب مجلس النواب لجنة ثلاثية عهد اليها بوضع مشروع للدستور اللبناني بالاتفاق مع المفوض السامي وتحت رقابته . وبعد أن وضعت اللجنة الثلاثية مشروعا بالاتفاق مع المفوض ، او بالاحرى ، **وافقت على مشروع الدستور كما وضعه الجنرال ساراي** » (١) ، عاد مجلس النواب فانتخب لجنة ثانية اطلق عليها اسم « لجنة الدستور » ، وكانت على الشكل التالي :

الرئيس : موسى نمور

المقرر : ميشال شيحا .

المستشاران : شارل دباس (اللبناني) والمستشار القانوني للمفوضية العامة الفرنسية : سوشيه .

اعضاء : ميشال شيحا ، شبل دموس ، عمر الداعوق ، يوسف سالم ،

جورج زوين ، بترو طراد ، روكز ابـــوناضر ، صبحي حيدر ، يوسف الزين، جورج تابت ، عبود عبد الرزاق .

وكل ما قامت به تلك اللجنة هـــوتوجيه الاسئلة التالية الى رؤســـاء الطوائف الدينية ، وكبار الموظفيـــن ،وبعض وجهاء السياسة :

١ ــ ما هو شكل الحكومة : ملكيةدستورية ام جمهورية ؟
٢ ــ هل يجب ان يتألفالبرلمان منمجلس او مجلسين ؟
٣ ــ هل تكون الوزارة مسؤولةامامرئيس الدولة ام امام البرلمان ؟
٤ ــ ما هو الافضل : المسؤولـيةالوزارية الفردية ام المسؤولية الوزارية التضامنية ؟
٥ ــ ما هو الافضل : تعيين مجلسالشيوخ ام انتخابهم ؟
٦ ــ هل يجب اخذ الطائفية اساسالتوزيع المقاعد في البرلمان ؟

ولم يتعد ذلك الاستفتاء النطاق الذيرسمته له الدولة المنتدبة ، فكانـــت « الاجوبة التي وردت الى اللجنة قليلةجدا » . ووافق المجلس التمثيلي فـي جلسة علنية عقدها في ١٩ ايار (مايو)١٩٢٦ علىمشروع الدستور ، وفي ٢٢ من الشهر ذاته تحول المجلس التمثيليبقدرة الدولـــة المنتدبـــة الـــى مجلس نيابي « ووافق المفوضالساميعلى الدستور الجديد » ونشره في اليوم التالي : هنا لا بد من تسجيل ما جـــاءفي مذكرات رئيس الجمهورية اللبنانية السابق الشيخ بشارة الخوري ، حول انتخاب المجلس التمثيلي الاول (١٩٢٢ ــ١٩٢٥) (٢) :

« وتم انتخاب المجلس بتدخل سافرمن السلطة الفرنسية كما جرى فـــي بيروت » .

اما عن انتخابات المجلس النيابـــيالذي انقلب بقدرة الدولة المنتدبة الـــى جمعية تأسيسية ثم عاد سيرته الاولىمجلسا نيابيا بعد اعلان الدستور(١٩٢٥ ــ ١٩٢٩) فيقول ايضا : (٣)

« كان المسيو ديمـــــون (منـــدوبالمفوض السامي) يعـــــد القوائـــــم الانتخابية للمرشحين المحظوظيـــــن .

وسفر عن تدخل السلطة الفرنسية فيهذا الاستفتاء الشعبي سفورا مفضوحا ونجحت لوائحها في جميع المناطق عـــدامحافظة بيروت ».

فكيف يمكن ان تـــكـــون الـــولادةالدستورية طبيعيـــــة ، والممارسة البرلمانية سليمة في ظل حراب الانتداب،والتدخل السافر من قبل سلطة اجنبية في انتخاب الممثلين الشرعيين الذيـــنيتحملون مسؤولية وضع القانـــــون الاساسي للبلاد ؟

الممارســـــة العرجـــاء

لقد نص الدستور اللبناني المستوحىمن دستور الجمهورية الفرنسية الثالثة (١٨٧٥) على عدم مسؤولية رئيـــس الجمهورية الا عند خرقه الدستور او في حال الخيانة العظمى (المـادة ٦٠) ،و « مقررات رئيس الجمهورية يجـب ان يشترك معه في التوقـــيع عليهاالوزير او الوزراء المختصون ما خـلا تولية الوزراء واقالتهم قانونا » (المادة٥٤) .

فمسؤولية رئيس الجمهورية محدودةبحالتين اثنتين فقط ، واما مسؤولية الوزراء فغير محدودة . فكيف يتحمـل المسؤولية من لا يمارسها ؟ وكيف ينجو من عواقبها من يقررها ؟

ان مونتسكيو في كتابـــه « روح الشرائع » لم يقر مبدأ توزيع السلطات الا حفاظا على الحرية ومنعا للاستبدادوالطغيان . ولكن مبدأ توزيع السلطات يختلف اختلافا بينا تبعا لنوع نظام الحكموشكل الدستور في كل بلد . ففي نظام تسلط التشريعية كسويسرا مثلا ، تعتبرالسلطة التشريعية المنتخبة من قبـــل الشعب وحدها ممثلة للسيادة الشعبية،وجمعية مجلسي التشريع الاتحاديينهي التي تعين مجلس الاتحاد المؤلف مـــن سبعة اعضاء لمدة اربع سنوات . هؤلاء الاعضاء يقومون باعبـــــاء الوزراءوينتخبون من بينهم كل سنة رئيســـــا للاتحاد السويسري . ولقد اتبعـــت فرنسا هذه الطريقة في دستور عامـــي ١٧٩٢ و ١٨٤٨ . اما مبدأ توزيـــع السلطات بصورة مطلقةفهو متبـــع في النظام الرئاسي . ففي الدستـــــورالاميركي مثلا ، توزع السلطات بصورة حاسمة بين حكومة الولايات ، ومن ثمتتوزع في كل من هذه الحكومـــات بين فئات ثلاث : التشريعية والقضائيـــــةوالتنفيذية . والسلطة التشريعية تتركز بالكونغرس المؤلـــف مـــــن مجلسي الشيوخ والنواب . فالوزراء لا يحق لهم ان يكونوا اعضاء في اي منهـــــما ولايمكنهم ان يحضروا مناقشاتهمـــا . ولا يجوز لرئيس الجمهورية حق اقتراح اي قانون الا قانون الموازنة (منـــذ عام ١٩١١) . اما السلطـــــة التنفيـــذيةفمستقلة تماما عن السلطة التشريعية. ويرأسها رئيس الجمهورية المنتخب من الشعب . وهو الذي يعـــين الوزراء ويقيلـــهم وهـــم مسؤولون امامـــهفقط لا امام الكونغرس . وتأتي اخيرا السلطة القضائية وهي مستقلة تمامـــاعن شقيقتيها . وهي حامية الدستور، اذ باستطاعتها رفض تطبيق كل قانونيخالف نصوص الدستور ، ولقد حصل ذلك مرارا في التاريخ الاميركي .

ولا يخطرن ببال احـــد ان تلـك السلطات الثلاث في النظام الرئاســي الاميركي لا تتلاقى ابدا ، بل هي تتحرك باتجاه متناسق متناغم لا يسمع فيـــه صوت نشاز الا نادرا . فالكونغرس مثلا يعين لجانا دائمة تمثل حلقة الاتصال مع الوزراء . ومجلس الشيوخ هو الـــذي يوافق على تعيين السفراء وقضـــاة المحكمة العليا وكبار موظفي الدولة .ومن الضروري موافقة ثلثي اعضائه على المعاهدات لكي تصبح نافذة المفعول. وليس الرئيس الاميركي « القيصر » الحاكم بامره كما يتخيله البعـــض .فالكونغرس يراقبه ليل نهار . ولقـــد صفع عهد نيكسون في شهوره الاولى صفعة مدوية على اثر رفضه تعيين

اسمين متوالين رشحهما حينذاك لعضوية المحكمة العليا . ثم اطاح به هو نفسه واضطره الى الاستقالة على اثر انفجار فضيحة ووترغيت.

اما في النظام البرلماني فهناك مايسمى « توازن السلطات » اي ان السلطات الثلاث تتوزع بصورة مرنة وتتداخل وتتشابك ولكن دون ان تطغى احداها على الاخرى . وواسطة العقد فيما بينهما هي مجلس الوزارة لا مجلس الوزراء . فمجلس الوزارة يعاون رئيس الدولة في ممارسة السلطة التنفيذية الفعلية ، من جهة ، ويقترح مشاريع القوانين بالاشتراك مع السلطة التشريعية ، من جهة اخرى ، وهو لايستطيع البقاء في الحكم الا اذا ظل حائزا على ثقة اعضاء المجلس النيابي فاذا ما خذله المجلس قدم اعضاؤه استقالتهم لرئيس الجمهورية وانصرفوا الى بيوتهم.

ولقد اعطى الدستور اللبناني صلاحيات واسعة للوزراء اذ ان المادة (٦٤) منه تنص على ما يلي : « يتولى الوزراء ادارة مصالح الدولة ويناط بهم تطبيق الانظمة والقوانين كل بما يتعلق بالامور العائدة الى ادارته وبما خص به » .

والمادة (٦٦) تقول :«يتحمل الوزراء اجماليا تجاه المجلس تبعة سياسة الحكومة العامة ويتحملون افراديا تبعة افعالهم الشخصية ويعد بيان خطة الحكومة ويعرض على المجلس بواسطة رئيس الوزراء او وزير يقوم مقامه ».

هناك اذن معادلة دستورية متوازنة تومىء الى ان رئيس الجمهورية لا يحكم الا بواسطة الوزارة الحائزة على ثقة المجلس النيابي . فالوزراء في النهاية مسؤولون امام النواب وليس امام الرئيس الاول . وحتى التهديد بحل المجلس النيابي لا يمكن دستوريا لرئيس الجمهورية ان يقدم عليه الا اذا كان قرارا **معللا وبموافقة مجلس الوزراء** :وتقول المادة (٥٥) : « يحق لرئيس الجمهورية ان يتخذ قرارا معللا بموافقة مجلس الوزراء بحل مجلس النواب قبل انتهاء عهد النيابة وفي هذه الحال تجتمع الهيئات وفقاً لاحكام المادة ٢٥ ويدعى المجلس الجديد للاجتماع في خلال الايام الخمسة عشر التي تلي اعلان نتائج الانتخاب » (٤) .

ان التلويح « بفزيعة » حل مجلس النواب كلما ظهرت بوادر حجب الثقة عن حكومة يؤلفها رئيس الجمهورية ،لهي بدعة لبنانية تخالف روح النص الدستوري ، وتبطل مفعول رقابة ممثلي الشعب على السلطة التنفيذية . فالنظام الرئاسي شيء والنظام البرلماني اللبناني شيء اخر . ولا يعقل ان تتمتع الرئاسة الاولى بصلاحيات النظامين معا . فاما رئيس منتخب من الشعب يعين الوزراء ويقيلهم ويتحمل نتائج اعمالهم امام نواب الشعب ، واما رئيس برلماني يترك اللعبة البرلمانية تأخذ مجراها الطبيعي وتصل الى اخر الشوط . والرئيس اللبناني حسب نص وروح الدستور اللبناني هو حكم وليس حاكما .

وقصة الحكم في لبنان بعد الاستقلال هي في ملخصها صراع علني وخفي حول كيفية استعمال صلاحيات الرئاسة الاولى مع المحافظة على ميزان الطائفية والعائلية الاقطاعية ، والاحتكارية ومايتفرع منها من تداخلات اقليمية محلية وخارجية . يضاف الى ذلك كله ان الحكم فن ، والسياسة فن الممكن ، وان « الاسلوب هو الشخص » كما يقول المثل الفرنسي اي ان الشخصية وخصوصا في الحكم وفي الادب والفن لا تظهر الا من خلال الاسلوب الذي تستخدمه للوصول الى غاياتها . فالشخصية القوية الحادة القاطعة كالسيف تستعمل اسلوبا يختلف عن الشخصية الناعمة المرنة الزئبقية التي تحافظ على « شعرة معاوية » بينها وبين الاخرين . واذا ما علمنا ان الشخصيات تختلف باختلاف الامزجة والطباع والتربية والثقافة ، فالتصادم فيما بينها وخصوصا في قيادة عربة الحكم في بلد كلبنان ، لا بد واقع لا محالة .

تنازع السلطة وتنافر الشخصيات

ولقد ظهر تصادم الشخصيات اول ما ظهر في عهد الاستقلال بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح . ولم يسفر عن وجهه الا بعد تجديد الرئاسة الاولى لمدة ست سنوات . فالسنوات الاولى « للميثاق الوطني » غير المكتوب مرت سراعا بغير احتكاك حاد لانشغال الرجلين بالامور الخارجية وتحقيق الجلاء وتسلم الصلاحيات من السلطة المنتدبة . وكان هناك شبه اتفاق على اقتسام النفوذ . ولم يكن النفوذ حينذاك الا توزيع الوظائف ومنح رخص الاستيراد وتلزيم المشاريع العمرانية وما شابه . ولم تكن القضايا الاجتماعية والاقتصادية والتخطيط الانمائي ومعضلات الشباب وازمة البطالة قد بدأت تطرق ابواب البيت اللبناني . ولكن بعد الاجلاء والتجديد ، وجد الرئيسان الصديقان نفسيهما في موقف مختلف : فالشيخ بشارة قد كسب معركة التجديد بواسطة مجلس ٢٥ ايار (مايو) ١٩٤٧ الذي انتخبته وزارة رياض الصلح ، ووجد هذا الاخير نفسه في مواجهة شبه مكشوفة مع « السلطان سليم » شقيق الرئيس الخوري والخواجه هنري فرعون ، والنسيب ميشال شيحا ، عدا اهتزاز قاعدته الاسلامية ، وبالتالي كرسي رئاسة الوزارة التي كان يجلس عليها .

ماذا حدث يومها؟ يقول الشيخ بشارة الخوري في مذكراته ما يلي : (٥) : «ومن دواهي الدهر في تلك الفترة ان ظهر « رياضيون » اكثر من رياض ، و « خوريون» اكثر من الخوري ، وهؤلاء اولئك هم الآفة » . ويتابع الشيخ بشارة قائلا : «اقتربت الانتخابات ودخل الناس مرحلة التحضير لها ، وكان قد مضى على رياض الصلح اربع سنوات وهو رئيس للوزارات المتتابعة ، فاتفقت معه ان يتخلى عن الرئاسة برضاه وان يفسح المجال لتأليف حكومة ادارية بحت تؤمن الحياد في الاستفتاء المقبل . وهذا الحديث بيننا يرجع الى ما يزيد على السنة ، وقد حرصت فيه على ان يطمئن صديقي رياض الى المستقبل والي حبي له . ناهيك بخدماته الوطنية ، ولباقته ، وسداد رأيه ومواهبه الجمة ، ولكن هناك عوامل سيكولوجية وسياسية تضطرنا الظروف الى مراعاتها .

فاتفقت اذن وصديقي على ان تأتـــي وزارة حيادية للانتخابات يرئسها الحاج حسين العويني . ثم يخلفه بعدها كل من عبد الله اليافي فصائـــب سلام فسواهما على التتابع ، ليأخذ كل سني كفوء قسطه من تحمل المسؤوليات ثـم يعود رياض الى الحكم فاختم رئاستي كما افتتحتها برفقته . اتفقنا علـى هذا قبل سنة ، ولماحان اجل التنفيذ «غص» الرفيق وعز عليه ان يغادر الحكم ويبقى بعيدا عنه اثناء الانتخابات وبعدها .فشعرت بتردده فراعيت جانبه وعالجت الامر بالتأني . فكان اجتماع اول بيني وبينه واجتماع ثان حضره حبيب ابـو شهلا ، واجتماع ثالث حضره حبيب ابو شهلا وصبري حماده واحمد الاسعد ، حتى اسفرت تلك الاجتماعات عن قبول رياض الصلح برغبتي ووعدني بان يقدم استقالة وزارته في مطلع العام الجديد على ان يعين موعد الاستقالـة فيمـا بعد » . (٦)

ومن الواضح ان رياض الصلح كان قد ثبت «مركز قوة» له في الشارع الاسلامي البيروتي على الرغم من « حرتـقات » السلطان سليم . الا ان نقطة الضعف عنده كانت مجلس النواب . فأعضاؤه لا يتلقون الوحي الا من عل ، خوفا على كراسيهم النيابيـــة ، والمرشحـون والطامعون برئاسة الوزارة من السنيين كثيرون . فهم حاضرون لتأليف اية وزارة دون قيد او شرط . وعلى الرغم من كل قوة شخصية رياض وشعبيته الا انه لم يستطع مقارعة الشـيـخ بشارة بسلاحه . فجرب تحريـــك الشارع الاسلامي واللبناني يوما ولكنه لم ينجح تماما . فطرابلس معـــقودة اللواء لسماحة الافندي ، وكانت بينه وبيـن رياض أكثر مما فعل الحداد . وصيـدا ليست ذات ثقل سياسي . فاسقط في يده اخيرا ، وحاول وصل ما انقطـع مع الشيخ بشارة بواسطة الزعيم الاول فؤاد شهاب .

« وفي الثالث عشر من تموز زارنـي الزعيم الاول فؤاد شهاب قائد الجيش، واسر الي بان رياض الصلـــح قابله وشكا اليه سوء حظه بعد انتخابـات نيسان المنصرم ، وابعاده عن الحكم ، وان صدره قد ضاق ، وعيل صبره ، وانه اضطر للمعارضة » . (٧)

لا يختلف اثنان ان ريـــاض الصلح وخير الدين الاحدب كانا ابرز وجـوه السنة في مقاعد الحكم في ايامهما الا انهما عجزا عن خلق « مركز قوة » لرئاسة الوزارة وهـــو حـــق دســتوري لها وليس افتئاتا على صلاحيات رئيس الجمهورية . ولطالما صرح بيار الجميل قائلا : ان مسؤولية « خصمـــي » صلاحيات رئاسة الوزارة تعود الـى رؤساء الوزراء انفسهم ، فلمـــاذا لا يمارسوا صلاحياتهم الدستورية ويقفوا بوجه الاعتداء على صلاحياتهم ؟ لقـد حظر الدستور على رئيس الجمهورية توقيع أي مرسوم الا اذا اقترن بتوقيع الوزير المسؤول : فلماذا يوقع الوزيـــر اذا لم يكن مقتنعا ، ولماذا لا يرفض ؟

الرفض هنا سهل قولا ، ولكنه يكاد يستحيل عمليا . فحق الرئيس الاول بتعيين الوزراء واقالتهم يجعل من الصعب على الوزير ان لا يكون على انسجام تام مع رئيس الجمهورية . وما ينطبق على الوزير ينطبق على رئيس الـوزراء . ومرد ذلك الى فقدان رئيـس الوزارة للقاعدة النيابية التي تشد ازره وتسنده

في المواقف الصعبة . فهو اذا لم ينسجم مع مقام الرئاسة الاولى فقد مركزه ، وقدمه بسهولة للسنيين المقيدين على « لائحة الانتظار » .

ولكن لكل لعبة حدودا واصولا ، فاذا ما تجاوزها اللاعب الماهر انقلب السحر على الساحر . فخلاف رياض الصلح - بشارة الخوري ، وما ترك من ترسبات نفسية على الصعيد الشعبي ، قد مهد لتمرد سامي الصلح على العهد الخوري ، واضطر بقية الزعماء السنة لحذو حذوه والامتناع عن التعاون معه ، فسقط ذلك السقوط المريع ، وتكررت اللعبة مع شمعون والرؤساء السنة ، فتمسك رب قصر السعديات بسامي الصلح وجعله « مكسر عصا » الحكم ، حلق الزعماء السنة ايضا حول المعارضة وانهى عهده بالشكل المعروف .

ولما انتخب الامير فؤاد شهاب للرئاسة في عام ١٩٥٨ ، تغير كل شيء تقريبا في العلاقات بين الرئاستين وظهرت هوة سحيقة بين الرئيسين الاول والثالث . فالرئيس شهاب انضباطي يلزم نفسه بحرفية النصوص ويتجاوز ما يسمى بالاعيب الساسة والسياسيين نظرا لتربيته العسكرية الصارمة . ولكن كل ذلك لا يمنع ان له شخصيته الهادئة المنطوية على نفسها ، البعيدة الاغوار السحيقة القرار . ولقد اصطدم بشخصية سلام وانسجم مع عقلية كرامي . فالرئيس كرامي بارد الاعصاب ، يخطط للبعيد وبسرية كالعسكر . اما الرئيس سلام فمعروف « بتوفز » الاعصاب والنرفزة والانفعال والصراحة والتأثر بالمظهر والشكليات واخذه بعكس ما يقول المثل: « لا تكن قاسيا فتكسر ، ولينا فتعصر » . وكان ما كان مما لا يزال طريئا في جميع الاذهان من تربع رشيد افندي على سدة الرئاسة الثالثة طيلة ايام حكم الامير الشهابي وخليفته الحلو تقريبا ، وابعاد « ابو تمام » عن السراي الكبير طوال تلك المدة .

ونظرا لمجيء رجل عسكري لرئاسة الجمهورية وللمرة الاولى في تاريخ لبنان السياسي ، فلقد اختط لنفسه اسلوبا جديدا في العمل داخل الرئاسة ، فنقل مقر الرئاسة ولاول مرة ايضا من بيروت - العاصمة الى صربا ، وترك مهمة اعادة تنظيم الادارة اللبنانية « للانتدان لاي » ، ووسع دوائر القصر الجمهوري توسيعا كبيرا ، فأنشأ مركز المستشار القانوني وعهد به الى السيد الياس سركيس للتدقيق في شرعية المراسيم وانطباقها على القوانين ، واستحدث مركزا فنيا للاشراف على مشاريع الطرق والكهرباء والمياه حتى لا تبقى موازنة الاشغال العامة منحصرة في محافظة جبل لبنان بل تتوزع خيراتها على بقية المناطق اللبنانية المحرومة .

ولقد انطلق الرئيس شهاب في نظرته الى الحكم من شعار : « لكل قرية لبنانية طريق ومدرسة وعامود كهرباء وقسطل مياه وسلك هاتف » . وترك السياسة ، التي يعتبرها شرا لا بد منه للساسة التقليديين ، على ان يكبح جماح الاعيبهم عند الحاجة « الشباب » و « الاخوان » ولقد اخطأ الرئيس شهاب هنا كما اخطأ يوما « تورغو » وزير مال لويس السادس عشر الذي كان قد رفع شعار : « تخفيض الضرائب العينية لابعاد الناس عن الاهتمام بالسياسة » .

فالاثنان اعتبرا الانسان حيوان ـ بيولوجيا ـ اقتصاديا فقط ، ونسيا بأن « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » فبعد « تورغو » اشتعلت الثورة الفرنسية ، وبعد شهاب ، انفجرت « ثورة الوسط » لاسباب مختلفة متباينة لا رابط بينهما . ولقد اعتبر شهاب ان تنمية المناطق المحرومة والمتخلفة تحقق عملية « اللبننة » وتصهر جميع اللبنانيين في بوتقة « القومية » اللبنانية وتمنع الانظار من الاتجاه الى خارج الحدود . لربما كانت تلك النظرة للواقع اللبناني صحيحة على المدى القصير . ولكن تجاوزات « الشباب » و « الاخوان » واستمرارهم للعبة السياسية الشيطانية قد اطفح الكأس وقدم الحكم للوسط مع دعم شعبي قوي .

اما عهد الحلو فكان بمثابة الجسر بين عهد شهاب وعهد الوسط . ولقد طبعت شخصية الرئيس حلو اللعبة بينه وبين « الشباب » و « الاخوان » بطابع خاص ، وكان من اوله الى اخره مطاردة بين الرئيس الذي يحاول القبض على صلاحياته كاملة ، وبين « الاخوان » و « الشباب » الذين يحاولون متابعة لعبة « النهج » الشهابي . واستمرت المطاردة ست سنوات كاملة كانت ملأى بالافخاخ المنصوبة ، والشراك الملغومة .

الطائفية والدستور

لقد ترك العهد الشهابي ـ الحلوي ارثا ضخما متشابكا : فالى جانب الجهاز القانوني والفني وعادة جلسات العمل مع ممثلي مختلف الوزارات (وهي جلسات من المفروض ان تتم في رئاسة الوزارة) ورث سليمان فرنجية ايضا مبدأ المناصفة في الحكم اي حكم المادة ٦ و ٦ مكرر وهو المبدأ الذي طبقه العهد الشهابي عمليا ولا يزال ساري المفعول باستثناء بعض الوظائف الكبرى التي بقيت احتكارا لاحدى طوائف العائلة اللبنانية اي المارونية . ولم ينص الدستور اللبناني على التوزيع الطائفي للوظائف والوزارات والرئاسات ، ولكن المادة (٩٥) منه تنص على ما يلي : « بصورة مؤقتة والتماسا للعدل والوفاق ، تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون ان يؤول ذلك الى الضرار بمصلحة الدولة » .

لقد ظل نص تلك المادة حتى اخر عهد شمعون يعني المشاركة الى ان تبدل مفهومه في عهد شهاب فاصبح يعني المناصفة على صعيد الوظائف العامة باستثناء مراكز : رئاسة الجمهورية ، رئاسة الجيش ، مديرية الامن العام ، رئاسة مجلس الشورى ، رئاسة الجمارك ، رئاسة مجلس القضاء الاعلى ، مديرية الخارجية ، مديرية الاحوال الشخصية ، حاكمية المصرف المركزي وغيرها .

وكذلك لم يذكر الدستور اللبناني شيئا عن القوات المسلحة ، ووزارة الدفاع واعلان الحرب وتسمية القائد الاعلى للجيش لسبب بسيط لانه وضع في ايام الانتداب حين كانت كل تلك الصلاحيات بيد الدولة المنتدبة . فلما عدل الدستور في عام ١٩٤٣ ، لم يفكر احد في القوات المسلحة ، ووزارة الدفاع ، واعلان الحرب والقائد الاعلى للجيش ، فبقيت كلها غائبة عن الدستور وتخضع مثل غيرها للقوانين العادية فوزارة الدفاع مثلا مثل غيرها من

Duverger, Maurice : Droit Constitutionnel et Institutions Politiques, Presses Universitaires de France, Paris, 1955.

Godchot. J. E. : Les Constitutions du Proche et du Moyen — Orient, Sirey, 1957.

Laski, Harold : Democracy in Crisis, G. Allen and Unwin, London, 1933.

Montesqieu : L'Esprit des Lois, Hachette, Paris, 1970.

Pickles, Dorothy : The Fifth French Republic, Methuen and Co. London, 1962.

Rabbat, Edmond : Unite Syrienne et Devenir Arabe, Paris, 1937.

Sabin, George : A History of Political Theory, Holt and Co., New — York, 1958.

Sibert, Marcel : La Canstitution de la France du 4 Septembre 1870 9 Aout 1944, Padone, Paris, 1946.

Vedel, Georges : Manuel elementaire de Droit Constitutionnel, Paris, 1949.

الاصول البرلمانية في لبنان والبلاد العربية، تأليف انور الخطيب ، ص ٣٥ ٠

بشارة خليل الخوري : حقائق لبنانية ، ١٩٦٠ ، ص ١١٦ ٠

المصدر السابق ، ص ١٣٠ ٠

وهو يجتمع برئاسة رئيس الوزارة ، اما مجلس رئاسة الوزارة فيجتمع برئاسة رئيس الجمهورية .

بشارة خليل الخوري : حقائق لبنانية ، الجزء الثالث ، ص ٣١١ ٠

المصدر السابق ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ٠

المصدر السابق ، ص ٣٩١ ٠

فلسفة الميثاق الوطني اللبناني
تأجيل للدخول في مرحلة الوطن

مروان ناصر

اذا كان من الواضح تماما ان المشروع الاميركي المطروح لتسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي تسوية « نهائية » (قبل تغير اتجاه الرياح العربية المؤاتية حاليا لهذا المشروع) هو الاطار العام الذي تتحرك فيداخله الازمة اللبنانية الحالية ، فان لهذه الازمة خصوصيات واضحة ضمن هذا الاطار العام ،تتحدد بعدة عوامل ، منها ما اصبح يمثله لبنان بالنسبة للمقاومة الفلسطينية منموقع جغرافياخير في الجوار العربي المحيط باسرائيل ، ومنها التجاور الجغرافي بين لبنان وسوريا ، احد ابرز الاطراف المعنية مباشرة بمشروع التسوية المطروح ، ومنها خصوصية الوضع اللبناني بتركيبته الطائفية · فقد بقيت هذه التركيبة، منذ بداية نصف القرن الاخير في عمر الامبراطورية العثمانية ، تحاول الوصول الى صيغة للكيان الوطني اللبناني مبنية على التعدد الطائفي ، وقد كانت أخرها صيغة الميثاق الوطني التي بنيت على اساسها اول دولة مستقلة في لبنان المعاصر ·

وهذه الصبغة الاخيرة للعلاقة بين العناصر الطائفية للكيان اللبناني ، نمت تحت الانتداب الفرنسي ، وكان يتوقع لها مهندسوها وفلاسفتها ، ان تكون الحلقة الاخيرة في سلسلة الصيغ المتعددة للتركيب الطائفي للمجتمع اللبناني ، وان تكون بالتالي المدخل للانتقال بلبنان الى مرحلة الوطن ذي النسيج الاجتماعي الموحد والمتماسك ، فتصبح الخلفية التعددية في تركيبه الطائفي عامل اثراء بشري ، لا عامل تفجير كامن ، يلتهب في كل مرة يصل فيها الوطن الى مفترق طرق امام قضية مصيرية من قضاياه ·

لقد عرف الكيان الوطني لعدة بلدان الاهتزازات العنيفة التي عصفت بوحدة الوطن ، بل وجزأتها ، بفعل الصراعات الطائفية (كالهند) ولكن الصيغة الوطنية اللبنانية كانت من بين هذه المجموعة ، الاكثر تعرضا لاعادة النظر فيها ، والتهديد بنسفها (خاصة من قبل الطرف الانعزالي)· بل ان هذه الصيغة قد كشفت عن هشاشتها حتى في مرحلة تكونها الجنيني تحت الانتداب الفرنسي ، عندما وصل حد الاهتزاز بالصيغة الوطنية الموحدة (المبنية على التعايش الطائفي) الى حد التخوف من استقلال الوطن ، بل والعمل الايجابي المباشر ضد استقلال الوطن ، لدرجة ان فئات سياسية كبيرة في لبنان كانت تبني خطط تحركها السياسي على اساس بقاء الانتداب ، حتى فاق حماسها لبقاء الانتداب ـ في اواخر ايامه ـ حماس دولة الانتداب نفسه ،التي كانت سياستها في لبنان تقررها عوامل ذاتية ودولية تتجاوز الرقعة الجغرافية اللبنانية ·

من هنا تكتسب هذه الخصوصية في الوضع اللبناني (خصوصية الخلفية الطائفية للكيان الوطني) اهمية خاصة في فهم وتحليل اسباب ومسار الازمة اللبنانية الحالية ، بحيث ان بالامكان القول بغير

على تعصب طائفي ذميم ، مستترة بالوصاية الاجنبية لتحقيق اهداف خاصة · وليس هناك من غيرة على الدين ولا من يحزنون · فلا عجب والحالة هذه من الموقف الذي وقفه العهد الجديد من مطلب الدستوريين ، في حين كانت السلطة الفرنسية في ذلك الظرف بينه اكثر اعتدالا » ·

ثم يروي في الصفحة ٢٠٣ من المجلد الاول بعض تفاصيل المفاوضات مع الفرنسيين لتوقيع المعاهدة الفرنسية اللبنانية (سنة ١٩٣٧) التي اشترك فيها كل من اميل اده كرئيس للجمهورية ، وبشارة الخوري كرئيس للوفد البرلماني :

« دامت المفاوضات شهرا كاملا تحملت فيه اكبر مشقة في المناقشة بين الوفدين · وكنت اخلص النصح للرئيس اميل اده لافتا نظره الى كل نقص في النصوص ، وهو يتشبث بان تكون المعاهدة دائمة كأنه ملكي اكثر من الملك ، فرفضنا نظريته ، ورفضها معنا المفوض السامي ، وحددنا اجلها بخمس وعشرين سنة · واراد ان يتساهل في مدى استعمال اللغة العربية في الدوائر فعارضته، وصار تبادل رسائل يضمن مقام لغتنا الوطنية ، مما اثار استياء الغلاة من الفرنسيين واللبنانيين » ·

بين الاستقلال والانتداب

اذا كانت هذه المشاهد القصيرة المقتضبة تعطي صورة عن العهد الذي كان فيه الانتداب في عز سطوته ، يعين النواب ورؤساء الجمهورية ، ويغري ضعاف النفوس على توسل المناصب من سلطته ،فان الصور الاكثر بلاغة في التعبير عن اهتزاز صورة المجتمع السياسي اللبناني ذي الخلفية التعددية الطائفية ، هي تلك الصور التي يقدم لنا بشارة الخوري بعضا منها عن الفترة التي تعايش فيها الانتداب مع الاستقلال (اذا صح التعبير) اي الفترة الواقعة بين اواخر ١٩٤٣ (سنة اعلان الاستقلال الدستوري والسياسي) واواخر ١٩٤٦ (سنة الجلاء العسكري التام لقوات الانتداب الفرنسي) ·

فمع ان دولة الاستقلال كانت قد اخذت شكلها السياسي والدستوري ـ على الاقل ـ فأن هذا الشكل بقي مهتزا ابلغ الاهتزاز في كثير من القطاعات الطائفية اللبنانية . التي بقيت على امل انتصار السلطة الانتدابية على السلطة الاستقلالية الوليدة ·

في الصفحة ٨٦ من المجلد الثاني ، يروي الشيخ بشارة ما اثاره نجاح يوسف كرم في الانتخابات النيابية ، وهو حفيد يوسف كرم ابن زغرتا واهدن الذي قاتل الاتراك في القرن التاسع عشر ، ونسجت حوله اساطير من العواطف الدينية ، كالقول بان السيدة العذراء كانت تظهر دائما فوق رأسه وهو يقاتل (جثمانه ما زال حتى اليوم محنطا في احدى كنائس اهدن ، كما ينتصب تمثاله في باحة الكنيسة نفسها) · يقول بشارة الخوري :

« وما ان عرفت نتيجة الانتخابات في الشمال حتى اندفع خصوم العهد يبشرون بهذا الفوز ،صابغينه بصبغة سياسية زائفة، كأنه فوز للسياسة الاستعمارية على السياسة اللبنانية ! واندفعت الابواق التي تتلبس بالمسيحية ، تبشر بالقيامة ، وتستعد لدخول كرم المجلس بتظاهرات شعبية ·ومما اذاعته الابواق المعلومة ان ابن كرم ، حفيد يوسف بك ، سيصل الى بيروت ممتطيا جوادا ادهم بلباس جده اللبناني·واستفادت بعض الدوائر التابعة للادارات الفرنسية ، والمؤلفة خصوصا من لبنانيين ، لبث الدعاية ودفع المال وتوزيع الاسلحة ، حتى تبدأ التظاهرة ساعة وصول يوسف كرم الى بيروت ، تنقلب الى شغب ، ومنها الى ثورة دموية تجتاح العهد ، وتريح الدولة المنتدبة من هيكل الحكومة الجديدة ،

فينتعش الانتداب المحتضر · »

وفي نفس الصفحة يتابع الشيخ بشارة قصة يوسف كرم ، والجماهير المزاحفة لتأييده ، بين العلم البناني القديم (الذي ما كان سوى العلم الفرنسي تتوسطه ارزة خضراء) والعلم الجديد (العلم الحالي)

« ووزعت قوى الدرك والشرطة على جوانب البرلمان ـ وكان الجيش والامن العام لا يزالان بايدي الفرنسيين ـ وقد دخلت المدينة سيارات متعددة من جسر بيروت ، مع سيارة يوسف كرم ، متجهة نحو ساحة الشهداء حيث ترجل المتظاهرون ، وانضم اليهم أخرون حملوا العلم اللبناني القديم،اي العلم لفرنسي الذي تتوسطه ارزة ، وساروا الى البرلمان واخترقوا الحواجز حتى وصلوا الى ساحته · وحمل أخر العلم الفرنسي محاولا ان يرفعه على باب المجلس ، واراد الجمع ان يقتحم الباب الحديدي ويدخل قوة وقسترا ، فاطلقت قوى الامن النار في الفضاء ، واطلق نعيم مغبغب من المدخل بعض القنابل اليدوية ارهابا فجرح ،وتفرقت الجموع مع علمها القديم ، وقيل ان الفرقة السنغالية المرابطة لحراسة دار التلفون الفرنسية اشتركت باطلاق النار من الجهة القبلية على المجلس النيابي · واختلط الحابل بالنابل ،وقطعت اسلاك التلفون حتى انني لم اتمكن من مخابرة المندوب الفرنسي لاطلعه على تصرفات اتباعه ، وفي مقدمتهم مرافقه الخاص البوليس منصور الذي قاد التظاهرة بكل وقاحة · ولحسن الحظ سيطر الدرك اللبناني على الموقف بسرعة فائقة واعتقل بعض المتظاهرين ، ومنهم كاهن اشوري مسلح اطلق الرصاص يمينا وشمالا · »

وبعد أن دخل يوسف كرم المجلس ،وبعد بيان مقتضب لرئيس الوزراء رياض الصلح ندد فيه بـ « الخونة » وقد عقب عليه النائب يوسف كرم ، فادلى ببيان بعد الجلسة قال فيه :

«استغل بعض المشاغبين والخونة مناسبة حضوري الى مجلس النواب ، فحاولوا رفع العلم الفرنسي على باب المجلس ، اصطيادا في الماء العكر ، فجرت حوادث أسف لها كل الاسف ، وانا استنكر هذا العمل كل الاستنكار ، واؤيد بكل قواي وطني العزيز لبنان العربي المستقل » ·

العروبة وفلسطين

على هذه الخلفية الداخلية ، ووسط هذه العواطف السياسية الانعزالية ، يروي بشارة الخوري متاعبه في شق الطريق امام علاقات لبنان العربية ، والصيغة التي اجتهد في ان يصوغ تلك العلاقات بها حتى تمر وسط الالغام الانعزالية ، فقدم لنا في مذكراته الصور والمشاهد التالية :

« عاد وفدنا من الاسكندرية ، وعرضنا الحوادث الداخلية في مصر ، وحوادث البلدان العربية ، ومشاورات الوحدة ، وراجعنا محاضر الجلسات فاعترضت على فقرة واحدة متعلقة بالسياسة الخارجية المفروضة على دول الجامعة·واتفقت ورياض الصلح وسليم تقلا (شقيق فيليب تقلا) على وجوب تعديل النص المذكور بنص اخر لا يقبل لبسا في سياستنا العربية · ذلك انه ورد في احدى فقرات البروتوكول انه لا يجوز لدولة من الدول المتعاقدة ان تتبع سياسة خارجية تضر بسياسة الجامعة العربية او بمصالحها » · (حقائق لبنانية ـ المجلد الثاني ـ صفحة ١١٠) ·

وفي الوقت الذي اعتبرت فيه هذه الفقرة في ضرورة التضامن العربي في ميدان السياسة الدولية مجالا لاذكاء مخاوف الانعزاليين وشبه الانعزاليين على «استقلال» لبنان ، اذا بمفهوم اغرب يرد على لسان رياض الصلح في مجال تطمين اصحاب هذه المخاوف :

« فنحن ايها السادة اينما ذهبنا ، رواد استقلال وتعاون واتحاد ووفاق بين المسيحيين والمسلمين ، ونحن نحمي هذا الاستقلال التام الناجز ونفديه بدمائنا وارواحنا ، ليس فقط ضد الغرب ، بل ضد الشرق ايضا (تصفيق) » · (حقائق لبنانية ـ المجلد الثاني ـ صفحة ١١١) ، مع ملاحظة ان عبارة الشرق ، عندما تستعمل في مخاطبة الخائفين من استقلال لبنان ، لا تعني في القاموس السياسي اللبناني ما تعنيه اليوم (الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ، فهذا المعسكر لم يكن قائما على كل حال في ذلك الوقت المبكر) ولكنها تعني كيانا فضفاضا يضم العرب فيمن يضم، كما يعني تركيا والعالم الاسلامي بشكل عام ·

ويتضح من مذكرات الشيخ بشارة الخوري في المجلد الثاني (١٩٤٣ ـ ١٩٤١) ان همه الرئيسي في تلك الفترة الاستقلالية الاولى ، كان محاولة تثبيت الشخصية اللبنانية المستقلة ، وصياغة تفاصيلها، وفقا لمفهوم الميثاق الوطني ، ولعل ابرز اجزاء المذكرات في شرحهذا المجهود وتحديد معالمه السياسية والفكرية ، هو ذلك الجزء الذي يصف فيه رحلاته الثلاث الىالمحافظات اللبنانية المختلفة في الشمال والبقاع والجنوب (المجلد الثاني ، ١٥٧ ـ ١٩٤)، محاولا ان يستجمع من الخلفية السياسية والاجتماعية والروحية للعناصر الطائفية التي تكون المجتمع اللبناني ،مفاهيم مشتركة حول الاستقلال والعروبة وفلسطين الخ ···

فهو يقول في طرابلس :

«ولما سرنا على هذه السياسة الاستقلالية الجريئة ودفعنا عن انفسنا تهمة العزلة والانعزال ، وتلفتنا الى العرب الذين تجمعنا واياهم رابطة اللغة والعادات والاخلاق الشرقية (ملاحظة : هذا المعنى تأكيد لمفهوم « لشرق » كما حاولنا تعريفه في المقطع السابق) والمصلحة والاماني ، لم يعد في لبنان سلبيون وايجابيون ، لا مسلمون ولا نصارى ، بل صار الجميع شخصا واحدا ، لبنانيا ، استقلاليا ، قوميا ،عربيا، بكامله · واكبر شاهد على ذلك ما رأيناه في هذه البلدة التي لم تكن تهتف وتصفق لرئيس غير هذا الرئيس الذي ترى فيه رمزا لجمهورية لبنانية استقلاليةعربية ديمقراطية» (المجلد الثاني ـ صفحة ١٦١) ·

ثم يقول شارحا ـ في طرابلس ـ كيفية التوصل الى تحقيق الصيغة الاستقلالية :

« وتطرقت الى معجزة العهد وليست بالوحيدة من نوعها : « اذ اصبح الرئيس المسيحي اكثر اسلامية من رئيس وزرائه السني واصبح رئيس الوزارة السني اكثر مسيحية من الرئيس الماروني » · (المجلد الثاني ـ صفحة ١٦٢) ·

وهذا مشهد أخر في الديمان ، المقر الصيفي للبطريرك الماروني ،حيث قال بشارة الخوري مخاطبا البطريرك (في نفس الرحلة الشمالية) :

« ولذلك اطلب منه ان يمد بايامكم حتى تروا هذا الاستقلال ناجزا تجاه دول الغرب وجميع دول الغرب ، وناجزا ايضا تجاه دول الشرق وجميع دول الشرق » · (المجلد الثاني ـ صفحة ١٦٤) ·

وفي نفس الصفحة مشهد أخر في بشري:

« واتيح لي ان القي خطابا في البلدة المارونية لاطمئن الخائفين على مصير لبنان، ومن جملة ما ذكرته وجوب الجلاء ، فقلت : « ان الجلاء يجب ان يتم وشيكا . ومن جميع انحاء لبنان ، واذا طلبنا الجلاء فلان وجود جندي اجنبي واحد عندنا يناقض استقلالنا، فضلا عن كونه يهدد اخواننا في الدجلة والنيل » ·

وهذا مشهد أخر من الرحلة الشمالية نفسها ، في اهدن (مشتى الزغرتاويين) حيث اراد بشارة الخوري طرح رأيه في

القضية الفلسطينية ، ورصد ردود الفعل عليه :

« تكلم حميد فرنجية في مأدبة العشاء ، واجبته مرتجلا ، وقبل ان اختم خطابي مر في بالي شبح فلسطين ، وتخيلت البلد الماروني البحت الذي انا فيه ، وقلت في نفسي : هذه فرصة سانحة لاستفتي لبنان المسيحي في قضية فلسطين ، وسياستنا فيها ، وما هي لحظة حتى عرضت المسألة امام الحاضرين فقلت : « اذا رجعتم الى قلوبكم والى ضمائركم،امكنكم ان تشعروا بمدى الاهتمام الواجب بهذه القضية ، اذ ليس من العدل ان يؤتى من مشارق الارض ومغاربها باناس لا يربطهم بنا اي نسب ليكونوا اكثرية مصطنعة · فاليهودية شيء ، والصهيونية شيء آخر ، اليهودية دين تسلسلت عنه المسيحية واعترف به الاسلام ، فابناؤها من هذه الناحية لهم ما لنا وعليهم ما علينا من الحقوق والواجبات ، انما الصهيونية فكرة تحكم واستثمار وسيطرة سياسية لا علاقة لها بالدين قط ··· واني وانا في منطقة مسيحية صرفة ، بل ومارونية صرفة ، اعلن ان هذه الفكرة هي فكرتها ، وهي تؤيدها ··· » وما ان القيت هذه العبارة حتى شق التصفيق والهتاف عنان الجو، واطلقت السهام النارية في الجو استحسانا وحماسة ، ولم يكن لذلك ادنى استعداد او تهيئة · وهذا كان اول صوت رسمي لرئيس دولة عربية ارتفع للذود عن فلسطين ،وفرق بين اليهودية والصهيونية ، وهو صوت رئيس جمهورية لبنان ، في بلد ماروني مائة بالماية ، فاستقبله البلد الباسل بتلك العاطفة الفياضة » · (المجلد الثاني ـ صفحة ١٦٥) ·

مثل هذا الكلام الذي فيه شيء من العاطفة مع شيء من الفكر ، يقف عند منتصف الطريق فيقول عن الهجرة اليهودية الى فلسطين « يؤتى من مشارق الارض ومغاربها باناس ··· » ، فلا يشير الى العلاقة بين الاستعمار (بريطانيا في ذلك الوقت) وبين المشروع الصهيوني فخلق بذلك موقف تاييد عاطفي بدلا من موقف التأييد السياسي ، الامر الذي اثبت فشله بعد ذلك في مواجهة التحديات الحقيقية للقضية الفلسطينية ··· لذلك فاننا نجد ، بعد ثلث قرن ، رئيس جمهورية لبنان سليمان فرنجية يقول كلاما مشابها امام الامم المتحدة ، ولا يمنع ذلك أن يكون هذا الرئيس نفسه قد قاد قبل خطاب الامم المتحدة محاولة سحق المقاومة الفلسطينية بواسطة الجيش الرسمي ، ثم قاد بعد خطاب الامم المتحدة محاولة سحق المقاومة الفلسطينية بالمليشيات الانعزالية ·

واذا كان بشارة الخوري قد حاول لتبشير بقضية فلسطين في اهدن ، فانه يروي لنا مشهدا مختلفا ، وبلهجة مختلفة من رحلة صيدا فيقول باختصار شديد :

« وانتقلت الى الكلام عن فلسطين ، في بلد يعتبر جبهة اولية في خط الدفاع ضد الصهيونية » (المجلد الثاني ـ صفحة ١٧١)) ، ولا يرى حاجة لان يضيف الى هذا الكلام شيئا حول هذا الموضوع ·

نجد ان الشيخ بشارة الخوري يكاد يعترف في جزء آخر من مفكراته بان هناك شيئا ما غير الدعاية يجب عمله للقضية، وان قوى خارجية تتدخل لفرض مشروع انشاء دولة اسرائيل ، ولكنه يطرح الاسئلة وبسرعة ، ويجيب بسرعة اشد اجابة الذي يعرف الحقيقة ويتهيب من الاعتراف بها ، خوفا مما يترتب عليها من خطوات سياسية· وهذا مقطع بالغ الدلالة ، بالغ الصراحة ، في هذا المجال·يقول في التعليق على اجتماع انشاص (ايار ١٩٤٦) الذي كان اول مؤتمر ذروة عربي (على حد تعبير الشيخ بشارة) دعا اليه الملك فاروق «للمشاورة بشؤون تهم الجامعة العربية عامة وفلسطين خاصة » ، يقول :

« وليتنا ونحن نعد الوثيقة الشهيرة ،التي نشرت على العالم ، فكرنا بتأليف جيش

عربي من متطوعي جميع البلـــدان العربية ليدافع عن فلسطين ويتدرب في مصر للوقت العصيب ، غير انه لم يخطر على بالنا ان المواثيق الدولية ستمزق ، ويطرح العرب في ارضهم عزلا ، يقتلون ويتشردون ولما تنسحب الجيوش البريطانية كلها مـــن فلسطـين ! (علامة التعجب في النص الاصلي) لم يعط احد منا علم الغيب · وهب انه تألف هـــذا الجيش ، فهل كان بامكانه ان يتسلح تسليحا عصريا او ان يقاتل فعليا دون ان يقفـــوا (ملاحظة : الفاعل هنا ايضا يظل مجهولا) بوجهه لتنفيذ وعد بلفور » ·

وعندما يصل الشيخ بشارة الى وضـــع اليد على المفتاح الحقيقي للازمة (التحالف الاستعماري ـ الصهيوني) عن ما يغفل الموضوع : « يطول المجال بنا جدا فيما اذا استسلمنا لهذه التأملات كلها فـي حالـــة الدول العربية · لنعد الى ما بعد التوقيـــع على الوثيقة ، اردت أن اودع الملك فاروق في جناحه بانشاص ··· »· (المجلد الثاني ـ صفحة ٢٤٧) ·

اما الرياح التي كانت تهب على مخاوف الانعزاليين ، فتذكيها في ذلك الوقت، فيبدو انها كانت تتركز في مشروع سوريا الكبرى الذي كان ينادي به من شرق الاردن الملـــك عبدالله·ولكن من الواضح ان هذا المشروع، حتى كما يتحدث عنه الشيخ بشارة ، لم يكن تعبيراً عن خط النضال الوحدوي العربي، بل كان ـ على العكس تماما ـ من مشاريع المطامع والصراعات الاقليمية ، التـي كانت تثير المخاوف في سورية قبل لبنان ، يقـول بشارة الخوري عن هذا المشروع :

« اصبح مشروع سوريا الكبرى مزمنا، وحكومة شرقي الاردن تثيره من وقت الـى آخر وتحدث اثارته ردة فعل في سوريـــا ولبنان · ورأى بعضهم ان لبنان خارج عن هذا المشروع ، وتساءل لاي سبب يعتـرض عليه كلما اثير · ولكن الامر على خلاف ما يظن لان كل تغيير في الاوضاع القائمة في البلدان العربية من شأنه ان يضعف موقف لبنان ، ولان شرقي الاردن يرغب في حالـة تحقيق المشروعفي أن يعاد النظر في الحدود اللبنانية كمرحلة اولى ، واما المرحلـــة الثانية ففي استجماع دول الهلال الخصيب، وكفى الذين لا يرون في هذا المشروع خطرا على لبنان ، ما ورد في تصـــريح وزيـــر خارجية شرقي الاردن في تشـــرين الثاني ١٩٤٦ من « ان لبنان في حالته الحاضرة قد ارغمت بعض المناطق والاقاليم منه علـــى الانضمام اليه ، وعلى قبـــول شكل حكـــم معين · » ··· واثيرت هذه التصريحـــات اول ما اثيرت في المجلس النيابي واول من اثارها النائب عبد الله اليافي ، وقد تكلم بصراحة ما بعدها صراحة اذ قال : « ··· فانا ، بصفتي نائبا لبنانيا ، ونائبا مسلما سنيا عن لبنان ،، ونائبا عن بيروت ،اعلن اننا في لبنان ، نصارى ومسلمين ، قـــد ارتضينا حالة لبنان الحاضرة بملء رضانا واختيارنا ، واننا لا نبغي عن هذا الوضع بديلا · وان تصريحي هذا يعبر عن رغبـــة اللبنانيين جميعهم ، اكانوا نصـــارى ام مسلمين · وهذه السياسة التي ارتضاهـــا لبنان لنفسه قد تمشت عليها الحكومـــات اللبنانية جميعها ، بدون لبس او ابهـــام ، واختطت لنفسها ان تعلن عنهـــا في كـــل مناسبة ، حتى اصبحت دستـــورها فـــي برامجها الحكومية · ولا ازال اذكر كلمـــة دولة رياض الصلح ، وقد قال فيها : « ان لبنان في وضعه الحاضر هو صنع ايدينا ، واننا سندافع عنه ضد الشرق والغرب » · (المجلد الثاني ـ صفحة ٢٧٦) ·

ولعل ادق تلخيص لتناقضات الخلفيـة الطائفية للمجتمع اللبناني ، كما صورهـــا ابو الميثاق الوطني الشيخ بشارة الخوري، هي التي جاءت على لسانه في خطبة بلديـة بشري ، في ٧ـ١٠ـ١٩٤٥ · (المجلد الثاني ـ صفحة ٢٩٣) :

« كان المسلمون في عهد الانتداب جـــد حذرين ، فلما تحققوا أن الرسالة استقلالية

بحتة ، أمنوا بالاستقلال وبلبنان وصاروا من اول عماله ٠

ولما بزغ العهد الجديد خاف بعض النصارى أن يكون العهد مجحفا بهم،وخافوا ان يزول الانتداب فيكونوا عرضة لامر ما من الداخل » ٠

★ ★ ★

لسنا هنا طبعا أمام محاكمة تاريخية للميثاق الوطني ، فهذه المحاكمة لا تكون موضوعية وعادلة الا اذا شملت دراسة كل الخلفيات التاريخية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تمت في اطارها وترعرعت التشكيلات الطائفية ـ السياسية للمجتمع اللبناني ،بما في ذلك دراسة المرحلة الاخيرة في عمر الامبراطورية العثمانية والحركة المعاصرة للقومية العربية ، ومشكلات الاقليات الدينية في الوطن العربي ، والدور اللبناني في النهضة العربية القومية الحديثة فكرا وسياسة ، وكيف نما هذا الدور ، ثم كيف غاضت مياهه في مستنقع الطائفية بعد ان كان قد انطلق بصحة وعافية متجاوزا الفتنة الطائفية الكبرى في القرن التاسع عشر وما نتج عنها من صيغ سياسية واجتماعية في عهد المتصرفية ٠
دراسة كل هذا اذن ضرورية ، مع دراسة

الظروف الدولية التي كانت سائدة قبل واثناء الحرب العالمية الثانية ، حتى تكون المحاكمة التاريخية لفلسفة الميثاق الوطني عادلة : هل كان الاستقلال اللبناني ممكنا بطرق اخرى وسط هذه الفسيفساء الطائفية وما يحيط به من موازين قوى ؟

تلك مسألة تاريخية ، ما يهمنا الان هو المسألة السياسية الراهنة ، حيث ما زالت الصيغة الطائفية للميثاق الوطني مطروحة كحل لاعادة تجميع اجزاء الوطن اللبناني الذي وضحت معالم بعثرته بعد سنة ونصف من الاقتتال ٠

ان اثنين من ابطال الميثاق الوطني ،ومن الذين سجنوا دفاعا عن رايته (كميل شمعون وبيار الجميل) يقودان اليوم معركة فك الشراكة الوطنية بالدم والحديد والنار ، استمرارا لحربهما عليها منذ عام ١٩٥٨ ٠ والقائد الثالث لهذا التيار ـ سليمان فرنجية ـ ليس بعيدا عن اجواء الميثاق الوطني ، فشقيقه حميد هو الذي قاد مفاوضات الجلاء عام ١٩٤٦ ، كل ذلك لان الانتماء للعروبة لم يعد تعبيرا عن اللغة الرسمية للدولة ، بل تجاوزه الى النضال من اجل استعادة الامة العربية مكانتها الحضارية وسط الصراعات الدولية ، ولان النضال من اجل فلسطين لم يعد يكتفي بخطبة فوق منبر الامم المتحدة او باغاثة مجموعة من اللاجئين باكياس من الطحين ، بل اصبح دخولا في صراعات ارادات تاريخية فوق ارض المنطقة ، تفترض اتخاذ مواقف والدخول في تحديات وتغييرا عميقا في نمط التربية والحياة ٠

ان خط تطور ونمو هذه الزعامات « الميثاقية » في الشارع الماروني بالذات، يعتبر من العناصر السلبية اذا وضعنا امامنا الان ليس فقط امكانية بناء لبنان ـ الوطن،بل حتى امكانية اعادة تركيب لبنان ـ الكيان الطائفي المتوازن ٠٠٠ غير ان هذا العنصر السلبي تقابله عناصر ايجابية اخرى منها ان الشارع المسيحي لم يعد حكرا على هذا النوع من لزعامات ،فهناك فئات عريضة كسرت طوقها الطائفي ودخلت في اطار الانتماء السياسي المباشر الى الوطن ، وانحسار موجة العنف الحالية سيكشف عن هذه الفئة بحجم اكبر بكثير مما يتصوره البعض ٠

اما العنصر الايجابي الاخر فهو ان الزعامات الطائفية في الشارع الاسلامي ـ لوطني قد دخلت في مرحلة التلاشي

التاريخية ، فكلما علت امواج المد التحرري العربي والوطني ، كلما اصبح صوت هذه الزعامات اخف ، وجماهيريتها اضعف حتى ان هذه الزعامات تستعين على الجماهير الوطنية ـ في ساعات الضيق ـ بالزعامات الطائفية في الخندق الاخر ٠

من هذا العرض السريع نخرج بحقيقتين:

١ ـ ان مجرد مرور الزمن على صيغة « الوطن المؤقت » لا تكفي لتحويله الى وطن دائم ، فالكيان الطائفي المتوازن ليس مرحلة على طريق الوطن بل هو تأجيل للدخول في مرحلة الوطن ،يجب وضعه جانبا وبصورة نهائية ، اذا اردنا الانتقال الى مرحلة الوطن ٠

٢ ـ ان ميزان القوى داخل التركيبة الاجتماعية اللبنانية لم يعد يهيمن عليه الطابع الطائفي ، كما كان الحال عندما ابتدعت صيغة الميثاق الوطني لدى مواجهة مسألة الاستقلال عام ١٩٤٣ ٠

وعلى هاتين الحقيقتين يجب ان تبنى اية حلول سياسية للازمة الحالية ، فاذا كانت صيغة « الوطن المؤقت الموحد » قد عاشت ثلث قرن ، فان صيغة «الوطن المؤقت المجزأ» المطروحة حاليا لن تستطيع العيش عقدا واحدا من السنين ٠

هذا هو الدور الأميركي في لبنان

هذا النص ، هو ترجمة حرفية ، لفصل من كتاب الدبلوماسي الاميركي روبرت مورفي : ديلوماسي بين المحاربين ، يشرح وجهة النظر الاميركية للحرب الاهلية في لبنان ١٩٥٨ ، من خلال الغزو العسكري الاميركي ، ثورة العراق، والعلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة .

تنشر شؤون فلسطينية ، هذا الفصل في ظروف شبه مشابهة . حيث الحرب الاهلية تشتعل في لبنان ، منذ سنة ونصف ، وحيث يبرز الدور الاميركي من خلال براون مبعوث الرئيس فورد .

ننشر هذا الفصل ، بهدف المقارنة واستخلاص العبر ، رغم اننا نقرأ النص بحذر وتحفظ ونبدي عليه ملاحظات كثيرة منها :

١ ــ يتكلم السفير مورفي ويكتب بلهجة الاستعلاء التي تميز جميع المستعمرين عبر العصور . وكلامه المنمق عن الشرق الساحر، يخفي وحشية الامبرياليين ، واحتقارهم للشعوب.

٢ ــ ان الدور الاميركي ، والقدرة الاميركية قد بدأت تنهار . ليس في بلادنا فقط ، بل في العالم باسره . وهذا ما يفسر ، لعبة اظهار العضلات عام ١٩٥٨ ، والمرونة المناورة والتي يظهرها الاميركيون اليوم . وهذا لا يعني تغيرا في طبيعة الامبريالية العدوانية ، بل تغيرا في شروطها الموضوعية.

٣ ــ ان بروز محور المقاومة ــ الحركة الوطنية ، كمحور شعبي مقاتل ، يضفي على الحرب الاهلية الان ، شرطا جديدا ، لم يكن موجودا عام ١٩٥٨ .

* * *

وبين النقاط الخطرة ، كان قلق وزارة خارجيتنا مركزا على الجمهورية اللبنانية . ففي هذا البلد الصغير ــ مليون ونصف مليون نسمة ــ كان التوازن غير الثابت بين المسيحيين والمسلمين مختلا نتيجة وجود ٣٠٠ الف لاجيء فلسطيني ، حيث كان هؤلاء المنفيون اليائسون يحملون الولايات المتحدة مسؤولية بؤسهم ، ويتهمونها بمساندة اسرائيل . وقد علمنا ان بعض القوميين العرب العملاء لعبد الناصر يحرضون جماهير المسلمين ويوزعون السلاح خفية .

بدا قلق واشنطن على الوضع في لبنان ، حين رأت الناصرية تمتد الى احد اكثر بلدان الشرق الاوسط تطلعا الى الغرب . ووصل قلق

الكونغرس الى حد لم يعد يخل فيه بتقديم الاعانات التي طلبتها وزارة الخارجية لمساعدة الحكومة الشرعية في لبنان .لقد تدهورت الحالة في لبنان اوائل حزيران ، الى حد انها وصلت عمليا الى حالة الحرب الاهلية . كانت الاذاعة والتلفزيون المصرية تساند المتمردين . شارل مالك ، سفير لبنان في الولايات المتحدة ، كان يطالب بمساندة مالية ضخمة . اما الرئيس كميل شمعون ، فكان يلح على السفارة الاميركية في بيروت ، في الحصول على امدادات حربية — كان يطالب باليأت ، ووصل به الامر الى طلب انزالها بالمظلات ويقال انه بعث حفيده وجواهر زوجته الى الخارج . رئيس وزرائه سامي الصلح ابلغ سفيرنا انه يرحب بانزال الجيش الاميركي في لبنان .

وعد الرئيس ايزنهاور ووزير الخارجية دالس، بان الولايات المتحدة لن تتخلى عن لبنان ، واصبح تطور الحالة هناك الشغل الشاغل لوزارة الخارجية.

وفجاة حصل الانفجار ، ليس في لبنان كما كان متوقعا . بل في بلد اخر في الشرق الاوسط، العراق ، حيث قتل الملك فيصل ، وابيدت عائلته بشكل بغيض في ١٤ تموز ١٩٥٨ من قبل مجموعة ضباط اعلنت حكومة ثورية ، واعلنت ان العراق هو « جزء من الامة العربية » .

طلب الرئيس شمعون التدخل الاميركي الفوري خوفا من المخاطر الجمة التي تهدد استقلال بلده، وتلقت الوحدات البحرية في اوروبا الموجودة تحت تصرف القيادة الاميركية امر الاستجابة لهذا الطلب .

كنت على علم بهذه الاحداث المفجعة ، لكنني مهتم بقضية مختلفة تماما في واشنطن : اذ ادى رفض وزارة الخارجية اعطاء جوازات سفر لبعض المواطنين الاميركيين الى استئناف امام المحاكم الفيدرالية . وكان اهتمام الوزارة كبيرا، في سبيل تشريع استثنائي في هذا المجال . كنت اعد ملفا كي اقدمه في جلسة عامة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ . جرت هذه الجلسة في ١٨ تموز ، في القاعة القديمة لمجلس القضاء الاعلى في الكابيتول . قاعة فسيحة تتسع للعديد من الصحفيين والفضوليين . لم اكد انتهي من القاء خطاب الافتتاح ، حتى اخبرت ان وزير الخارجية يتصل بي هاتفيا . اعلمني ان الرئيس ايزنهاور قرر ارسالي حالا الى لبنان . وطلب مني الاعتذار من الهيئة والمجيء الى وزارة الخارجية للتشاور قبل سفري . كان دالس ينتظرني في مكتبه حيث ابلغني انني عينت مستشارا للاميرال هولووي القائد العام للقوات الاميركية التي تنزل في هذا الوقت بالذات في لبنان. كان هذا التحرك العسكري الاتي استجابة لرغبة رئيس الدولة اللبنانية ، مبررا بسياسة الولايات المتحدة التقليدية : حماية مواطنيها المقيمين في الخارج و ... حماية مصالحنا . فالى جانب موظفي سفارتنا والموظفين الاخرين ، يعيش عدد كبير من الاميركيين في لبنان ، اكثريتهم من الاساتذة والمبشرين ورجال الاعمال . كما تجذب شواطىء بيروت الاميركيين المقيمين في الشرق الاوسط عددا كبيرا من السياح . قال لي دالس ان دوري يكمن اساسا ، في تنسيق تحركات قيادتنا العسكرية مع سفارتنا وباقي السلطات المدنية الاميركية.

بعد هذا الحديث السريع ، توجهت مع دالس الى البيت الابيض ، حيث عرض علينا الرئيس تفصيليا دوافع انزال رماة البحرية الاميركية في لبنان . كثيرا ما يقال في الشرق الاوسط وخاصة في مصر ان الاميركيين يتكلمون ولا يفعلون شيئا خوفا من ردات الفعل السوفياتية . اعتقد ايزنهاور انه ستلحق بنا خسارة معنوية لا تعوض اذا بقينا مكتوفي الايدي . كما اراد ان يبرهن على ان الولايات المتحدة مستعدة لمساعدة اصدقائها في كل وقت وكل ساعة . « علينا ان نقوم بعمل بناء ومطابق لشريعة الامم المتحدة . تحركنا شرعي . فلبنان هو البلد العربي الوحيد الذي وافق على مبدأ ايزنهاور ، فيحق له على الصعيد الدولي ان يستدعينا علنا » .

اعطاني الرئيس معلومات شفهية غامضة بطبيعة الحال . بالنتيجة ، اوصاني بمصالح الولايات المتحدة بعد انزال قواتنا .

اجبرتني هذه المهمة الجديدة كممثل شخصي

للرئيس ، على استخدام اسلوب مختلف عن الاساليب التي استخدمتها في قضية السويس . في الحالتين ، اوفدت فجاة لمراقبة تطور ازمة في الشرق الاوسط ، وفي الحالتين ذهبت دون تعليمات واضحة .

في مسالة السويس ، كرست اربعة اشهر ما بين لندن وواشنطن ، في مفاوضات صعبة وفي مشاريع تسوية مدروسة . لكن في لبنان ، اكتشفت بسرعة انني سأضطر الى التنقل بين عواصم غربية ، والى طرح اسئلة صريحة تتطلب اجوبة واضحة ، ومن ثم اتخاذ قرارات مباشرة وتنفيذها فورا .

اتصلت بزوجتي هاتفيا ، قبل التوجه الى البيت الابيض مع دالس ورجوتها وضع بعض الملابس الصيفية في حقيبتي . تسلمتها منها بعد ثلاث ساعات في مطار واشنطن ، حيث نقلتني طائرة حربية الى مساشوستس . وفي قاعدة وستوفر الجوية كانت تنتظرني طائرة ك س ١٣٥ الطراز الجديد لطائرة بوينغ ٧٠٧ ، مزودة بخزانات اضافية تمنحها قدرة استثنائية على العمل . قمنا بالرحلة على ارتفاع ١٣٠٠ متر . وعندما حطت الطائرة على مدرج مطار بيروت ، كنا قد قطعنا ٨٨٠٠ كم في مدة احدى عشرة ساعة وقت قياسي.

في المطار استقبلني السفير روبرت ماكلينتوك، الاميرال هولووي ووزيران لبنانيان يبدو عليهما الانهاك . وافاني ماكلينتوك — الذي كان مساعدي لسنوات طويلة عندما كنت سفيرا في بروكسل — بالمعلومات الاولية . اعطت عملياتنا العسكرية نتائج اكثر من المنتظر ، رغم انها قدرت ونفذت على عجل . ففي الساعات الاربع والعشرين التي تلت نداء استغاثة الرئيس شمعون ، تم انزال ٣٦٠٠ رجل من رماة البحرية التابعين للاسطول السادس على شاطيء قريب من بيروت وحققوا فورا حماية المطار وبعض المرافق في المدينة . بعد ذلك اتت طائرات شحن من طراز ث ١١٩ بوحدات من كتيبة المارينز الحادية عشرة النازلة في كهف لوجون في كارولين الشمالية . وكانت طائرات كلوب ماستر ث ١٢٤ تترك قاعدة دونالدسون بسرعة في كارولين الجنوبية لنقل مظليي الكتيبة الرابعة والعشرين الى اوكسبورغ في المانيا الغربية . كما اقلعت طائرات معترضة نفاثة وقاذفات من قاعدةمنغلي في فرجينيا .

عندما وصلت الى بيروت ، كان حوالي سبعة الاف رجل من رماة البحرية ، يطوفون المدينة وضواحيها بالاليات . وكانت هناك ناقلات مصفحة برمائية وقاذفات ذرية . « الا ان جميع القنابل الذرية بقيت على متن السفن الحربية » .

— لم ينتج عن عملية الانزال اي حادثمؤسف او اية اضرار تحت قيادةالاميرال هولووي الحكيمة — في ١٨ تموز كان حول ميناء بيروت من ٧٠ الى ٧٥ سفينة حربية اميركية تابعة للاسطول السادس ، وتشكل مشهدا جميلا لزبائن مطعم كروت اوبيجون . وكانت مواكب المارينز تمر امام فندق سان جورج الفخم ومسبحه الخاص حيث النساء يتشمسن على متن اليخوت . اما في سماء المدينة ، فكانت تسمع زمجرة الطائرات المنطلقة من حاملتي الطائرات سراتوغا واسكس . في ٢٥ تموز وصل عدد قوات الانزال الى ١٠٦٠٠ رجل على الاقل . منهم اربعة الاف من المشاة و٦٦٠٠ رجل من رماة البحرية . اي اكثر من مجموع الجيش اللبناني .

بما ان قواتنا ، اتت الى لبنان بناء علىدعوة شمعون ، فقد كان همي الاول تقديم احترامي للرئيس في مكان اقامته الرسمي . قابلت رجلا تعبا والهموم تبدو عليه يقيم في سجن ارادي ، ولم يقترب من النافذة منذ ٦٧ يوما . وكان هذا تصرفا صائبا . لان امكانيات اغتياله كانت كبيرة . في لبنان لا يحق لرئيس الجمهورية ، ان يمارس الا ولاية واحدة . فعندما عرض شمعون تعديل الدستور ليتمكن من ترشيح نفسه لولاية ثانية، ساهم في اشعال الحرب الاهلية .

منذ اقامتي في برلين عام ١٩٤٥ ، لم اعرف مكانا متفجرا مثل بيروت في ذلك الصيف ،رمايات قنابل ، حرائق ، كل يوم وخاصة في الليل ، ومقابل القصر الجمهوري تقريبا ، كانت البسطة.

متاهة من الشوارع والمباني ، ويسمونها في بعض الاحيان القصبة . طلب السفير البريطاني حماية من رماة البحرية ، امنت له ، ومنذ الليلة الاولى اصيب مبنى السفارة برصاص قادم من البسطة، والذي مر قريبا جدا من بعض جنودنا . اخبرني الرئيس شمعون انه امر اللواء شهاب قائدالجيش بتمشيط البسطة . لكن اللواء يرفض . نصحت شمعون بعزل شهاب واستبداله بضابط قادر على احياء الامن وسلطة الحكومة .. لكن الامور لم تكن بهذه البساطة.

اللواء شهاب رجل شديد الذكاء ، ينتمي الى عائلة مارونية كبيرة ، متخرج من سان سير ومن المدرسة الحربية الفرنسية العليا . يامر حوالي ٧ الاف جندي الى جانب ٢٠٠٠ درکي تتالف قواته من عدد شبه متساو من المسيحيين والمسلمين ، ويبدو ان هم اللواء الاساسي ،كان الحفاظ على وحدة جيشه . لذلك كان يخشى من ان اي هجوم على المتمردين ، سوف يؤثر على الخلافات الدينية بين العسكريين ، ويحمل العسكريين المتعاطفين مع المتمردين ، على العصيان ، وفي هذه الحالة ينفجر الجيش ويختفي.

لم تتدخل الحكومة الاميركية ، الا بعد ان اوضحت للرئيس شمعون ان لا مجال لمساعدة اللبنانيين ، الا اذا كانوا مستعدين للدفاع عن بلدهم . وها هو رئيس الدولة نفسه ، لا يملك اية سلطة على جيشه . وبالتالي لا يملك اية امكانية للدفاع عن نظامه . كان اللواء شهاب يهدد بالاستقالة ، بينما يكتفي الرئيس باعطائه مقترحات يتناساها اللواء . لكنه يعطي توصيات خاصة للذين تحت امرته .

تحادثت مع اللواء ومع هيئة اركانه . بدا لي انسانا مخلصا . عندما تدارسنا المشكلة مع الاميرال هولووي ، اتفقنا ان هذا الجيش رغم هزاله ، هو العامل الوحيد القادر على صيانة شيء من السلطة للحكومة اللبنانية ، التي لم تعد تسيطر الا على جزء صغير من الاراضي اللبنانية حوالي الثلث فقط ، وكان وسط العاصمة في ايدي المتمردين . كنت امل في اقناع اللواء شهاب القيام بتحرك جدي لاعادة الامن الى بيروت .لكنه لم يقم الا بتدابير خجولة لمحاصرة تحركات المتمردين داخل الاحياء بشكل تدريجي . كان شهاب راغبا في التعامل مع القوات الاميركية . وقدرت مع هولووي ان تأييده ولو المؤقت يكفينا للوصول الى اغراضنا المباشرة .

اخبرني هولووي عن الحادث الذي جرى في اليوم الاول لانزال القوات الاميركية ، كي يبين لي استعدادات شهاب الطيبة . فتاريخ لبنان البائس والذي يرجع الاف السنين الى الوراء ، تعرض لغزوات عديدة ابتداء من الاشوريين والفرس والرومان ، حتى المماليك والاتراك المعاصرين . وقد اتلف الاتراك آخر المحتلين «!» غابات الارز وابادوها . وقد نظر بعض اللبنانيين الى القوات الاميركية بوصفها جيش احتلال .كما قررت مجموعة من ضباط هيئة الاركان مقاومة تدخلنا . فبعد نزول رماة البحرية في مطار بيروت، اتجهوا الى المدينة على الطريق الوحيد المؤدي اليها ، دون ان يعيروا الانتباه الى كون ١٢ آلية اعدت مع اوامر باطلاق النار على رجالنا . وما ان علم ماكلينتوك بالامر ، وفي آخر لحظة ، حتى اتصل باللواء شهاب واقنعه بالاتجاه حالا نحو هذه الوحدة برفقته وبرفقة هولووي في سيارة السفارة التي ترفع العلمين اللبناني والاميركي . وصل شهاب الى ذلك المكان واعطى الاوامر بعدم اطلاق النار . وبذلك تجنبنا اشتباكات مأساوية .

لم تكن الاضطرابات محصورة بالقضايا السياسية الكبرى ، والانقسامات بين المسيحيين والمسلمين ، بل كانت هناك خلافات عديدة بين الجماعات السياسية والطوائف الدينية. فاستنادا الى التقاليد اللبنانية ، كان على رئيس الجمهورية ان يكون مسيحيا ، ورئيس الوزراء مسلما . كان هذا التوفيق يعمل على ما يرام وبرضى شمعون والصلح . فكلاهما طلب المساعدة الاميركية لقمع التمرد ، وكلاهما يتعاون مع ماكلينتوك وهولووي . لكن رئيس الوزراء كان هدفا لابناء طائفته الذين احرقوا منزله فدمر بكل ما فيه .

بعد فترة قصيرة من وصولي الى بيروت ، دعاني رئيس الوزراء مع السفير وبعض الشخصيات الاميركية لتناول الغداء في مقره

الرسمي الذي هو عبارة عن بناء جميل من الطراز العربي . وكان رئيس الوزراء يذهب عادة الى مقره بسيارة تتقدمها دراجات الحرس النارية . غير انه عندما خرج في ذلك الصباح كعادته ، لاحظ وجود سيارة متوقفة الى جانب الطريق، كانت تحتوي على ٥٠ كيلو من المتفجرات، ومحكمة بخيط يمتد على عرض الشارع . غير ان سيارة قادمة من وجهة السير المضادة ، مرت على الخيط ، ثواني قليلة قبل سيارة رئيس الوزراء ، فانسحقت بركابها الخمسة ، كما قتل الحرس . سلم سامي الصلح ، واصر على ان يجري الغداء في موعده ، وشارك في الحوار متصفا بهدوء عظيم .

كان لبنان في اوائل حزيران ، اي قبل شهر تقريبا من انزال القوات الاميركية ، قد احتج على تدخل مصر وسوريا في شؤونه الداخلية .وقد سمح مجلس الامن لامينه العام داغ همرشولد بارسال مراقبين الى بيروت للتحقق من دخول رجال واسلحة الى لبنان بشكل غير شرعي . كان غالو بلازا ، رئيس الاكوادور السابق يدير هذه البعثة بمعاونة الهندي راجسفار دايال ، والماجور جنرال الفاروجي او دبول وموظف اميركي من الامم المتحدة دافيد أ. بليكنستاف . وقد اعلنت البعثة ، انها غير قادرة على تاكيد الاتهام اللبناني ، كما كانت تميل الى التقليل من اهمية النشاطات السرية التي تقوم بها مصر وسوريا . غير أنهم اخبروني ، انهم لم يتمكنوا من العمل على المرتفعات الحدودية الا خلال النهار . فتبقى شبكة الطرق دون مراقبة ليلا . لقد استطاع رماة البحرية الاميركيون اقامة جهاز مراقبة على الخط الهاتفي الذي يصل العاصمة السورية بالبسطة في بيروت . فتبين لنا بشكل واضح ، ان متمردي البسطة مدعومون ومسيرون من الخارج . اثار انزال قواتنا الدهشة والقلق لدى مراقبي الامم المتحدة . اذ ربما عارض التدخل الاميركي مجهودهم الخاص لانهاء الحرب الاهلية (؟) استمر تهريب الاسلحة طيلة فترة الاضطرابات . وعلمت ان جميع العائلات اللبنانية تقتني السلاح بحكم العادة . يعود ذلك دون شك الى عصور الاحتلال الخارجي . فاللبناني لا يشعر بالارتياح الا اذا كان يملك سلاحا والافضلية للاسلحة النارية (المسدس او البندقية) . اكثرية الرجال يرغبون في اطلاق النار ، وهم ماهرون فيه . ويواكب رصاص الابتهاج جميع الاحتفالات العائلية . وقد كنت يوما ضيفا في حي بيروتي ، ولاحظت وجود اسلحة رشاشة في الزوايا الاربع لحديقة مضيفي .

قرر هنري ن. تايلور مراسل صحف سكويس هاورد ، ان يقوم بدراسة لسوق الاسلحة في بيروت . كنت اعرف هذا الصحفي الشاب من واشنطن واقدره. اخبرني عن نتائج ابحاثه. اخذ سيارة اجرة ، وسأل السائق بكل بساطة اين يمكنه ان يشتري بندقية رشاشة . اخذه السائق الى حانوت صغير في قلب المدينة . عرض علينا هناك بائع بشوش جميع انواع البنادق الرشاشة، هل يريد هنري نوعا فرنسيا ، انكليزيا ، المانيا ، تشيكيا ، روسيا ، في امكانه الحصول كذلك على نوع اميركي . طلب هنري سلاحا مصريا ، فأخرج البائع رشيشا مصريا مستعملا من داخل كيس من الخيش ، سأل هنري كيف يمكن التاكد من صلاحية السلاح : تجربه — اجاب بائع الموت المفاجيء — وقاد هنري الى سطح مجهز باكياس رمل حيث افرغت مخازن عدة . عندئذ اخذ متمردو البسطة المجاورة يطلقون النار بدون اهداف ، وقد خدعتهم طلقاتنا . بعد المساومة دفع هنري ٣٥ دولارا ثمن الرشاش المصري ، وعاد به الى الفندق بسيارة اجرة ليبرهن لزملائه سهولة الحصول على اسلحة في بيروت . بعد عامين لاقى هنري ن. تايلور الابن الوحيد لسفير اميركا في سويسرا ، حتفه وهو يقوم بتغطية اعلامية للقتال في كانتفا .

في بيروت ، لم يكن التدخل الاميركي مرغوبا من الجميع ، فاذا لاقاه الرئيس شمعون بالترحاب ، فقد كان المتطرفون المسلمون معادين له بقوة . يشعر المرء في لبنان ، انه قريب جدا من الاصول المسيحية ، اما انا ، فرغم كوني كاثوليكيا ، فقد كنت لا اعرف شيئا عن المذاهب الكاثوليكية العديدة الموجودة في هذا البلد، حيث حافظت الكثير من الشيع المسيحية على علاقات غير مستقرة غالبا مع الاسلام خلال العصور. اما التدخل العسكري الاميركي ، فكان يحظى على الغالب بتاييد المسيحيين ، علما بان بعضهم رفض اعلان ذلك

خوفا من تأثير المسلمين .

قمت بزيارة بولس المعوشي ، بطريرك انطاكيا الماروني ، في الصرح البطريركي المهيب ، حيث يوجد مقره وكنيسته . كان ذلك صبيحة احد ايام الاحاد . حضرت القداس الذي اقامه البطريرك حسب الطقس السرياني ، ثم استعرض الحالة العامة في البلد خلال تناولنا طعام الغداء ، وبرهن عن معرفة مدهشة في المسائل السياسية . عاش البطريرك اربعة عشر عاما من شبابه في الولايات المتحدة مع الجالية اللبنانية التي كانت ترسل مبالغ كبيرة من المال الى عائلاتها التي بقيت في الوطن ، والبطريرك معروف جيدا في الولايات المتحدة ، وتأثيره كبير في لبنان .

قدمت ايضا احتراماتي لمطران الروم الارثوذكس صليبي الذي اخبرني ان له ٤٠٠ نسيب في الولايات المتحدة ، كذلك لمطران الروم الكاثوليك نبعة ، وكلاهما حكيم يؤخذ بدأته . لقد اطمأن بعض المسيحيين في لبنان الى وصول القوات الاميركية ، واعتقدوا انها ستقضي على الحرب الاهلية الطائفية التي تهدد سلامة الجمهورية . غير أن بعضهم الاخر ، قدر انه كان على رماة البحرية الاميركيين ، السيطرة على المتمردين بسرعة اكبر في مناطق تواجدهم على الاقل . بالطبع ، لقد اراد بعض السياسيين استغلال وجود القوات الاميركية في سبيل مصالحهم الخاصة . وكثيرون كانوا يتهمون الرئيس شمعون بالقيام بذلك .

ثابرت على زيارة الرئيس شمعون مرة او مرتين في اليوم الواحد برفقة السفير الاميركي . كما اجريت محادثات يومية مع هولووي ، الذي كان التعامل معه لذيذا . لم تتعثر العلاقات بين الدبلوماسيين والعسكريين الاميركيين يوما . وقد ساهم هذا الى حد كبير في نجاح مهمتنا اللبنانية.

اظهرت لنا دراسة متأنية قمنا بها على أرض المعركة ، ان الصراع يعود بنسبة كبيرة الى التنافس الشخصي وليست له اية علاقة بالخلافات الدولية . وأذا كان للشيوعيين اي امل بالاستفادة من اعمال الشغب ، فان دورهم المباشر في التمرد لم يكن له اهمية تذكر . لكن الواقع ليس كذلك بالنسبة للعملاء المصريين والسوريين . بعد محادثاتي مع شمعون ، ماكلينتوك ، هولووي وغيرهم من الشخصيات ، قدرت ان على المجلس النيابي انتخاب رئيس جديد للبلاد وفقا للدستور . واصررت على شمعون ورئيس المجلس ان يتخذا التدابير اللازمة في اسرع وقت ممكن . كنت آمل ، ان يهدىء هذا الحل النفوس ، ويسمح بانسحاب القوات الاميركية ، مع بقاء ممثلي الامم المتحدة بوصفهم مراقبين . وقد وافقت وزارة الخارجية الاميركية على هذا المخطط .

بدأت محادثاتي مع قادة المتمردين الاكثر نفوذا برفقة ماكلينتوك . كنت اريد ان اعرض عليهم موقف السياسة الاميركية واتاكد من تعاونهم . اخبرت شمعون بنيتي قبل الاتصال بهم . وكان واضحا ان مقابلتي مع اخصامه لا تعجبه ، لكنه لم يبد أي اعتراض . وقد ازالت هذه الاتصالات القدر الاكبر من سوء التفاهم حول النوايا الاميركية . وساهمت في آخر المطاف في تسوية الحرب الاهلية سلميا .

أردت في بادىء الامر مقابلة صائب سلام ، رئيس الوزراء السابق ، الذي يقود مجموعة من المسلمين الذين يسيطرون على البسطة ، وكان يقال انه بالغ السخط على التدخل الاميركي. وقد اقسم انه لن تجري انتخابات رئاسية قبل رحيل قواتنا . حاولت الحصول على حراسة من اللواء شهاب . لكن لم يكن من الممكن اقناعه بهذا ، طالما الامر يتعلق بالبسطة . لذلك سررت جدا حين التقيت في بيروت ، بصديقي القديم الكولونيل وليم أ. ادي الذي كان يشغل منصب مستشار فني لدى شركة النفط العربية الاميركية. كان ادي ملحقنا البحري الجدية في طنجة عام ١٩٤٢ حين كنت اهيىء للانزال الاميركي في افريقيا الشمالية . بادر هذا الضابط المتقاعد في البحرية واستاذ اللغة الانكليزية السابق في ارتموث ، والذي يتحدر من عائلة مبشرين ومستعربين ، الى تنظيم لقاء سري خارج بيروت مع اثنين من رجال صائب سلام . كان هذان الرجلان ، يعتقدان ان القوات الاميركية لم تات الى لبنان ، الا في سبيل ابقاء شمعون رئيسا .

واخذا يتلوان فيه لائحة من التهم . واعلنا انهما يفضلان عبد الناصر على شمعون ، كما اكدا ان مصر لا مطامح لها في لبنان ، كما نفيا المساعدة السورية ، غير ان نفيهما لم يكن مقنعا . وبعد ساعات من النقاش ، بدا أن مبعوثي سلام فهما أن الولايات المتحدة لا تسعى الا الى حماية استقلال لبنان . وخلصا الى القول ، انهما لا يحملان تجاهنا اي شعور غير ودي ، عندها اغتنمت الفرصة للحديث حول أمن القوات الاميركية . واوضحت لهما ان الواجب الاول للقائد العسكري هو حماية رجاله . وبينت لهما ، ان النيران تطلق ليليا عن قصد او دون قصد على رماة البحرية ، وانه لاعجوبة ان لا يقتل احد منا . اضفت ، انه طالما لم نتكبد اية خسائر خلال عملية الانزال ، مفسرا هذا بالنية الحسنة عند جميع الاطراف ، التي اقدرها . وافق المتمردان المسلمان دون ان تتغير ملامحهما البريئة . عندها تابعت كلامي ، فوصفت العتاد الذي كان في حوزة الاميرال هولووي ، وقوته التي تكفي لتدمير بيروت تدميرا كاملا خلال بضع دقائق . ثم كررت عليهما بأن واجب الاميرال هولووي وهو الرجل الحسن النية هو الحفاظ اولا على امن قواته . الا يمكن لصائب سلام او لمؤيديه ان يكفوا عن اطلاق النار العشوائي الذي يمكنه ان يؤدي في اية لحظة الى رد قوي ؟ كان لكلامي اثر واضح . توقف التراشق في اليوم التالي ، ما عدا بعض الرشاشات الخاطفة ، واصبحت الحياة في بيروت اكثر هدوءا . كنت دائم الامتنان لبيل ادي ، الذي سهل هذا اللقاء ، الذي يشكل منعطفا في السياسة اللبنانية ، بعد بضعة ايام تمكنت من لقاء صائب سلام في البسطة .

أما الاتصالات التي اجريتها فيما بعد مع قائد اخر من قادة التمرد ، القائد الدرزي كمال جنبلاط ، فقد ارغمتني على سفر غريب في جبال الشوف حتى قلعته في سبلين . وقد اعد احد النواب ، وهو نائب رئيس الحزب التقدمي ، هذا اللقاء . لم يكن تسلق هذه الطرق الضيقة الوعرة سهلا ، لكن رؤية مسلمين ملتحين مخيفين على طول الطريق زادني قلقا . وعلى الرغم من ذلك فقد كان الاستقبال وديا . كان جنبلاط صديقا حميما للرئيس شمعون ، قبل ان يهزم جنبلاط في الانتخابات النيابية الاخيرة ، واتهم شمعون انه كان سببا في ذلك ، كما ادعى ان المال الاميركي هو الذي مول الحملة التي جرت ضده . كانت افكار جنبلاط السياسية مبهمة . وقد تناوب افراد عائلته على مقاعد المجلس النيابي خلال أربعة اجيال ، لذا كان لهزيمته اثر كبير على نفوذ عشيرته . وبدا لي ان ابعاد جنبلاط كان خطا سياسيا ، الى جانب اخطاء اخرى تاكدت منها قبلا ، تبرهن عن تمسك شمعون بولايته على حساب اصدقائه ومنافسيه معا .

بقي علينا بعد ذلك ان نلتقي شخصية اسلامية اخرى : رشيد كرامي ، الذي كان مختبئا على الشاطيء قرب طرابلس . تمكنت برفقة ماكلينتوك من عبور مناطق المتمردين لزيارته وذلك بفضل مساعدة اللواء شهاب . عندما يكون القائد خارجا على القانون ، وفي خطر مستمر ، لا يمكنه التفكير بشكل طبيعي ، وغالبا ما تكون معلوماته مشوهة . كان كرامي يعتقد ان ناصر لا يهدد استقلال لبنان ، بل الولايات المتحدة هي التي تريد ابقاء شمعون في سدة الحكم . لكن كرامي لا يكن اية مشاعر عدائية ضد الولايات المتحدة . وعندما اصبح رئيسا لمجلس الوزراء فيما بعد ، كنت مسرورا برؤيته في واشنطن .

كان يتردد احيانا اسم ريمون اده نائب جبيل المحبوب ، بين المرشحين المؤهلين لخلافة الرئيس شمعون . دعاني يوما الى زيارة مقاطعته الانتخابية التي تمتد حول المرفأ التجاري الفينيقي القديم . اطلعني مدير متحف جبيل ، بين ذخائر الماضي الساحرة على الابجدية الفينيقية الاولى المنحوتة على الحجر . أما مشاهدة الجرار المائتية المدفونة قبل سبعة الاف سنة فجعلتنا ننظر الى العصيان الحالي بصفاء . بعد أن تحاورنا مع الشخصيات المحلية وتناولنا طعام غداء فخم ، قمنا بزيارة قريتين عربيتين حيث استقبل اده بزخات الرصاص التقليدية وبكثير من المدح وفناجين القهوة . كان اده يعرف ناخبيه جيدا ، وهم يضمرون له بدورهم محبة جلية . ثم اتجهنا نحو نهر ادونيس ، المركز الديني منذ الاف السنين ، حيث كانت تاتي السيدات

رومانيات الوثنيات للصلاة والحصول على
ركات الالهية ، وخاصة الاخصاب . يتدفق
هر من فوهة في الجبل قرب مغارة ، من حيث
هر فجاة مقاتل مسلح ببندقية وجعبتين طويلتين
لقتين على كتفيه . كانت تتقدم سياراتنا
اجتان ناريتان تابعتان للجيش ، ولا بد ان الزي
رسمي لم يعجب المقاتل . بدأ اده يتحادث مع
ذا الجبلي الكثير الشكوك ، لكن رفاقه الذين
نوا يراقبوننا ، ظنوا بأن صاحبهم سيعتقل ،
خذوا يطلقون النار . عندها بدأت مجموعة
دبلوماسيين الاميركيين ، بما فيهم السفير
ميركي ، تتراكض ، متناسية كل اعتبارات
وقار ، نحو السيارات التي انحدرت بسرعة
يتة . عندما استعاد اده انفاسه ورباطة
اشه ، اوضح لنا ، انه لم يكن لدى هؤلاء
حاربين اية نية في قتلنا . فهم رماة مهرة ولو
ادوا قتلنا لفعلوا . فهمت حينها ان على اده
ن يتمتع بصحة جيدة كي يستطيع تمثيل هذه
دائرة في مجلس النواب ، ومع ذلك لم يخلف
ده شمعون في رئاسة الجمهورية .

لم تكن عملية جمع المجلس النيابي سهلة . لان
ددا كبيرا من النواب كانوا مختبئين بعد دخولهم
سفوف العصيان . كما أن شمعون كان لا يزال
خفي نواياه . فقد كان لا يزال مصرا على
رشيح نفسه لولاية ثانية ، ولم يكف عن
سقاط شهاب من اعتبار المعركة ، والتعبير عن
سكوكه حول اخلاصه ، او حول قدرته على
خماد الفتنة ، وذلك خلال النقاشات العديدة
لتي اجريتها معه . اخيرا ، ورغم كل شيء ،
صبح الاجتماع النيابي ممكنا ، وانتهى شمعون
لى القول انه لم يحاول خلافة نفسه ، واعترف
ي بأن اللواء شهاب هو المرشح الوحيد المقبول
رغم كل سيئاته . كنا قد تجاوزنا الاسوأ . هنأت
لرئيس وودعته . كنت اعتبر شمعون صديقا
لولايات المتحدة ، لكنني لم افهم مخططاته
ماما . كان ضحية افراطه وكيده . وخلص الى
خسارة جميع فرصه في السياسة اللبنانية
لمبلبلة .

في ٣١ تموز ، انتخب المجلس النيابي
اللبناني ، اللواء فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية
في دورة الاقتراع الثانية بثمانية واربعين صوتا ، مقابل سبعة اصوات نالها ريمون اده ووجدت ورقة بيضاء . قبل الانتخاب ، استمعت الى عدد كبير من اللبنانيين يتكلمون باحتقار عن شهاب معتبرينه ضعيفا وحتى جبانا . لكن هذا الجو تغير تماما بعد الانتخاب ، فتفاءلت بامكانية المصالحة الوطنية .. كان تقديري لشهاب قد ازداد خلال هذه الاسابيع الصعبة . كان مخلصا للجيش ، وانا متأكد من انه لم يكن يسعى للرئاسة ، رغم ان الطموح السياسي ينمو عند بعض الافراد بسرعة . كان شهاب يتمتع برشد كبير ، وقبل ترئيسه كمساومة لا بد منها لاعادة السلم الاهلي الى لبنان، افهمت وزارة الخارجية الاميركية ، انه علي مغادرة الاراضي اللبنانية عشية انتخابات الرئاسة حتى لا يتهم الاميركيون في التدخل بالعمليات الانتخابية . فجهزوا لي خطة لزيارة بلدان اخرى في الشرق الاوسط ، بعد أيام قليلة من الانتخابات تسنى لي المرور ببيروت فترة وجيزة ، حيث علمت أن كل شيء سار على ما يرام دون فتن او بلبلة ، رغم التنبؤات المشؤومة . كان شهاب قد وزع جنوده بشكل يتجنب فيه محاولات العنف خلال الانتخابات . انتهت الحرب الاهلية . اعتبر ماكلينتوك وهولووي اننا قمنا نحن الثلاثة بعمل جيد يستحق بعض التهاني .

في اليوم التالي لنزول رماة البحرية في بيروت ، جالت طائراتنا النفاثة في سماء لبنان ورمت الاف البيانات التي تحمل صور الرئيس ايزنهاور ، وتشير الى ان القوات الاميركية جاءت الى لبنان بناء على طلب الرئيس شمعون ، وذلك لحماية استقلال البلاد ، وانها مستعدة للانسحاب حين يتأكد استقلالها . غير ان شهاب لم يكن على عجلة من امره في ترحيل القوات . كانت زخات الرصاص تطلق بين الحين والاخر ، وبدا شهاب حريصا على العمل بشكل عام بناء على نصائحنا. كان للولايات المتحدة حوالي اربعة عشر الف رجل في لبنان نهار ١٣ اب حين غادرته فرقة عسكرية، لاظهار نيتنا في الانسحاب . في نفس الوقت ، كان برنامج المساعدة الاميركية قد بدأ يعمل : التجهيزات والمؤن بدأت في الوصول . وثبت للبنانيين اننا لا نتمسك بابقاء قواتنا في بلدهم .

اما سلوك رجالنا فقد كان مثاليا . من ناحية اخرى لم نسجل الا خسارة واحدة ، رقيب قتل برصاصة قناص . عادت فرقتان في ١٤ ايلول . وفي ٢٩ منه غادر اخر رماة البحرية الاراضي اللبنانية ، تاركين وراءهم ٧ الاف جندي من المشاة . أما المظليون فقد غادروا في ٤ تشرين الاول . واستمر هذا الانسحاب التدريجي الى ان انتهى في ٢٥ تشرين الاول . قدرت تكاليف هذه العملية التي دامت مئتي يوم بمئتي مليون دولار . والحديث على الناحية المالية يذكرني بمداعبة السفير التركي سندت دولجر عندما اعلن عن رضاه التام عن المبادرة الاميركية ، لكنه لاحظ ان الكلفة كان يمكن ان تكون اقل لو قامت الولايات المتحدة برشوة جميع اللبنانيين .

في ذلك الوقت ، ومن اجل تسهيل عملياتنا ، انحصر التدخل بالاميركيين ، رغم أن الانكليز كانوا قد انزلوا ٢٥٠٠ مظلي في المملكة الهاشمية المجاورة في الاردن ، كما ايدنا الاسطول البريطاني في المتوسط ، ووضع قواعده في قبرص تحت تصرفنا . اما الولايات المتحدة ، فكانت تمد القوات البريطانية الموجودة في الاردن ، عن طريق الجو ، بالتجهيزات اللازمة من مواد غذائية وعتاد . كما ابقينا على الاتصالات الوطيدة مع حلفائنا الفرنسيين ، واعين لحقيقة نفوذ فرنسة في الشرق الاوسط . وكان السفيران البريطاني ميولتون والفرنسي روش ، يتمتعان بمعرفة عميقة باحوال البلد ، ولم نكن نتمنى استقبالا افضل من الذي قدماه لنا . وقد بعثت الحكومة الفرنسية بالسفينة « دوغراس » لاظهار تضامنها . لكن الاميركيين ، مع تقديرهم لهذه الخطوة رأوا ان الظروف غير مناسبة لهذه الخطوة . اذ ان وجود الفرنسيين يهدد باثارة غضب المسلمين المؤيدين للانتفاضة الجزائرية . وقد توصل السفير روش بلطف كبير الى الاتفاق مع الاميرال جوزان على ترحيل السفينة «دوغراس» قبل ان تعلم اذاعة دمشق بوجودها.

لقد احدث التدخل الاميركي في لبنان اشاعات مجنونة في الشرق الاوسط بأسره . واعتبرت وزارة الخارجية انه من الضروري تطمين بعض رؤساء الدول المجاورة . فتلقيت تعليمات بضرورة القيام بجولة دبلوماسية قبل الرجوع الى واشنطن . وكان من ضمن اهداف هذه الجولة اقناع الرؤساء ، بان تدخلنا سيؤدي الى الاستقرار في الشرق الاوسط . كما اوكلت الي مهمة دراسة مشاكل اخرى ، والتاكد من ازدياد نفوذنا بشكل ملحوظ في هذا الجزء من العالم

بعد انتهاء مهمتي في لبنان ، قمت بزيارة الاردن ، اسرائيل والعراق . اعلمني سفير مصر قبل مغادرتي بيروت ، ان الجمهورية العربية المتحدة ستكون سعيدة باستقبالي في القاهرة كي اقابل الرئيس عبد الناصر . وصول رماة البحرية الاميركيين كان قد فاجأ ناصر ، الذي كان يعتقد حتى الان ان الولايات المتحدة غير قادرة على تقديم اية مساعدة عسكرية لبلد صديق بمبادرتها الخاصة ، وانها لا تصلح سوى للخطابة في الامم المتحدة . عندما جرى انزال القوات الاميركية ، كان ناصر مع الماريشال تيتو في يوغوسلافيا . فاستقل الطائرة فورا الى موسكو ، وذلك في سبيل حث الروس على الرد واظن انه غير رأيه حول التأييد والحماية الروسيتين حين رأى ان آماله لم تتحقق. فنجاحنا في مظاهرة القوة هذه ، التي نجحت بمهارة ودون خسائر ، كان له مفعول ايجابي على ناصر بوصفه عسكريا محترفا .

في مطار القاهرة ، استقبلني ريمون ا. هير سفير الولايات المتحدة ، ومجموعة من الصحفيين المصرين المتوتري الاعصاب الذين طرحوا اسئلة بالغة الاحراج . كان هير زميلا قديما في السلك الدبلوماسي . اخذني بالسيارة الى مقر السفارة الاميركية حيث زارني احد معاوني ناصر ، في سبيل تحديد برنامج محادثاتنا خلال المقابلة التي عين موعدها في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي . ثم اتصل بي هذا الموظف الكبير هاتفيا ليؤكد لي ان برنامج المحادثات قد قبل . غير انه اتصل بي في السابعة من صبيحة اليوم التالي ليخبرني انه خارج لتوه من مقابلة عاصفة مع الرئيس عبد الناصر ، وانه يريد ان يراني فورا . كان ناصر يستفيق عادة متاخرا في الصباح . غير انه استفاق هذا اليوم باكرا ، ليقرأ تقريرا من نيويورك حول الخطاب الذي القاه هنري كابوت لودج رئيس الوفد الاميركي في الامم المتحدة

امام مجلس الامن ، حول تدخل الجمهورية العربية المتحدة في شؤون لبنان الداخلية . كان ناصر بالغ الغضب . اذا كان الموقف الاميركي هكذا ، فلماذا التكلم مع مورفي . شرحنا له ، هير وانا ان خطاب لودج كان مقررا في سياق التحرك في الامم المتحدة . ومن سوء الحظ انه طابق يوم مقابلتي مع ناصر . بعد قليل دعي السفير الاميركي وحده الى مقابلة وزير الدولة علي صبري ، الذي ردد الكلام نفسه . اجاب هير بأن زيارتي للقاهرة جاءت بناء على دعوة المصريين أنفسهم . وانني ساغادر القاهرة على كل حال صبيحة اليوم التالي . انتظرنا حتى السادسة مساء ، وبما انه لم يات اي خبر جديد من ناصر ، اتصلت هاتفيا بمساعد وزير الخارجية راونتري في واشنطن ، وتعمدت ان ابدأ كلامي بهذه الكلمات : « تحدث هنا حالة مضحكة » . هنا ، قطعت مصلحة المراقبة المخابرة ، وكان اعادة الاتصال مستحيلا . راهنت هير ، على اننا سنتلقى اتصالا من ناصر خلال اقل من ساعة . غير انني خسرت الرهان، فقد انتظرنا ساعة ونصف ، الى ان دعانا ناصر للمجيء الى مقره في التاسعة مساء . استقبلنا مع اثنين من وزرائه الرئيسيين دون مراسيم . وكانت محادثات ودية دامت حتى الثانية صباحا، كان ناصر خلالها هو المتكلم في اغلب الاوقات ، ادهشتني قابلية ناصر على الحديث، فتذكرت راي كالفن كولدج : « لا يضرني الذي لا اقوله ».كان ناصر يعرض نفسه لاخطار عديدة وهو ينثر كلامه . كان ناصر مهتما بشكل رئيسي بالتدخل الاميركي في لبنان . ويبدو ، انه قبل تاكيداتي بان لا هدف للتدخل الاميركي سوى المحافظة على استقلال لبنان. كان مقتنعا ، ولو بشكل جزئي ، بان هذا التدخل العسكري سينحصر في لبنان . واشتكى من عدوانية الرئيس شمعون تجاه الحكومة المصرية ، لكن انتخاب شهاب كان يلائمه . واكد بكثير من الكلام احترامه لاستقلال لبنان ، طالما توقفت حملة شمعون العدوانية . وانتهى ناصر الى القول ، انه سيكون سعيدا باقامة علاقات صداقة مع العهد الشهابي .

تمكنت اخيرا من تغيير موضوع النقاش ، وسالته بعض الاسئلة المتعلقة بالمملكة الاردنية، البلد الاول الذي زرته بعد مغادرتي لبيروت . كان من حق الملك الشاب (٢٤ سنة) أن يخاف على استقلال بلده وحتى على حياته . عندما زرت العاهل الاردني في قصره في عمان ، برفقة المسؤول عن الشؤون الامريكية هناك توماس ك. رايت . اشتكى حسين بحدة من عداوة ناصر له ، والمؤامرات التي تدبرها القاهرة ، ومحاولات ابعاد الجيش الاردني عن واجباته . ضحك ناصر عندما ذكرت له الاشاعات التي تقول انه سيغزو الاردن أو يسقط حسين . وقال انه لا يفكر ابدا بزيادة همومه التي تكفيه بشكل كامل . فشكوك حسين لا أساس لها ، ومن الصواب تطمين هذا الشاب . فناصر ، لم يكن يرى اي حل لمشاكل الاردن طالما بقي هذا البلد دون امكانيات لتثبيت استقلاله ومع ذلك ، فقد اكد انه لا يضمر أي ضرر لحسين ، بل هو على العكس من ذلك ، معجب بشجاعته . كان موقف حسين الضعيف وشجاعته الواسعة قد لفتا نظري انا ايضا ، خلال المقابلة التي اجريتها معه في مكتبه في القصر . كان يجلس تحت صورة كبيرة لجده الذي قتل عندما كان حسين في الرابعة عشرة من عمره . كان الشاب قرب جده عندما اعتدي عليهما ، ورصاص القتلة كسر احد ازرار بذلته . اما الان فمملكته الصغيرة محاطة بالثوار في العراق ومنافسيه العرب في سوريا ويهود اسرائيل ، وليس بامكانه ان يثق بأحد منهم . «٢٥٠٠» جندي بريطاني يعسكرون في ضواحي العاصمة ، وليس للاردن غير طريق ضيقة ، وحيدة للتمردين تمر عبر ارض وعرة حتى خليج العقبة . كما ان وجود نصف مليون لاجيء عربي ، يشكلون عبئا لا يطاق على شعب فقير ، فخزائن الدولة فارغة عمليا . ورفض حسين التنازل عن العرش ، رغم سيف ديموقليطس المرفوع فوق رأسه . عندما اخبرت ناصر بان حسين يثق بشكل عام بجيشه ضحك ناصر من جديد وقال : « قلبت ملك مصر بعد خمس سنوات من المؤامرات ، لم تثر شكوك احد . كيف يمكن لحسين ان يكون واثقا بجيشه انت تعرف ماذا جرى في الشهر الماضي لابن عمه الملك فيصل في العراق »

ما جرى في العراق ، كنت اعرفه ، طالما انا قادم من بغداد ، حيث اغتيل الملك فيصل ورئيس

وزارته وولي العهد ، وغيرهم من افراد العائلة المالكة . وخلال مقابلتي لحسين ابدى الملك الشاب آماله في عدم اعتراف الدول الغربية الكبرى بقتلة اقربائه . لكنني كنت اعلم ان الولايات المتحدة ستعترف بالنظام العراقي الجديد في اليوم التالي . اما روسيا السوفياتية فقد بادرت على الفور الى اقامة علاقات دبلوماسية مع الحكومة الثورية ، كما كانت الولايات المتحدة معنية ، بمراقبة الحالةعن كثب. لم يظهر السفير الامريكي في بغداد ، فالديمار ج. غالمان اي حماس عند اعلان زيارتي للعراق ، بعد هذه الفترة القصيرة على الانقلاب لقد كانت مخاوف صديقي في محلها . فما ان ظهرت طائرة ال ت٥٤ ، التي وضعها الطيران الحربي تحت تصرفنا ، حتى امرتها قاعدة حربية عراقية بالعودة ومغادرة الاجواء العراقية . اجاب قائد الطائرة ، بان بغداد سمحت لنا بالمرور . لم نتلق اي جواب . تابعنا طريقنا ، وصلنا المطار حيث الجو رطب والحرارة تصل الى حوالي ٤٦ درجة . استقبلنا السفير الامريكي البشوش وبعض مساعديه وممثلون عن الحكومة العراقية الجديدة . اخبرني غالمان ، ونحن نعبر الشوارع الخالية الا من دوريات عديدة نحو « البيت الابيض » الصغير الذي هو مقر سفارتنا في بغداد ، بالاحوال التي حصلت في المدينة منذ فترة وجيزة .

اما الرجل الذي قاد الثورة عبد الكريم قاسم فاصبح رئيسا للوزراء . اتخذ السفير غالمان التدابير اللازمة لنقوم بزيارته في وزارة الدفاع ، حيث كان يعمل ويقيم في الغرفة التي يشغلها منذ اندلاع الثورة . كانت جحافل حرس الوزارة عصبية ، اكثر مما هي يقظة . وقاسم يحمل مسدسا رشاشا . قاسم ، هو رجل قصير القامة ، حذر قليل التجاوز ، وهذا ما جعل نقاش القضايا التي تهمنا شبه مستحيل ، لولا تدخل وزير خارجيته عبد الجبار جومرد : اشقر ، عيناه زرقاوان ، وهو من مواليد الموصل قيل لي ان جومرد لم يشترك في المؤامرة على الملك فيصل ، لكنه علم فجاة ، عن طريق الاذاعة ، انه عين وزيرا . اخبرني قاسم انه كان يفكر بالثورة منذ سنوات عديدة . وقد دبر مؤامرته بسرية تامة بالاشتراك مع حوالي مئة من زملائه الضباط . وجاء انتقال بعض الوحدات العسكرية بمثابة فرصة انتهزها في تموز حين تمكن المتآمرون من تنفيذ خطتهم بسرعة ، فكانت المفاجاة كاملة . برر رئيس الوزراء انقلابه ، بان الطرق اللاشرعية هي الوحيدة ، التي تسمح لشعب العراق المسكين بالتخلص من ملكية فاسدة . واكد قاسم على الطابع الداخلي للثورة التي جرت لاسباب وطنية اكثر مما هي ايديولوجية . ولم يبد اي اسف للوحشية التي تمت فيها الثورة . قلت لقاسم ، انني اتيت الى بغداد ، كي تفهم حكومتي سياسته بشكل افضل ، كما لفت نظره الى سرعة اعتراف الولايات المتحدة بالحكومة العراقية الجديدة . فهل صحيح ما قيل لي ، ان التدخل العسكري الامريكي في لبنان المجاور يثير الشكوك في صفوف القادة العراقيين . اجابني قاسم بالايجاب ، وابدى شكه في اقتصار الامريكيين على لبنان . كان متاكدا من ان تدخلنا في لبنان ، ليس سوى مقدمة لاجتياح بلده، وكان مصمما على المجابهة. اجبته ، بانني رايت من الطائرة جزءا كبيرا من العراق ، فهذه المساحة الشاسعة من الاراضي الصحراوية ليس لها اية جاذبية من الناحية العسكرية . وذكرت قاسم بان رئيس الولايات المتحدة يتمتع بتاريخ عسكري طويل وحافل، وابديت ملاحظتي لقاسم ، بانه هو ايضا رجل عسكري . فهل يمكنه ان يشير الى سبب واحد يمكنه ان يدفع ايزنهاور الى اجتياح بلد فقير مثل العراق . لفظت عبارتي وانا ابتسم ، ولكن دون اي استهزاء .. وبعد لحظة ، ابتسم قاسم هو ايضا . ويبدو ان عبارتي اثرت عليه . فابدى ارادة في اقامة علاقات صداقة مع الولايات المتحدة وباقي الدول الغربية . غير ان وصول بعثة سوفياتية هامة الى بغداد ، تعمل بعلاقة وثيقة مع حزب شيوعي محلي ، كان يقلق الغرب اشرت لقاسم بهذا ، وراجعت مصير بعض البلدان التي بدأت بقبول المساعدة السوفياتية ، وانتهت الى فقدان استقلالها . عندها ، شرح لي قاسم ، باسلوبه العسكري البسيط ،افكاره حول الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية الضرورية لبلده . واكد لي ، انه لم يفجر ثورته كي يقدم العراق هدية للاتحاد السوفياتي

أو لمصر . بدا قاسم ، وكأنه بهلوان متوازن على خيط ممدود بين موسكو والقاهرة . اعلن ان حكومته تنوي تأييد سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، لكنها ستحترم التزاماتها الدولية ، كما انه كان يخطط لزيادة صادراته النفطية الى الغرب بنسبة ٥٠ ٪ . وعندما علم ان عملاء مصريين بدأوا يتغلغلون في العراق ، اعلم ناصر كما قال لي بهدوء قاس ، ان انابيب النفط العراقية يجب ان تعمل كالمعتاد . لم اشك لحظة ، في ان قاسم سيتخذ موقفا صلبا ، دفاعا عن استقلال العراق . لكن بعد اقل من خمس سنوات ، اغتيل على يد مجموعة من رفاق السلاح الذين يتزعمهم الكولونيل عبد السلام عارف ، المغالي في اعجابه بناصر .

خلال الساعات الخمس ، التي قابلته فيها ، شرح لي ناصر اوضاع الجمهورية العربية المتحدة ، وشرح لي ضرورة الوحدة العربية ، من اجل امن بلد صغير وضعيف مثل مصر ، لكنه لم يشر الى تصوراته حول العراق . افاض في الحديث عن اسرائيل التي زرتها كذلك قبل زيارتي لمصر . ليس هناك مشكلة دبلوماسية اكثر صعوبة من الخلاف العربي ــ الاسرائيلي التي يمكن للوقت وحده ان يأتيها بحل وحتى الان لا يوجد احد ، له مرونة كافية تمكن من ايجاد شكل وساطة . غير ان وزارة الخارجية الامريكية ، كان لها الفضل على الاقل ، في محاولة ذلك بصبر منذ سنوات . كانت علاقتنا مع ناصر مغلوطة بشكل اكيد ، بسبب ايمانه الذي عبر عنه مرارا ، بان الولايات المتحدة ستقف دائما الى جانب اسرائيل مهما حصل . الموقف الامريكي خلال ازمة السويس جعله يشك بذلك قليلا دون ان يقتنع بعكسه . عندما اثرت هذه النقطة ، هز ناصر كتفيه ليفهمني استحالة اي حل . لكنه امتنع عن الادلاء باي تصريح استفزازي ضد جيرانه اليهود . لا بد وان تقدم الاسرائيليين بسرعة البرق في سيناء ، اعطت لناصر وضباطه نظرة اكثر موضوعية للامور .

كنت قد وصلت القدس على الاوتوستراد الممتاز الذي شيد بفضل المساعدة الامريكية . في المدينة المقدسة ، تبين لي ، كم هي الاماكن المقدسة للاديان الكبيرة : المسيحية ، اليهودية والاسلامية ، قريبة من بعضها ، لاحظت الاسلاك الشائكة التي تفصل اسرائيل عن الاردن . في الناحية الاردنية استقبلني الحاكم بلطف كذلك استقبلني اصدقائي في وزارة الخارجية الاسرائيلية على بوابة مندلبوم . اغتنمت الفرصة لزيارة الجامع العمري الكبير وحائط المبكى ، كما قضيت وقتا ممتعا مع مجموعة من الرهبان الارثوذكس . بعدها استقليت السيارة الى تل أبيب لاجراء محادثات مع رئيس الوزراء دافيد بن غوريون . كان متحمسا لمشروع تعاون يسعى له بين اسرائيل وكل من تركيا وايران والحبشة والسودان . وصرح بان اسرائيل ستضطر الى احتلال الضفة الغربية لنهر الاردن دون الاهتمام بالاشكالات الدولية ، فيما اذا استولى ناصر على المملكة الهاشمية ، عبر التخريب أو اية طريقة اخرى . كان بن غوريون ، يأمل في تفهم ناصر لنوايا اسرائيل وامكانياتها الاجرائية . فكرت بحزن ، في وضع الملك الشاب ، وبفشل الجهود الامريكية في سبيل ايجاد حل عربي اسرائيلي .

اتاحت لي هذه السهرة الطويلة التي امضيتها مع ناصر ، الفرصة لتفسير السياسة الامريكية ورغبة الرئيس ايزنهاور ووزير الخارجية دالس في مشاركة الدول الحرة من اجل ايجاد حل لمشاكل الشرق الاوسط الاساسية . غير ان ناصر ادعى ان الولايات المتحدة لعبت مع مصر لعبة القط والفار . قال ان دالس كان فظا فيما يخص بمشروع اسوان ، وان الاتحاد السوفياتي ابدى تفهما اكبر ، وانه يحفظ جميله . عندها ، ذكرته بالمساعدة الكبيرة التي قدمتها الولايات المتحدة لمصر ، وبموقفنا من قضية السويس . ابديت أملا ، في تحسن العلاقات بين مصر وحليفنا الانكليزي ، هنا قاطعني ناصر ، مشفقا على مصير بلده خلال ثلاثة قرون من النير التركي و٧٥ عاما من السيطرة الانكليزية .

ادهشتني حساسية ناصر من انتقادات الصحافة الامريكية . كان يوجد في صالونه مجموعة من الصحف والمجلات الامريكية . اراني بعض المقالات بغضب ، يبدو انه كان يستلذ العثور على اقوال يعتبرها مغلوطة في حقه . شرحت له

ان جميع السياسيين الامريكيين اعتادوا على هذا التصرف . قال لي احد اعضاء الكونغرس يوما ان على رجل الدولة ان يقلق في نقطة واحدة ، هي سكوت الصحافة عنه . فضحك ناصر ،ولكن دون جدل . وانتهى اللقاء في جو ودي . كان انطباعي بان تدخلنا في لبنان ، اوحى لناصر باحترام الولايات المتحدة . اما وطنيته واخلاصه للقضية العربية فلا شك فيهما . امله بتحسين اوضاع ملايين المصريين الفقراء ، يبدو اهلا للتفهم غير انني تركته بشعور من القلق ، فالضغوط التي يتعرض لها ، يمكن ان تؤدي به الى اعمال غير منتظرة وتعسفية .

من القاهرة استقليت الطائرة الى اديس ابابا لان الامبراطور هيلاسيلاسي كان قد طلب من وزارة الخارجية ، ارسال احد كبار الموظفين للتداول في شؤون عاجلة . وبما انني كنت هنا فقد امرتني وزارتي بزيارة الامبراطور قبل عودتي. كان السفير الامريكي ينتظرني في المطار .وكالعادة كان زميلا قديما في السلك الدبلوماسي . السفير دون س. بلس. ورافقني حتى القصر حيث وجدت الامبراطور جالسا مع كلبه الصغير امام موقدة كبيرة تشتعل بالاخشاب . كان الطقس منعشا على ارتفاع اكثر من الفي متر . وانزعجت قليلا من التغير المفاجيء في الطقس . المواضيع الثلاثة التي اراد هيلاسيلاسي بحثها معي كانت تتناول التدخل الامريكي في لبنان ، وسقوط الملكية في العراق ، ونوايا ناصر ضد الحبشة . رحب الامبراطور بتدخلنا في لبنان ، وابدى تاييده لمفعول التدخل في تثبيت الاوضاع في هذه المنطقة من العالم.كان شديد الخوف نتيجة مقتل العائلة المالكة في العراق . وعبر عن قلقه من الاعلام المتزايد الذي توجهه اذاعة القاهرة، نحو الاقلية الاسلامية في الحبشة ، والذي يعتقده مقدمة لتدخل مصري في شؤون مملكته . كما كان يخشى طموحات الروس الذين يديرون مستشفى في اديس ابابا . ويهمه البقاء حذرا في مواجهة اي تدخل شيوعي . كان هيلاسلاسي رجلا ذكيا ووقورا ، ويحمل احساسا حادا بمسؤوليته . كان يتمنى تفهم الاميركيين لمخاوفه.كانت الولايات المتحدة تتعاون مع الحبشة في الكثير من المجالات وحاولت جهدي اقناع الامبراطور بعاطفتنا الفعالة .

بعدها ، وبناء على تعليمات وزارة الخارجية ، استقليت الطائرة الى اليونان ، بعد ان توقفت في مستعمرة عدن البريطانية ، وفي جزيرة رودس اعلمت في عدن عن غزوات يشنها رجال البدو اليمينيون . وفي رودس زرت السفينة حيث تجهيزات اذاعة صوت اميركا . عند وصولي الى اثينا ، حيث كان صديقي جيمس ريدلبرغر يعمل سفيرا هناك ، وهو كذلك عضو قديم في مجموعتي في برلين بعد الحرب ، علمت انني اضعت فرصة اللقاء برئيس الوزراء الانكليزي هارولد ماكميلان ، الذي غادر في المساء الذي سبق وصولي ، بعد ان اجرى محادثات مع الحكومة اليونانية في سبيل ايجاد حل للمشكلة القبرصية . دعانا رئيس الوزراء قسطنطين كرمنلس ريدلبرغر وانا الى بيته القروي يرافقه وزير خارجيته . كنت شغوفا بمعرفة آرائهم حول المسالة القبرصية لكنهم كان قد اشبعوا هذا الموضوع . وطلبوا مني ان اتكلم مرة اخرى عن التدخل الاميركي في لبنان وحول الموقف المتردي في الاردن ، وحول علاقات مصر مع الغرب . كان لليونان مصالح في مصر ، كما لم يكن رئيس الوزراء يائسا من ناصر . كان يرحب بالتدخل في لبنان . ومن ناحيتي اعجبت بالطريقة التي كان يدافع فيها عن المثال الديمقراطي في مواجهة الضغوط الشيوعية المتتالية .

صباح اليوم التالي ، استقليت الطائرة الى لندن ، تلبية لدعوة وزير الخارجية سلوين لويد . امضيت فترتين بعد الظهر والمساء في « الشكرز » البيت الصيفي لرئيس الوزراء ، برفقة سفيرنا جون. هي. ويتني ، وعدد من افراد وزارة الخارجية ، حيث اجتمعنا ، لنبحث وضع الشرق الاوسط بشكل مطول . كنت قد تعلمت ، خلال الحرب ، تقدير زملائي البريطانيين المشتركين في هذا الاجتماع : سلوين لويد ، دافيد اورمسبي غور ، ديريك هوير ، ميلر ، باتريك دين ، وليم هايتر ، افلين شوكبرغ ، مايكل مادو ، وفرانك اكونت . كانت هذه العقول المتمرنة والمليئة بالخبرة،ذات قيمة لا تقدر في المفاوضات الدولية.

في البرنامج البريطاني ، لم تكن قضايا الشرق الاوسط ناقصة : قبرص ، السويس ، العربية السعودية ، البحرين ، قطر ، الكويت ، التواجد العسكري في الاردن ، المقتل البشع للملك فيصل في بغداد . ماذا سيجري في العراق حيث لبريطانيا مصالح كبيرة ؟ هل ستدعم الولايات المتحدة اصدقاءها البريطانيين في الخليج الفارسي ؟ مسائل خطرة ، لان لهذه المنطقة اهمية حيوية بالنسبة للانكليز الذين يعرفونها جيدا . تمنيت احيانا ، لو كان للولايات المتحدة الحماس نفسه تجاه الشرق الاوسط ، حتى ولو كان ذلك فقط لان المملكة المتحدة هي حليفنا الرئيسي . غير ان الحالة ليست كذلك . فمصالحنا المادية والجغرافية مختلفة . لقد خيب الاميركيون امال الانكليز في تعاون وثيق في هذه المنطقة في العالم . وذلك لان المصالح والمخاوف الانكليزية ، ليست بالضرورة نفس مصالح ومخاوف الولايات المتحدة .

بعد ليلة مريحة قضيتها في منزل السفير في لندن ، استقليت الطائرة الى باريس ، لاجراء محادثات برفقة السفير هوتون مع كوفدومورفيل وزير الخارجية الفرنسية ، مرة اخرى راجعنا مجمل قضايا الشرق الاوسط .

التقيت الرئيس ايزنهاور ووزير الخارجية دالس ، مساء اليوم التالي ، في نيويورك ،التي قدما اليها ، للمشاركة في اجتماع الامم المتحدة ، وذلك لمناقشة الموضوع نفسه . دعاني الرئيس للعودة الى واشنطن في اليوم التالي ، على متن طائرته الخاصة ، كي يتسنى له الاستماع لتقرير كامل حول رحلتي واستنتاجاتي . كان تقريري عن الشرق الاوسط ، جاهزا تماما ، بفعل كثرة تلاوته .

خلال رحلتي باسرها ، كنت ابعث يوميا بتقرير طويل الى وزارة الخارجية ، رؤوس الاقلام هذه ، شكلت مادة هذا الفصل ، لكن لدي ، مذكرات كثيرة وحية لاشياء رأيتها . ولم اسجلها في تقاريري الى وزارة الخارجية . لن احتاج قطعا الى ملاحظات ، كي اتذكر مشهد اللبنانيين المستهجن وهو يستحمون ، ويمارسون الغطس تحت الماء والتزلج المائي قرب مراكبنا الحربية الراسية في مرفأ بيروت ..

•

نقل النص الى العربية جاكلين جريصاتي

العلاقات بين اسرائيل .. ويهود اميركا

يوسف حمدان

اعتبرت اسرائيل دائما يهود الولايات المتحدة الاميركية الركيزة الاساسية للمشروع الصهيوني في فلسطين . فهم من جهة يشكلون حوالي ثلثي العدد الاجمالي ليهود العالم خارج الكيان الصهيوني ، وهم من جهة اخرى يتمتعون بنفوذ اقتصادي وسياسي كبير في الدولة العظمى ذات النفوذ القوي في العالم . واذا كان بعض الاسرائيليين يعتقد أن مستقبل اسرائيل مرهون باستمرار دعم يهود الولايات المتحدة اللامحدود لها ، واذا كان بعضهم قد بدأ يتخوف من عدم امكانية استمرار هذا الدعم بصورة قوية ، ونظرا لما يعنيه ذلك بالنسبة لاستمرار الدعم الاميركي الرسمي اللامحدود للسياسة الاسرائيلية ، فمن الضروري مواصلة تناول موضوع تطور العلاقات بين اسرائيل ويهود أميركا باستمرار لما ينطوي عليه ذلك من أهمية بالنسبة لنضال الشعب الفلسطيني .

وقبل ان نتطرق الى عرض وتحليل نواحي العلاقات التي تربط بين اسرائيل ويهود اميركا ، سنعمد في البداية الى اعطاء صورة موجزة عن أوضاع هذه الجالية اليهودية في المجتمع الاميركي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وبصورة خاصة كما تتجلى صورتهم عبر ما ينشر عنهم بواسطة المهتمين بهم من الكتاب والصحفيين الاسرائيليين .

يهود اميركا في المجتمع الاميركي

تفيد الاحصاءات الاسرائيلية والاميركية أن عدد سكان الولايات المتحدة من اليهود يقرب من ستة ملايين . ويتوزع معظم هؤلاء على المدن الكبرى والمراكز التجارية والصناعية الضخمة مثل نيويورك ولوس انجلس ، ويمتاز الاميركيون اليهود بكثرة عدد تنظيماتهم المختلفة ، فبينما يذكر الكتاب السنوي ليهود اميركا الصادر عام ١٩٧٣ . أن عدد المنظمات اليهودية بلغ ٣٤٠ منظمة ذكرت بعض الصحف الاسرائيلية نقلا عن مصادر اميركية يهودية ان ليهود الولايات المتحدة ٤٠٠ منظمة مسجلة و ٨٠٠ منظمة غير مسجلة (١) . ولكن بما يتعلق باسرائيل هناك منظمتان يهوديتان كبيرتان تركزان عمل المنظمات اليهودية الاميركية المختلفة الذي يصب في خدمة اسرائيل وهما : **(١) الجباية اليهودية الموحدة** ، التي تهتم اساسا بالشؤون المالية وتخصص حوالي ٨٠ ٪ من الاموال التي تجمعها لاسرائيل (٢) . **(٢) لجنة الرؤساء** ، وهي مؤلفة من رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية وعددها ٣٢ منظمة ، وقد تأسست على يد ناحوم غولدمان سنة ١٩٥٥ ويرأسها اليوم الحاخام عزرائيل ميلر . وهذه المنظمة تهتم اساسا بالشؤون السياسية وبتنظيم

الدعم السياسي لاسرائيل ، بما في ذلك جماعة الضغط ـ « اللوبي » ـ اليهودية في الكونغرس الاميركي .

ان الحديث عن ستة ملايين يهودي في الولايات المتحدة لا يعني ان كل هؤلاء يشعرون عمليا بانتماءهم للديانة اليهودية ، بل الواضح أن معظم هؤلاء يشعرون بأنهم مواطنون اميركيون بالدرجة الاولى ، ولا يمارسون طقوس الديانة اليهودية ولا ينتمون الى اي تنظيم يهودي او حتى اي كنيس يهودي ، وهم بالتالي لا يمارسون اية نشاطات صهيونية . وهذا الامر دفع بعض الكتاب الاسرائيليين الى القول ان « أكثرية يهود أميركا هم فقط يهود على الورق » (٣) . وبحسب دراسة أعدتها الجباية اليهودية الموحدة عام ١٩٧٢ شكل اليهود اللامنتمون الى اي تنظيم أو كنيس يهودي نسبة ٥٨ر٢ ٪ من مجموع يهود اميركا (٤) . وتوصلت هذه الدراسة ايضا الى أن الشباب والشابات اليهود الذين تزوجوا عام ١٩٧٢ بلغت نسبة من تزوج منهم زواجا مختلطا (أي زواج شاب يهودي من فتاة غير يهودية وفتاة يهودية من شاب غير يهودي) نسبة ٣١ ٪ مما اثار قلق الدوائر الاسرائيلية وجعلها تتوقع انه « حتى أواخر القرن العشرين سنفقد ملايين اليهود، وذلك عن طريق الاندماج التدريجي (٥)».

ان مراقب المنظمة الصهيونية العالمية يقدم تقريرا سنويا الى اللجنة التنفيذية الصهيونية المنعقدة سنويا في اسرائيل . وفي التقرير الاخير (٥ـ١ـ٧٦) حقائق وأرقام اخرى أقلقت الصهيونيين في اسرائيل ، وقد ورد في التقرير المذكور مثلا أن عدد اولاد اليهود في اميركا الذين تتراوح اعمارهم بين ٥ـ١٧ سنة بلغ مليونا و ٧٥٠ الفا ، ولكن فقط أقلية ٧٥٠ ألفا من هؤلاء تلقت بعض التثقيف اليهودي ، وفقط ١٦٠ ألفا من بين هؤلاء يدرسون في مدارس يهودية . وعقب يوسف ترنشتاين رئيس « منظمة صهيونيي أميركا » على هذا الامر بقوله انه « حتى هؤلاء الـ ١٦٠ الفا الذين يدرسون في مدارس يهودية اميركية يتلقون تربية يهودية فقط وليس تربية صهيونية (٦) » .

وعلى الرغم من ضخامة العون الاقتصادي اليهودي الاميركي لاسرائيل فان الاحصاءات الاسرائيلية تقول ان ٢٠ ٪ فقط من يهود اميركا يتبرعون بالمال للجباية اليهودية الموحدة (٧) . ويبدو ان معظم هؤلاء من اليهود المتدينين .

ثلاث طوائف :

وبحسب احصاءات الجباية اليهودية الموحدة ينقسم يهود الولايات المتحدة الى ثلاث طوائف رئيسية :

١ ـ اليهود المحافظون ولهم ٢٣ ٪ من الكنس اليهودية في الولايات المتحدة .
٢ ـ اليهود الاصلاحيون ولهم ١٣ ٪ من الكنس اليهودية في الولايات المتحدة .
٣ ـ اليهود المتدينون ولهم ٩ ٪ من الكنس اليهودية في الولايات المتحدة .

والطائفة الاخيرة تعتبر من انشط اليهود في خدمة اسرائيل وفي مجال الهجرة اليها . ويهتم اعضاؤها اكثر من غيرهم بتربية اطفالهم تربية يهودية وصهيونية . من هنا ان الاحزاب اليمينية المتطرفة في اسرائيل والمتزمتة في منطلقاتها الصهيونية مثل حيروت مثلا ، لا تعترف الا بهذه الطائفة (٨) ، على اعتبار انها تؤمن بأن تعريف الصهيوني « هو كل يهودي يهاجر الى اسرائيل » .

ومن جهة اخرى يقسم بعض الاسرائيليين يهود اميركا الى ثلاث مجموعات :

١ ــ مجموعة صغيرة نسبيا متعصبة دينيا ، « ولا تهتم بالصهيونية كحركة قومية علمانية (٩) » ومع ذلك فعلاقات هذه المجموعة مع اسرائيل قوية وثابتة .

٢ ــ مجموعة تريد اشباع هويتها الاميركية وهويتها اليهودية في آن معا ، عن طريق الاخذ بالنظرية القائلة بوجوب تواجد مركزين لليهود في العالم هما اسرائيل و « بابل » ــ (أي الولايات المتحدة الاميركية) « وهذه النظرية تؤمن بهـا تيارات مختلفـة في اسرائيل نفسها (١٠) » . ويقصد الكاتب الصهيوني أوساط الحركة العمالية وغيرها والتي بدأت تغير موقفها من مقولة أن الصهيوني هو من يهاجر الى اسرائيل وتكتفي بالقول ان الصهيوني هو من يؤمن باسرائيل ويدعمها ماديا وسياسيا حتى وان لم يهاجر اليها.

٣ ــ مجموعة تشكل الاكثرية من يهود اميركاوهي « تفضل بابل على اسرائيل » ولا ترى من واجبها الهجرة اليها او الارتباط بها ثقافيا او حتى دعمها بالمال ! ويؤكد هذا الكاتب بناء على ذلك ان اسرائيل لاتملك قنوات الاتصال مع شرائح واسعة من التجمعات اليهودية في اميركا ، فاسرائيل تعتمد اساسا على اتصالاتها بلجنة الرؤساء التي مع انها تمثل ٣٢ منظمة رئيسية فان « نصف مليون طالب جامعي يهودي مثلا لايوجد لهم اي تمثيل في لجنة الرؤساء هذه (١١) ».

اليهودي « العادي » واليهودي « غير العادي » :

نستنتج ما تقدم أن يهود الولايات المتحدة لايشكلون فئة واحدة متجانسة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وبالتالي فان لهم مواقف متباينة من اسرائيل والصهيونية . ويتضح ذلك اكثر من طرح السؤال التالي : من هو اليهودي الاميركي العادي ومن هو اليهودي الاميركي غير العادي من وجهة النظر الاسرائيلية الصهيونية ؟

الكاتب الصهيوني ابراهام هيرمان (١٢) يعرف اليهودي الاميركي العادي على النحو التالي : « ... انه من مواليد الولايات المتحدة وبصورة عامة ولد والداه ايضا هناك . انه خريج مدرسة ثانوية وفي اغلب الاحوال خريج جامعة . انه لا يهرب من يهوديته بل يشعر انه يهودي ولا يؤمن بمبدأ الاندماج . من ناحية عمله ينتمي الى الطبقة الوسطى او الطبقة الوسطى العليا . معظم معارفه واصدقائه من اليهود . انه ليس متدينا ولكنه يحرص على ان يكون لاولاده ثقافة عامة عن الديانة اليهودية وتقلقه جدا فكرة أن يتزوج اولاده من غير يهود . ينتمي الى كنيس غالبا ما يكون محافظا او اصلاحيا ، يعرف اسرائيل عبر زيارة قام بها اليها هو أو أحد معارفه ولكنه لا يفكر بالهجرة اليها . يتبرع الى الجباية اليهودية وربما اشترى سندات حكومة اسرائيل ليس كتوظيف بل سجلها باسم أولاده لانه اراد مساعدة اسرائيل وربطهم بها رمزيا ونفسيا . يقلق جدا على اسرائيل عندما تتعرض لاي مكروه كما حدث في حرب يوم الغفران (حرب تشرين ١٩٧٣) . عندما يقرأ جريدة ينتبه الى أخبار اسرائيل ويقرأها باهتمام . لا يعرف اللغة العبرية ولا يعرف الكثير عن الديانة اليهودية وفي نفس الوقت يميل الى الاعتزاز بيهوديته ويحترم العارفين بشؤون الديانة اليهودية . لم يصطدم باللاسامية مباشرة ويؤمن بأن ما حدث لليهود في اوروبا لا يمكن ان يتكرر في أميركا » .

أما اليهود الاميركيون « غير العاديين » فيقسمهم هيرمان الى ثلاثة اقسام :

« ١ ــ الشباب اليهود الذين تربوا في بيوت متدينة وتلقوا تربية دينية متزمتة ، وهؤلاء يؤمنون

بأن الحياة اليهودية لا تكتمل الا بالعيش في اسرائيل . وهذه فئة صغيرة ولكنها مصدر مهم للهجرة .

٢ — فئة اصغر من الفئة السابقة وهي جماعة صهيونية فاعلة ولا تنتمي الى اليهود المحافظين.

٣ — مجموعة كبيرة من الزعماء التقليديين لاولئك اليهود العاديين وهؤلاء الزعماء غير عاديين في تفانيهم واخلاصهم لقضايا الجمهور وبانهماكهم المتصل في العمل التنظيمي والشعبي».

الواضح اذن ان القوة اليهودية في اميركا والهالة المحيطة بها غير نابعة من الكثرة العددية ليهود أميركا الذين يشكلون اقل من ٣ ٪ من مجموع السكان ، ولا من كونهم يؤلفون كتلة متماسكة متحدة الاهداف والمواقف ، بل ان وجود مؤسسة يهودية منظمة وفاعلة وذات امكانيات ضخمة وتستغل طبيعة النظام السياسي الاميركي من جهة ، والتركيب النفسي لليهودي الاميركي العادي من جهة اخرى ، هي التي تقف وراء هذه القوة وتجعلها ذات تأثير فعال على الصعيد الاميركي العام وعلى الصعيد اليهودي. وسنوضح دور هذه المؤسسة في سياق هذا المقال .

... جزء من الشعب الاميركي

ان يهود الولايات المتحدة جزء من الشعب الاميركي وهم خاضعون للتأثيرات التي يتعرض لها الشعب الاميركي عامة . وقد لوحظ مؤخرا على سبيل المثال ان التحول الذي طرأ على ما تنشره الصحافة الاميركية منذ حرب تشرين ، وخاصة انتقاد عمليات الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، أثر في الرأي العام الاميركي اليهودي وغير اليهودي على السواء بحيث بدأت ترتفع اصوات يهودية اميركية متزايدة ضد الاستيطان وضد تزمت السياسة الاسرائيلية .

مع ذلك تحاول الحركة الصهيونية باستمرار خلق صفات مميزة ليهود اميركا عن بقية المجموعات الاثنية في المجتمع الاميركي محاولة اقناعهم بأنهم يهود قبل أن يكونوا اميركيين وتحاول ارهابهم ببعبع « اللاسامية » التي قد تظهر في اميركا — على حد قولهم — مثلما ظهرت في اوروبا ولذلك عليهم الاسراع بانقاذ انفسهم عن طريق الهجرة الى « ملجأ اليهود » اي الى فلسطين المحتلة . فمثلا قال المهولون بخطر اللاسامية ان الولايات المتحدة قد تتعرض الى أزمة اقتصادية سيكون أحد نتائجها رد فعل معاد لليهود . وقال هؤلاء ان مرور الولايات المتحدة بثورة اجتماعية سيؤدي الى رد فعل من اليمين الاميركي ضد اليهود ، لان لهم دورا بارزا في اوساط الراديكاليين والليبراليين . وقال هؤلاء ايضا انه بعد انتهاء حرب الفيتنام سيكون هناك رد فعل غاضب ضد اليهود في الولايات المتحدة .

ومع أن كل هذه التوقعات لم تتحقق فان حملة التخويف مستمرة .

فمثلا نشرت في العام الماضي دراسة لاستاذ يهودي من كلية علم الاجتماع في جامعة هارفرد الاميركية (١٣) استنتج فيها ان يهود اميركا معرضون لاخطار « اللاسامية » منذ اواخر الستينات وذلك لبروز ثلاث ظواهر :

١ — ظهرت في الولايات المتحدة حركة ضد التمييز العرقي والجنسي وضد اصحاب الامتيازات واليهود يعتبرون من اصحاب الامتيازات البارزين ومن دلائل ذلك مثلا انهم — اي اليهود — يشكلون

نسبة ٣ ٪ فقط من مجموع سكان الولايات المتحدة في حين تصل نسبتهم بين أساتذة الجامعات المرموقة في الولايات المتحدة الى ١٩ ٪ .

٢ ــ بدأ الاهتمام ينصب على المجموعات الاثنية في المجتمع الاميركي ويجري القيام باعداد الدراسات والاحصاءات المختلفة حول هذا الموضوع . وهذا الامر سيساعد على كشف من هم أصحاب الامتيازات الذين يأخذون من المجتمع اكثر مما يستحقون . واليهود يحتلون مراكز حساسة وبارزة في الاماكن الهامة ومكاسبهم بارزة بشكل « يقلع العيون » .

٣ ــ العامل السابق يصبح خطيرا عندما يضاف اليه العامل الثالث : **اسرائيل** . فاليهود يطلبون الكثير الكثير لدعم اسرائيل « واليوم لا توجد أمة كبيرة مستعدة ان تقف ضد القوة العربية والارهاب العربي وان تظهر كصديقة لاسرائيل سوى الولايات المتحدة ... » ان المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل تفوق حجم كل المساعدات الخارجية الاميركية وهذا الامر يضع اليهود في موضع الارتباك والانفضاح فهم من جهة مكشوفون اثنيا ومن جهة ثانية مكشوفون كطالبي عون مبالغ فيه لاسرائيل . وهكذا بدلا من ان يظهر اليهود مثل سواهم في المجتمع الاميركي تبرزهم كمميزين عن سواهم . هناك مثلا في الولايات المتحدة ايرلنديون ويونانيون يؤيدون بلادهم الاصلية ولكنهم لا يطلبون من الولايات المتحدة ان تقدم لها الكثير . فعندما غزت القوات التركية قبرص عام ١٩٧٤ ثار اليونان الاميركيون وتظاهروا . فماذا كان مطلبهم ؟ كل ما طلبوه هو ان لا ترسل الولايات المتحدة الاسلحة الى تركيا عدوة بلادهم الاصلية (١٤) » .

اما المخرج الذي يقترحه الاستاذ المذكور فهو اقناع الرأي العام الاميركي بواسطة اليهود ووسائل اعلامهم هناك بأن الولايات المتحدة التي تدين بمبدأ المحافظة على حقوق الافراد ومساعدتهم لا يكفي ان تساعد الافراد فقط بل عليها مساعدة الامم ايضا بحيث يكون في ذلك تبرير لمساعدة اسرائيل . وهو في الواقع بدلا من ان يقترح حلولا ليهود اميركا من اخطار قد يتعرضون لها في وطنهم بسبب الدعم الهائل لاسرائيل على حساب الشعب الاميركي ، يحاول دفعهم لمزيد من التورط في نفس الاتجاه . وليس هذا غريبا اذا ما علمنا ان بعض الصهيونيين يتمنون فعلا ان تظهر في اميركا موجة «لاسامية» لان الوسائل الاخرى لم تنجح حتى الان في حمل اليهود الاميركيين على الهجرة من وطنهم الى فلسطين المحتلة .

مع ذلك يبدو ان كل هذا التخويف لا يحقق النتائج المرجوة منه بدليل ان الهجرة اليوم من الولايات المتحدة الى اسرائيل تعاني هبوطا مستمرا في حين تتصاعد الهجرة من اسرائيل الى امريكا ، حيث تقدر المصادر الاسرائيلية ان اكثر من ربع مليون اسرائيلي هاجروا الى امريكا . وقد ذهبت صحيفة اسرائيلية الى القول انه « منذ حرب اكتوبر اصبحت الهجرة اليهودية من امريكا واصبحت الفكرة الصهيونية فيها تمران في حالة احتضار » (١٥) .

العلاقات بين اسرائيل ويهود اميركا

يمكن النظر الى مجموع العلاقات بين اسرائيل ويهود امريكا من اربع زوايا :

١ ــ من الناحية الايديولوجية
٢ ــ من الناحية السياسية
٣ ــ من الناحية الاقتصادية
٤ ــ من الناحية الطبيعية ــ أي الهجرة .

العلاقة الايديولوجية

يأخذ الصهيونيون في اسرائيل على يهوداميركا ان ارتباطهم بالايديولوجية الصهيونية ضعيف ، بل وآخذ بالتلاشي باستمرار . ولكن تقييم هذه الناحية متباين بحسب التيارات الصهيونية داخل الاحزاب الاسرائيلية المختلفة . فهناك اوساط واسعة في الحركة العمالية الحاكمة في اسرائيل تميل الى التسليم بوجود مركزين كبيرين لليهود : اسرائيل وأمريكا . وتبدي استعدادها لاعطاء شهادة صهيونية لكل يهودي يدعم اسرائيل سياسيا وماليا كما عبرت عن ذلك تصريحات قادة المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية التي تعاقب على رئاستها رجال من حزب العمل مثل اريه بنكوس وبنحاس سابيرويوسف الموجي . ولكن الاحزاب اليمينية وخاصة حيروت والمتدينون ما زالوا يتمسكون بالمبدأ القائل ان الصهيوني وحتى اليهودي لا تكتمل صهيونيته أو يهوديته الا عندما ينتقل للعيش في « ارض اسرائيل » .

فاذا كان موضوع الهجرة الى اسرائيل هو المقياس لصهيونية يهود امريكا يمكننا القول اليوم ان الايديولوجية الصهيونية ، بهذا المعيار تكادتكون معدومة في الولايات المتحدة لان هجرة اليهود الامريكيين الى اسرائيل التي كانت ضعيفة دائماكادت تتوقف كليا منذ حرب تشرين ١٩٧٣ ، كما شهدت على ذلك الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية .

مع ذلك قد يكون صحيحا ان معظم يهود امريكا يؤمنون بوجود اسرائيل كما يزعم الاسرائيليون ولكن هؤلاء يفضلون العيش في الولايات المتحدة ويكتفون بالتأييد السياسي والمالي كتعبير عن تعاطفهم معها . اما الاقلية من يهود امريكا التي تؤمن بوجوب العيش في اسرائيل فترى ان اسرائيل بمجتمعها القائم « خالية من المضمون اليهودي الروحي الذي قد يجعل منها مركز جذب للاخرين » (١٦) .

ان مجتمع اليهود في امريكا مختلف عن مجتمع اليهود في فلسطين المحتلة . فيهود امريكا اكثر تسامحا وليبرالية ، ربما بحكم كونهم اقلية في الولايات المتحدة : ان ظاهرة تعاظم اليمين في اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لم ترافقها ظاهرة مماثلة لدى يهود امريكا ، فحركة «غوش ايمونيم » الاستيطانية في اسرائيل لا تجد تأييدا الا لدى القليلين من اليهود في امريكا وهؤلاء يشكلون اقل من عشر يهود امريكا «وعندما ادلى الدكتور كيسنجر بتصريح ضد الاستيطان الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة لم يرتفع ضده صوت يهودي واحد » (١٧) .

وهنا يبرز السؤال : لماذا هذا الدعم الكبير سياسيا واقتصاديا ؟ هناك عدة عوامل قد يكون اهمها ما يلي :

١ ــ المؤسسات والمنظمات التي تتزعم اليهود في امريكا تجني مكاسب اقتصادية وسياسية من وراء جمع وتنظيم الدعم لاسرائيل . ولدى هذه المؤسسات وسائل ضخمة لتحقيق اهدافها في مختلف الميادين .

٢ ــ عقدة الاضطهاد عند اليهود الذين هاجر اباؤهم واجدادهم من اوروبا الشرقية الى امريكا منذ بداية القرن . ويلاحظ انه عندما يزور زعيم اسرائيلي الجاليات اليهودية في امريكا يقبل عليه اليهود الامريكيون ويصغون الى خطبه ومحاضراته وكلما كان هذا الزعيم الاسرائيلي متطرفا اكثر فان حماس اليهود الامريكيين يكون اكبر . ويحدث العكس اذا كان الزائر معتدلا في ارائه وقد حدث ان قاطع هؤلاء ندوات لاشخاص مثل متتياهو بيلد واوري افنيري . ويفسر اوري افنيري هذه الظاهرة قائلا انهم يعيشون عقدة نفسية عميقة بسبب ماضي ابنائهم في اوروبا

الشرقية ويشعرون بعقدة نقص تجاه الانكلـــوساكسون وهم لذلك يريدون ان تكون اسرائيل قوية متعجرفة وتعامل الغير بقســوة مثلما كان القياصرة يعاملون اجدادهم . انهم يريدون اقناع عقدتهم النفسية ولكن ليس الى حد الاصطدام بالادارة الامريكية الامر الذي يهدد مصالحهم في الولايات المتحدة (١٨) .

العلاقة السياسية

المقصود بهذه العلاقة ناحيتان اولا : مـدى مشاركة يهود امريكا او زعاماتهم في اتخاذ القرار في اسرائيل . ثانيا : النشاطات السياسية التي تقوم بها هذه الزعامات ومؤسساتها داخـل الولايات المتحدة من اجل دعم اسرائيل سياسيا . فمن ناحية المشاركة في القرار الاسرائيلي يبدو ان هذا الامر معدوم تقريبا ولكن ظهرت في السنوات الاخيرة مطالبة يهودية امريكية بالمشاركة في الحياة السياسية في اسرائيل وقويت هذه المطالبة بعـد حرب تشرين ١٩٧٣ (١٩) .

اما الناحية الثانية والاهم فهي مجمـــوع النشاطات السياسية التي تقوم بها المؤسسات والمنظمات اليهودية الامريكية بهدف التأثير على مؤسسات الحكم والادارة في امريكا وعلى الرأي العام الامريكي واليهودي فيها . هذه النشاطات التي كثيرا ما تتخذ طابع الضغط والابتزاز . فما هي المنظمات الصهيونية الرئيسية التي تقـــوم بهذه النشاطات ، وما هي ميادين نشاطاتها :

١ ــ **«الدهليـز» اليهـودي في الكونغـرس** وهو اهم دهاليز الضغط الصهيونية في مؤسسات الحكم والادارة الامريكية ويتمثل هذا الدهليز بلجنة مشكلة من رؤساء لاربع عشرة منظمـة صهيونية في الولايات المتحدة وتنتحل هذه اللجنة اسم «اللجنة الامريكية الاسـرائيلية لشـؤون الجمهور » « A. I. P. A. C. » ووظيفتها « **تركيز** كل الجهود من اجل اسرائيل في الكونغرس» (٢٠) اي ان هذه اللجنة المتمركزة في الكونغرس تؤثر على اعضائه ومواقفهم بواسطـة قوة وامكانيات ١٤ منظمة صهيونية قوية تقف وراءها في امريكا وتؤثر هذه اللجنة في نفس الوقت على نتائـج انتخابات اعضاء الكونغرس وعلى تعيين مستشاريهم ومساعديهم . ويترأس هذه اللجنة منذ بداية ١٩٧٥ موريس امتياي وهو شاب يهودي «٣٩ سنة» وقد شغل منذ عام ١٩٧٠ منصب مساعد السيناتور اليهودي ابراهام ريبيكوف . وفي منصبه هذا نشط كثيرا في « الشؤون اليهودية » مثل تقديم المساعدات الى اسرائيل وتعديل جاكسون حول الهجرة من الاتحاد السوفيتي وغير ذلك . وهو المسـؤول الاول عن تشكيل مجموعة من المساعدين اليهود لاعضاء الكونغرس الذين ينشطون في العمل على دعم اسرائيل . ونشاط امتياي هذا دفع رؤساء المنظمات اليهودية الى تعينه رئيسا للجنـة المذكورة .

ويمكن الوقوف على طبيعة نشاط امتياي ولجنته في الكونغرس من قراءة مقابلة اجرتها معه صحيفة **نيويورك تايمز** في أول آب ١٩٧٥ . ومن جملة ما قاله للصحيفة : «لم يحدث مرة ان خسرنا أية معركة جدية «لصالح اسرائيل» في الكونغـرس ... الدراسة التي تعدها منظمتنا هي من افضل الدراسات التي تعد في واشـــنطن . نحـــن مشتركون بجريدة **الجيروزالم بوست وبيروت ستار** واكثر من ذلك : **انني اعرف جيـدا كل هـؤلاء الناس في وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية** . نحن قادرون ومؤثرون ولدينا ما نبيعه للامريكيين : ما هو حسن لاسرائيل حسن لامريكا ايضا ... اذا كنت تحاول ان تحصـل على شيء فمن الافضل ان تستخدم ضغطا مبالغا فيه بدلا من ان تستخدم ضغطا اضعـف ممـــا يجب » (٢١)

وقد لوحظ ان هذه التصريحات اثارت غضب بعض الاميركيين ، وحتى بعض زعماء المنظمات اليهودية الذين عارضوا هذه التصريحات قائلين : « انه كلما سمع من الدهليز اليهودي اقل كلما كان نجاحه اكبر » ولكن البعض فسروا ذلك على انه خلاف بين جيل الزعماء الشيوخ الذين يفضلون اتباع التوسل والالحاح وجيل الزعماء الشباب الذين يفضلون الضغط المباشر واظهار القوة . ويبدو ان في الموضوع مسألة توزيع ادوار حيث ان امتياي ورفاقه يتولون مهمة استعراض العضلات والترهيب بين حين واخر ، واما الزعماء الشيوخ مثل عزرائيل ميلر (رئيس لجنة الرؤساء) فيعملون على امتصاص ردود الفعل الغاضبة التي قد يثيرها استعراض العضلات . ومهما يكن شأن تصريحات امتياي هذه فيمكن القول بصورة عامة ان جماعات الضغط وسائر المنظمات الصهيونية تتبع عادة طريقة العمل بصمت في مجال التأثير على رجال الحكم والادارة في اميركا .

ويعتبر الكونغرس الاميركي اهم جهاز يمكن التأثير منه على السياسة الامريكية ، فأول ما يهم النواب فيه هو جمهور ناخبيهم من ولاياتهم ومناطق انتخابهم وتعمد المؤسسة الصهيونية بواسطة اعلامها وامكاناتها الى التأثير على الرأي العام في كل ولاية لجهة انتخاب المرشح المؤيد لاسرائيل . وللكونغرس دور فعال في رسم سياسة البيت الابيض الخارجية ووضع ميزانية المساعدات الخارجية خاصة اذا كان الحزب المعارض يتمتع بالاغلبية كما حدث في الانتخابات الاخيرة لمجلس الشيوخ والنواب . والكونغرس يؤثر ايضا على معركة انتخابات الرئاسة من خلال التأثير على اعضاء المؤتمر الوطني لكل من الحزبين والرأي العام .

وقد اتضحت قوة الضغط اليهودي على الكونغرس من حقيقة ان البيت الابيض « احتاج اكثر من مرة الى دعم اسرائيل بهدف اقرار ميزانية المساعدات الخارجية ففي السنوات الاخيرة لحرب فيتنام عمد البيت الابيض الى ربط ميزانية المساعدات لاسرائيل مع مصاريف الحرب في جنوب شرق اسيا لكي يصادق الكونغرس على مجموع الميزانية بفضل مصادقته الاكيدة على المساعدات لاسرائيل ... » (٢٢) .

٢ ــ **لجنة الرؤساء** : وتركز هذه اللجنة، المؤلفة من رؤساء ٣٢ منظمة صهيونية ، النشاطات السياسية وتنسق بين جهود جاليات الولايات المتحدة لخدمة مصالح اسرائيل ، وتستطيع بامكاناتها المتوفرة وخلال وقت قصير جمع عشرات الالوف من اليهود بهدف التظاهر في المدن الاميركية تأييدا لاسرائيل ، « وهي تعمل بوحي من حكومة اسرائيل وتمشيا مع سياستها الرسمية دون اي تدخل في شؤون اسرائيل الداخلية » (٢٣)

٣ ــ الجباية اليهودية الموحدة التي تركز الجهد المالي الضخم وتخصص ٨٠ بالمئة منه لاسرائيل ويفترض في هذه المنظمة من الناحية القانونية ان لا تتدخل في الشؤون السياسية ، وان تخصص الاموال التي تجمعها في الاعمال الخيرية والانسانية ولكن تلك الاموال المعفاة من الضرائب تصب في مجال تسليح اسرائيل بصورة رئيسية ويخصص جزء منها لتمويل مختلف الاحزاب الاسرائيلية وعمليات الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة. وهذه المنظمة لا يوجد لديها اي اشراف على كيفية تصرف اسرائيل بالاموال التي تقدمها لها .

٤ ــ « بني بريت » واهم جهاز في هذه المنظمة الصهيونية لجنة تنتحل اسم « لجنة مكافحة التشهير » وهي بمثابة جهاز مخابرات صهيوني واسع يلاحق رجال السياسة والاقتصاد والاعلام الاميركيين ويكشف عن كل من « يعادي اسرائيل واليهود » ويشهر بهم .ويوجه اليهم الضغوط بمختلف الوسائل . وقد نشط هذا الجهاز مؤخرا بملاحقة كل شركة اميركية تبدي استعدادا للتجاوب مع المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل .

اضف الى ذلك اجهزة الاعلام وشركات العلاقات العامة التي تسيطر عليها هذه المنظمات . وهذا

لا يقتصر على اجهزة الاعلام الرئيسية في المراكز الكبرى كنيويورك وكاليفورنيا بل ان هذه المنظمات تحرص على ان تكون لها صحف خاصة ونفوذ في باقي الصحف في كل ولاية بهدف التأثير على الرأي العام فيها لما ينطوي عليه ذلك من اهمية بالنسبة لانتخابات اعضاء الكونغرس والانتخابات الرئاسية .

وباختصار يقوم الدعم السياسي لاسرائيل على الاسس التالية :

أ — خلق جماعات ضغط في مؤسسات الحكم والادارة ، ففي النظام الاميركي يوجد « تطابق مصالح » بين الناخب والمنتخب . واستغلال طبيعة هذا النظام بهدف توجيه الضغط على الاعضاء المنتخبين في مجلس النواب والشيوخ والمؤتمرات الوطنية للاحزاب المنعقدة قبيل الانتخابات الرئاسية بهدف خدمة مصالح اسرائيل.

ب — القيام بنشاط واسع من اجل التأثير على نتائج الانتخابات الرئاسية واهم وسيلة متبعة لذلك العمل على انتخاب « اصدقاء اسرائيل » اعضاء في مؤتمرات الحزبين الجمهوري والديمقراطي . هذه المؤتمرات التي يتم فيها انتخاب مرشح الحزب لرئاسة الجمهورية وكذلك التأثير عن طريق الاعلام على ناخبي هؤلاء الاعضاء في ولاياتهم . فلأن الولايات المتحدة تتبع اسلوب المناطق الانتخابية الجارية تستغل المؤسسة الصهيونية حقيقة ان فورد هو رئيس غير منتخب ويخوض الانتخابات لاول مرة بهدف الضغط عليه من اجل ملائمة برنامجه السياسي مع مصالح اسرائيل .

ح — القيام بنشاط اعلامي واسع يستهدف الرأي العام اليهودي والاميركي وحتى مندوبي اعضاء الامم المتحدة المقيمين في نيويورك عن طريق أجهزة الاعلام المختلفة وتنظيم المظاهرات الحاشدة.

العلاقة الاقتصادية

وتقوم هذه العلاقة على الدعم الاقتصادي الضخم الذي تعتمد عليه اسرائيل ويمكن تقسيمه الى قسمين :

١ — ما تجمعه الجباية اليهودية الموحدة المتخصصة بجمع اموال التبرعات من يهود اميركا وقد بلغ مجموع ما قدمته هذه الجباية الى اسرائيل من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٥ مبلغ ٢٢١٤ مليون دولار (٢٤) .

٢ — المساعدات والقروض الضخمة التي يقرها الكونغرس من ميزانية الولايات المتحدة لمساعدة اسرائيل ، والتي تفوق كل ما تقدمه الولايات المتحدة من « المساعدات الخارجية » لباقي دول العالم . وللمؤسسة الصهيونية كما اسلفنا ، دور رئيسي في دفع الكونغرس الى اقرار هذه الميزانية كل عام .

وبالاضافة الى ذلك تعمل اسرائيل والمؤسسة الصهيونية في اميركا ، على دعم الاقتصاد الاسرائيلي بالوسائل التالية :

أ — توظيف رؤوس الاموال الاميركية في اسرائيل وخاصة في الفروع التي تدعم قدرتها الاقتصادية.

ب ــ توظيف احدث الخـــبرات العلمية والتكنولوجية في فروع الاقتصاد الاسرائيلي .

ج ــ توظيف الاموال عن طريق شراء سندات دين خاصة بالحكومة الاسرائيلية ومنظمة اليونرز الصهيونية .

د ــ تشجيع التبرع الى الجباية اليهودية .

الهجـــرة

رغم كل الوسائل التي تتبعها المؤسســـة الصهيونية لدفع يهود اميركا للهجرة الى اسرائيل يبدو ان الجاليات اليهودية الاميركية غير متحمسة لمغادرة وطنها الى اسرائيل . ان اعلى رقـــم حققته الهجرة اليهودية من اميركا الى اسرائيل في سنة واحدة لم يزد على ٧ــ٨ آلاف مهاجـــر على الرغم من كون الولايات المتحدة تحتوي على اكبر تجمع يهودي في العالم .

وقد اعترف السفير الاسرائيلي في واشنطن (٢٥) بأنه اذا كان لدى الشباب اليهـود في اميركـا بعض المشاعر الصهيونية فان هذا الشعور لايشتمل على تحسس « واجب الهجره الـــى اسرائيل » . ودعا الى اتباع الطرق التاليـــة لتشجيع هذه الهجرة :

١ ــ استجلاب طلاب يهود من اميركا للالتحاق في الجامعات الاسرائيلية لمدة سنة واحدة ، على امل ان يمددوا اقامتهم فيها .

٢ ــ افتتاح جامعات اميركية في اسرائيل . ولاتوجد حتى الان مثل هذه الجامعات .

٣ ــ تشجيع رجال الاعمال اليهود في اميركا على بناء المدن والضواحي في اسرائيل والتي تلائم متطلبات سكنى اليهود الاميركيين .

وقد عبر اهود ابريئيل ، قنصل اسرائيل العام في شيكاغو ، عن يأسه من امكانية الهجرة مـــن اميركا الى اسرائيل ، ودعا فقط الى محاولـــة اعادة الاسرائيليين الذين هاجروا من اسرائيل الى مدن الولايات المتحدة (٢٦) .

واعترفت صحيفة دافار شبه الرسمية (٢٧)، ان اسرائيل تواجه في مسألة الهجرة من اميركا فشلا مضاعفا . فمن جهة توقفـت الهجرة مـــن اميركا ، ومن جهة ثانية زاد عدد المهاجريـــن الاسرائيليين اليها . ودعت الى اتباع الوسائل التالية لتشجيع الهجرة الى اسرائيل مـــــن اميركا .

١ ــ اغراء المتقاعدين من يهود اميركا في ان يقضوا اوقاتهم على شواطىء فلسطين المحتلـة بدلا من شواطى كاليفورنيا وفلوريدا . لكـــــي يصرفوا دولاراتهم في اسرائيل .

٢ ــ اغراء الشباب اليهود الثائرين ضـــد التقاليد الى البحث عن اساليب حياة جديدة فـي اسرائيل بدلا من ان يتحولوا الى « يساريـــن وهيبيين » .

٣ ــ العمل على اعادة ربع مليون مهاجـــر اسرائيلي من اميركا بواسطة حملة دعاية واغراء.

وكانت الصحيفة نفسها (٢٨) قد دعت الى تركيز الاهتمام بالفقراء من يهود اميركا وهم الذين لا يزيد دخلهم على ٥٠٠٠ دولار في السنة، وعددهم حوالي نصف مليون يهودي .

وذكرت الصحيفة نفسها ان هؤلاء لا يعرفون اسرائيل لانهم لا يزورنها لاسباب مادية . واتهمت الصحيفة الاجهزة الصهيونية المختصة باهمال هذه الفئة من اليهود الفقراء .

ولعل من العوامل التي تجعل الهجرة اليهودية في اميركا الى اسرائيل ضعيفة ما يلي :

١ — اليهود الاميركيون غير مستعدين للتخلي عن رفاهيتهم الاقتصادية في اميركا والتي لايجدونها في اسرائيل .

٢ — الخوف من الاوضاع الامنية بسبب عمليات المقاومة الفلسطينية واحتمالات الحرب مع الدول العربية.

٣ — بعض اليهود الاميركيين يعرف ان اسرائيل دولة تقوم على وطن الشعب الفلسطيني المغتصب بالقوة .

٤ — المتدينون اليهود في اميركا يزعمون انهم يستطيعون ممارسة حياتهم اليهودية في اماكن تجمعاتهم في اميركا اكثر مما يستطيعون ذلك في اسرائيل التي يخلو مجتمعها من المضمون الروحي — على حد قولهم — والكل فيها يسعى وراء المال وهي مهمة اسهل بكثير في اميركا نفسها" .

قلق على مستقبل العلاقات ؟

يجمع المراسلون الاسرائيليون في الاونة الاخيرة على ان علاقات اسرائيل بيهود اميركا آخذة بالضعف والفتور . وقد شنت الصحف الاسرائيلية حملة على يهود اميركا لانهم على حد زعمها لم يفعلوا ما فيه الكفاية لمواجهة قرارات الامم المتحدة التي عرفت الصهيونية كحركة عنصرية .
من ناحية اخرى شكت الدوائر الاسرائيلية من تزايد قوة الاعلام العربي في اميركا واحتمالات تأثيره على الرأي العام الاميركي وبضمنه الرأي العام اليهودي هناك . خاصة وان منظمات وشخصيات يهودية اميركية بدأت مؤخرا تدين بصوت عال سياسة التوسع الاسرائيلية وتزمتها في التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني العادلة .

ومهما يكن من امر فان اهم ما قد يؤثر على نوعية العلاقات بين اسرائيل ويهود اميركا هو الوضع العربي العام وممارسات العرب السياسية والعسكرية والاعلامية ونمو قوتهم الذاتية . وكذلك وضع الكيان الصهيوني المتأثر حتما بالوضع العربي . ولايضاح ذلك نورد الملاحظات التالية :

١ — حرب تشرين عام ١٩٧٣ وحظر النفط العربي خلال تلك الحرب ، كانا عاملين هامين في انتشار النقد اليهودي الاميركي لاسرائيل . وهناك شخصيات يهودية اميركية سكتت عن الاحتلال الاسرائيلي قبل وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ولكنها بدأت عقب حرب تشرين تنتقد نوايا التوسع الاسرائيلية ولو بدافع الخوف من ان سياسة التوسع والتصلب التي تنتهجها الحكومة الاسرائيلية في ظل نمو قوة العرب ، قد تؤدي الى انهيار الدولة الصهيونية في المستقبل . ان القوة التي اظهرها العرب وتضامنهم النسبي خلال تلك الحرب جعلا الكثيرين من يهود اميركا يشعرون بانهم بمراهنتهم على اسرائيل ، انما يراهنون على « حصان خاسر » .

٢ — يهود الولايات المتحدة جزء من المجتمع الاميركي ، ويخضعون للتأثيرات التي يخضع لها المجتمع الاميركي ككل . وكل كسب اعلامي عربي على صعيد الصحافة الاميركية يؤثر على مواقف الشعب الاميركي ايجابيا وبضمن ذلك يؤثر على اليهود الاميركيين ومواقفهم.

٣ — علاقات يهود اميركا باسرائيل هي علاقات مصلحية بالدرجة الاولى . فمثلا نجاح المقاطعة الاقتصادية العربية في التأثير على تعامل الشركات الاميركية مع اسرائيل قد يؤدي الى النتائج ذاتها مع الشركات اليهودية الاميركية.

٤ — ان كون يهود الولايات المتحدة يعانون من العقدة النفسية التي اشرنا اليها انفا ،والتي تجعلهم يميلون الى رؤية اسرائيل قوية وقاسية وتعامل الغير بفظاظة مثلما فعل القياصرة مع اجدادهم . هذه الحقيقة قد تجعلهم يتنكرون لاسرائيل اذا ما ظهرت ضعيفة ومغلوبة على امرها . ولعل هذه الحقيقة هي التي جعلت يهود اميركا يلتفون حول اسرائيل بعد نصرها في عام ١٩٦٧ وجعلتهم ينتقدونها بعد الضربة التي تلقتها في حرب ١٩٧٣ .

٥ — ان اليهودي الاميركي الذي يشعر انه يضحي بالكثير من ماله من اجل اسرائيل ، يصاب بخيبة امل كبيرة عندما يصل الى علمه ان المجتمع الاسرائيلي يتخلله الكثير من مظاهر الفساد . وان مسؤولين اسرائيليين كبارا من مدنيين وعسكريين وجدوا متورطين بالرشوة والكسب غير المشروع كما ظهر بشكل خاص في اعقاب حرب ١٩٧٣ ، وتأكيدا لذلك يقول البروفسور امنون روبنشتاين في معرض نقده لعلاقات يهود اميركا واسرائيل : « من اجل ان تقوي العلاقات بين اسرائيل ويهود اميركا ، يجب ان تجري عمليات جراحية عميقة في داخل المجتمع الاسرائيلي نفسه » (٢٩) .

٦ — ان مظاهر الضعف والانتكاسات التي تتعرض لها اسرائيل تؤثر سلبيا على يهود اميركا. وفي نفس الوقت فان مظاهر القوة في العالم العربي تؤثر ايجابيا على الجاليات العربية في الولايات المتحدة وتقدم لها الفرصة والقدرة على زيادة وتحسين نشاطها السياسي والاعلامي لدعم القضية العربية على صعيد الرأي العام الاميركي .

٧ — ان عملية فضح العنصرية الصهيونية والتي حققت نجاحا هاما في قرارات الامم المتحدة التي ادانت الصهيونية كحركة عنصرية ، ومواصلة هذه الحملة بنجاح ، من شأنها ان تبعد الكثيرين من اليهود عن الفكرة الصهيونية وان تجعل من مهمة المدافعين منها مهمة صعبة .

٨ — ان قوة يهود اميركا مهما عظم شأنها ،لا يمكن ان تقبل كمبرر لسياسة الحكومة الاميركية في وقوفها مع العدوان الاسرائيلي ضد الحق العربي ، خاصة وان الاسرائيليين انفسهم يشهدون ان يهود اميركا لن يذهبوا في ممارساتهم المؤيدة لاسرائيل الى حد التصادم مع الادارة الاميركية ، وان يهود اميركا « يبيعون » الاميركيين الفكرة . القائلة : ان كل خدمة لمصالح اسرائيل هي خدمة لمصالح اميركا نفسها .

الهوامش

١ — اوري غوردون،دافار ، ٩ — ٩ — ٧٥ .
٢ — هآرتس ، ١١ — ١١ — ٧٤ .
٣ — دافار ، ٩ — ٩ — ٧٥ .
٤ — هآرتس ، ١٤ — ١١ — ٧٥ .
٥ — دافار ، ٩ — ٩ — ٧٥ .
٦ — معاريف ، ٥ — ١ — ٧٦ .
٧ — ميخائيل شاشار ، يديعوت احرونوت ، ٦ — ١١ — ٧٥ .
٨ — هآرتس ، ١٤ — ١١ — ٧٥ .
٩ — يديعوت احرونوت ، ٦ — ١١ — ٧٥ .
١٠ — المصدر نفسه .
١١ — المصدر نفسه .
١٢ — معاريف ، ٥ — ٩ — ٧٥ .
١٣ — بروفسور نتان غلايزر ، دافار ، ١٥ — ٨ — ٧٥ .
١٤ — المصدر نفسه .
١٥ — دافار ، ١٦ — ١٠ — ٧٥ .
١٦ — هآرتس ، ٢٧ — ٢ — ٧٦ .
١٧ — هآرتس ، ٥ — ١ — ٧٦ .
١٨ — هعولام هزه ، ٩ — ٧ — ٧٥ .
١٩ — هآرتس ٢٧ — ٢ — ٧٦ .
وأيضا :
The Jewish Post and Opinion , April 6 , 1973 .
٢٠ — دافار ، ٥ — ٩ — ٧٥ .
٢١ — المصدر نفسه .
٢٢ — معاريف ، ١٣ — ١٠ — ٧٥ .
٢٣ — هآرتس ، ١١ — ١١ — ٧٤ .
٢٤ — عل همشمار ، ٢٤ — ٦ — ٧٥ .
٢٥ — دافار ، ٢٤ — ١٠ — ٧٥ .
٢٦ — المصدر نفسه .
٢٧ — دافار ، ٢ — ١١ — ٧٥ .
٢٨ — دافار ، ١٦ — ١٠ — ٧٥ .
٢٩ — هآرتس ، ٥ — ١ — ٧٦ .